

تاريخ حرب فرنسا وألمانيا

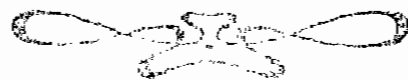
بقلم المؤرخ
جرجي أفندي بيني الطرابلسي

مقدمة الطابع

نشر هذا التاريخ في مجلة (الجنان) تباعاً بقلم المؤرخ الشهير جورجى أفندي بنى الطراباسي منشئ مجلة المباحث الغراء ومؤلف كتاب (تاريخ سوريا) وقد بحثت كثيراً عن تاريخ باللغة العربية يصف حقيقة تلك الحرب التي شبت نيرانها بين الفرنسيين والالمانيين سنة ١٨٧٠ فلم أجد غير جمل وشذرات مدرجة ببعض المجلات السيارة فوجدت أن هذا لا يكفي ولا يفي بالمرام فأرسلت أطلب التصريح من مفضرة المؤلف لأطبعه على حدة وسرعان ما أجابني بالتصريح والاذن بطبعه وها أنا أقدمه للقراء الكرام وعلى الله الاتكال

يوسف توما البستاني

القاهرة في ١٥ أغسطس سنة ١٩١١



مقدمة

لما كان التاريخ من أنفع العلوم التي يرتاح اليها الطبع البشري وكانت الحرب الأخيرة التي شبت نيرانها سنة ١٨٧٠ و ١٨٧١ بين فرنسا والمانيا من الحروب التي يهم كل انسان الوقوف على حقيقتها وعلى الخصوص بعد أن يكون قد طالع ماجريات الحرب الغير الواضحة الاسباب والمصادر كان من الامور الضرورية تقرير ذلك التاريخ معتمدين بالاكثر على جريدة انكليزية شهيرة تدعي الجاتلمانز جورنال تطبع في مدينة لندرة وقلت في نفسي عند الشروع في هذا العمل ان اصبحت فرمية من غير رام وان اخطأت فلهثي الخطأ وللكرام المعذرة

اسباب الحرب

انه يقتضي قبل الشروع في تقرير تاريخ هذه الحرب المهلكة ان نوضح اسبابها وتفاصيل مصادر العدوان التي طالما اختلفت في صدور الفرنسيين والالمانين فنقول : انه لو فتح الانسان كتاب رسم الارض لرأي ان أكبر قسم من الجهة الشمالية الغربية من قارة أوربا يسكنه أمتان مختلفتان وهما الأمة الفرنسية أي الغالية والأمة الألمانية أي التوتينية ومع ان بلاد المانيا كانت منقسمة الى ولايات وحكومات مستقلة كانت متحدة بمحالفات المحالفة الحقيقية المسماة بالاتحاد الالماني وكانت تبادر الى التحالف والتعاقد عند ما ترى ضرراً ألم بالامة أما كيفية المساعدة والنجدة فهي بالنسبة الى عدد

سكان كل قسم واتساعه . اما أوستريا وهي النمسا التي كانت لها ولايا روسيا السطوية على بقية الممالك المتحدة كسويسبورج وروسيا كسوفيا وغيرها فكانت رئيسة هذا الاتحاد وأما عوائدهم فكانت واحدة ومع ان الخصائص بينهم كانت كثيرة فأنهم يعتبرون أنفسهم عائلة واحدة وكانوا منذ أوائل القرون المتوسطة أعداء لجيرانهم الغاليين أي الفرنسيين . أما مسألة الحدود فطالما كانت موضوعا للمنازعات والخصومات التي كانت تقع بين الأمة الألمانية ومجاوريها وكثيراً ما حملتهم على القتال . اما انكسار فتخلعت من تلك المنازعات منذ اتحدت مع اسكوتلندا ذلك الاتحاد السعيد لان حدودها قد أصبحت حدوداً طبيعية فاصلة وهي البحر واذا طالعنا رسم الارض نرى ان الحدود التي بين فرنسا وايطاليا وبينها وبين اسبانيا هي حدود واضحة وهي سلسلة جبال غير انه مامن حدود طبيعية بين فرنسا والمانيا كذلك الحدود . ولقد ادعى المانيون ان الرين نهر الماني ولا تقدر ان تقول ان هذه الدعوي صحيحة لان النهر لا يخرج من البلاد الألمانية ولا يصب فيها فاتي ذلك بحروب شديدة اما الفرنسيين فاستولوا على مقاطعتي الازاس والورين وكانتا للألمانيين وعلى قسم كبير من الازاس وهو في الجهة الغربية من الرين وكانت الأمة الألمانية ترغب كل الرغبة في ارجاع البلاد على ان أهالي الولاياتين قد اكتسبوا بتمادي الايام العواطف والاميل الفرنسية مع أنهم لا يزالون يتكلمون لغتهم الأصلية وهي الألمانية وكانوا يكرهون الانضمام الي ألمانيا ولم تتمكن ألمانيا من ارجاع الولاياتين قبل الحرب الاخيرة . اما بروسيا فكانت تؤمل ان ألمانيا تعضدها في الحصول على ما طالما صبت اليه فصادف أملها نجاحاً باتحاد الأمة الألمانية مصدر العدوان بين الامتين وعلى الخصوص بين فرنسا وبروسيا

ولا يخفى ان الاكتشافات التي تمكن الانسان منها بواسطة العلوم وعلى الخصوص استنباط السلك البرقي والوسائط التي سهلت الانتقال وحضور رجال من أهل الدراية والحنق في ميادين القتال ليكتبوا الحوادث مكنتنا في هذه الايام من الوقوف

على ما لم يتسكن أسلافنا من الوقوف عليه في زمانهم عند ما كانت تشب نيران الحروب ولكنهم كانوا يقفون على بعض حقائقها بعد أن تكون قد ضمنت رغبتهم في الوقوف عليها و بناء على ذلك نقول اننا نكاد نؤكد انه عند ما انتصر الفرنسيون سنة ١٨٠٦ للميلاد في معركة جيتا عاملوا البروسيايين معاملة قاسية ووحشية كالمعاملة التي يقول الفرنسيون الآن ان البروسيايين قد عاملوهم بها في هذه الحرب الاخيرة اذا لم نقل انها كانت أشد منها ولذلك هجم البروسيايين على باريز وهكذا تمكن البروسيايين من أن يقوموا بحق ثأرهم بنوع اخمد بعض ما كان عندهم من الرغبة في الانتقام وكانت الامتان تتنيزان كل فرصة تمكن الواحدة من الاخرى لان بروسيا لم تكثف بما تمكنت منه من الانتقام لان الدول التي كانت متحدة معها كانت تمنعها عن تنفيذ كل ما ربهما كما ان فرنسا طالما كانت ترغب في رفع الحار الذي لحق بها بسبب انكسار جيشها في واترلو ودخول الاعداء الى عاصمتها . هذا وكان الفرنسيون يغيضون الانكليز كما كانوا يغيضون الالمان ودام هذا البغض والميل الى أخذ الثأر الى ان اتحدت الامتان في حرب القريم

اما عداوة الفرنسيين للانكليز فلم تكن كعداوتهم للبروسيايين لان القائد الانكليزي والتون كان قد شدد الاوامر لمنع الجنود عن اساءة معاملة الفرنسيين وكان يعاقب بكل صرامة كل من اساء معاملتهم أو معاملة الاهالي بالسلب والنهب وغير ذلك اما القواد البروسيايين فلم يكتفوا حينئذ بان يرحضوا الجنودهم باساءة معاملة الفرنسيين ولكن المسموع ان بلا ستار نفسه وهو قائد لهم لم يمنع الجنود عن نهب شيء له ولا يخفي ان البروسيايين كسروا الفرنسيين شر كسرة في معركة واترلو وتبعوهم وقتلوا منهم كثيرين وكان نابليون الاول يعرف حق المعرفة انه لو سلم نفسه للبروسيايين بعد تلك المعركة أو لغيرهم من المتحدين معهم خلا الانكليز لقتلوه انتقاماً وبما اننا قد قررنا مما يبين المدوان الذي طالما كدر العلاقات الممتدة بين فرنسا وبروسيا

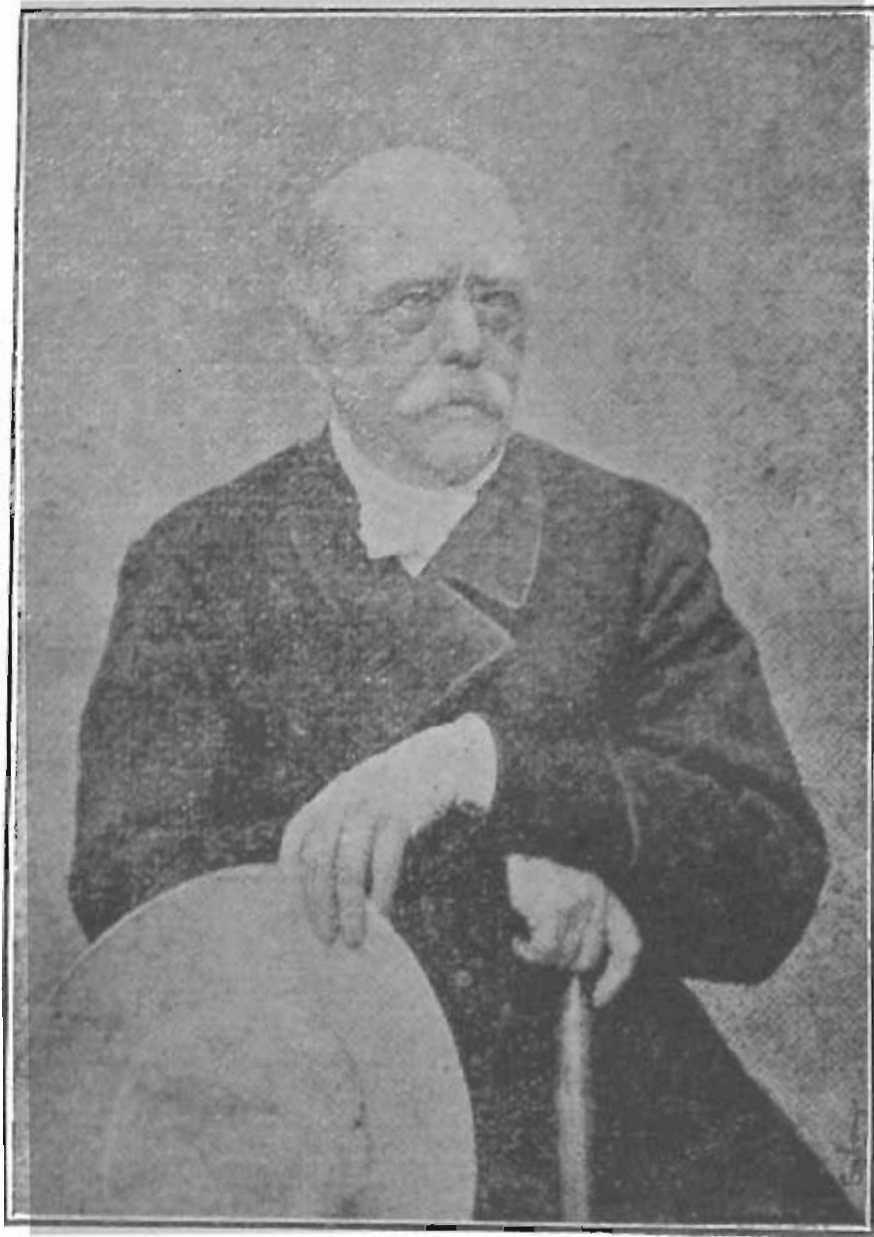
سبادر الى تقرير ما كان سببا لفتح هذه الحرب الاخيرة فنقول :

الاتحاد الألماني وحرب الدانمرك

كانت الامة الألمانية راضية جدا في ان تتحد كلها معا وذلك لانها كانت تعرف ان اتحاد كل من الكبار الاولى والثانية معا يقويها جدا ويمكنها من دفع كل المباحات التي ربما كانت تطرأ عليها من الخارج وعلى الخصوص من فرنسا . على ان الذي أعاق اتمام أمر هذا الاتحاد سنين كثيرة بعد صلح سنة ١٨١٥ للميلاد كان ميل دول المانيا الثانية وأمرائها الصغار الى المحافظة على استقلالهم مع ان كثيرين من الامة الألمانية وغيرهم كانوا يرغبون جدا في اتمام هذا الاتحاد . ومعهم ان الفرنسيين كانوا يضادون ذلك كل المضادة وكانوا ينظرون بعين الحسد الى كل ما من شأنه تقوية المانيا بذلك الاتحاد وربما كان ذلك الاتحاد مما لا يتم أبدا لو لم تبادر بروسيا الى السلوك في السبيل الذي وصل به اليه بواسطة اشهار الحرب على الدانمرك سنة ١٨٩٤ لتأخذ منها مقاطعة الشالويك والهولستين التي كانت تدعى انها من المانيا وليس المقصود ان نقرر هنا ما يعده البعض عارا على انكلماتها وهو تمنعها عن ان تتدخل بالقوة لتساعد الدانمرك غير اننا نقول انه لو تدخلت حينئذ انكلترا وفرنسا ربما كانت أحوال هذه الايام على غير ما هي عليه الآن

وهكذا شرع البروسميانيون في المسير في سبيل مرغوب باتهم بدون ان يصادفوا معارضة وفي مدة قصيرة تالوا ما كانوا يرغبون به الوهم ان الدانمركيين دافعوا حق الدفاع . فتبين حالا ان حرب الدانمرك انما هو ابتداء أعمال بروسيا فكانت كأنها الهجمة الاولى لجهة اتحاد المانيا الذي كان يتبين انه لا يمكن الوصول اليه بوسائل سلمية

وبعد حرب الدانمرك انفتحت حرب بين بروسيا والنمسا سنة ١٨٦٦ وكانت النمسا



البرنس بسارك آخر رسم له

قبل تلك الحرب الدولة الاولى في الاتحاد الالماني ولما رأى العالم مارأى من سرعة انتصار بروسيا وتغلبها تغلبا تاما على عدوها وقف متعجبا وكان أكبر أسباب هذا النصر البنادق التي كانت للبروسيين ولم تكن للنمسا وبين وكان هذا الانتصار الجديد مجلبة لكثير والفيض في فرنسا فان امبراطورها ووزراءها كانوا غير قادرين ان يكتسبوا ما خاسروا من الحسد من جراء تعاضد قوة بروسيا تعاضدا سريعا جدا حتى انه ربما كانت فرنسا أشهرت الحرب على بروسيا لو لم ترض فرنسا ان تجعل المعاهدة المسماة بمعاهدة براك المعقودة لجهة انشاء اتحاد جديد في المانيا معاهدة تقيم اتحادا بين الممالك الالمانية الشمالية بدون الممالك الالمانية الجنوبية التي صار القرار ان تقيم اتحادا وحدها وهكذا كان الامبراطور نابوليون يؤمل بانه يتمكن من اضماف قوة المانيا بانشاء اتحادين المانيين الواحد في الشمال والاخر في الجنوب عوضا عن انشاء اتحاد الماني واحد فان الامبراطور نابوليون كان يخاف جدا من تمكن المانيا من الاتحاد غير ان الظاهر ان الامم في هذا العصر تعتبر المعاهدة كما تعتبر اوراقا خالية من كل نفع فانه بعد ذلك بزمان طويل حاول البرنس بسمارك التخلص من بعض شروط تلك المعاهدة اذا لم نقل انه خرق بعضها خرقا تاما فانه بمخذه السياسي عقد عهودا مع الممالك الالمانية الجنوبية ماآلها انه اذا وقع اختلاف بين بروسيا وغيرها من الدول يباعث الجوادث الاخيرة تكون كل قوات الدول الجنوبية الالمانية خاضعة لأوامر ملك بروسيا وقد قال قوم بتأكيد مستند الى ما حملنا على تصديق ذلك القول : ان بروسيا نكثت الوعد الذي كانت قد وعدت به فرنسا في نفس ذلك الزمان . وهكذا نرى انه يسوغ لفرنسا ان تشكو من سوء تصرفات بروسيا اذا لم نقل انه يسوغ لها ان تفتح الحرب عليها

وفي السنة التابعة التي هي سنة ١٨٦٧ الميلاد وقع نزاع جديد بسبب اقامة بروسيا في لكرزبورج ولولا مداخلات انكلترا لانتشبت الحرب بين الاعمين على انه صار

تسمية الامر في الجمعية الدولية التي عقدت في لوندن في تلك السنة . وهكذا صار اتحاد نيران الحرب التي كادت تشب في ذلك الزمان اتحادا وقيما لأن مدد السياسة مترها بدون ان يظن أنها فككت كأنها مترعدة شعوب بروج سياسية لم كانت ضعيفة تشب بربا يوافق استعداده فبات جميع الذين يهتمون بسياسة أواسط أوروبا مترسدين وقوع قتال بين بروسيا وفرنسا في زمان مستقبل وكانوا يعرفون أنهم اذا منعوا حدوث الحرب اليوم فسيحدث ما يقيمها في الغد . ولذلك كان قصاري اجتهاد الدوائين مصر وفا في سبيل تقوية قواتهما الحربية واصلاح كل ما يلزم الاصلاح منها بحيث أضحت ذات قوة فتاكة في ساحة القتال . اما نجاح كل منهما في هذه الاعمال أو عدمه فهو مما قد قامت باظهاره حق القيام الحوادث المتأخرة فانها قد أوضحت لهالم باجلى بيان

هذا ومن الامور المقررة ان تأهب الدول للحرب يمنع حدوثها كما يمنعه تركها للأسلحة وقد أجمع القوم على ان الذي كان يؤخر فرنسا وبروسيا عن أن يقيا القتال بينهما قبل أن اقلناه في السنين الاربع أو الخمس السابقة للحرب ليفصلا بحكم السيف المنازعات الكثيرة والمتصلة التي كانت واقعة بينهما هو معرفة فرنسا وبروسيا بان كلا منهما مستعدة حق الاستعداد لدفع مهاجمات الاخرى . وهذه هي ظروف الحال التي كان يراها أهل السياسة في أوائل سنة ١٨٧٠ وكان يظهر ان دوام السلام أو شوب نيران الحروب كانا متوقفين على ارادة أحد رجلين كان لكل منهما سلطان كاف ليحمل أمتين عظيمتين على الفوس في بحار الولايات بمجرد التلفظ بكلمات قليلة وربما اتسم الامر وحمل أوروبا على الاشتراك في ويل ماثله ويل وهذان الرجلان هما الامبراطور نابوليون الثالث والبرنس بسمارك لأنه مع ان الملك غليوم البروسياني هو ذو حذق ويعرف الفنون الحربية حق المعرفة ويعتقد بأنه هو الذي وهبه الله سبحانه وتعالى حق التملك نرى ان البرنس بسمارك هو بدون ريب الذي يحق له أن يسمى حاكم بروسيا المطلق (اكتوبر)

— فرنسا أيام نابليون الثالث —

كان نابليون الثالث يقول منذ تبوأ تخت الإمبراطورية الفرنسية « ان الامبراطورية انما هي السلام » وما يأتي هو حرفيتها في اللغة الفرنسية :

(L'empire C'est La Paix) ومع ان قسوما من الذين ينشرون الكتابات المزيية والاستهزائية قد حرفوها بما يأتي (L'empire C'est La L'épée) ومعناه « ان الامبراطورية انما هي السيف » والفرق انما هو في اللفظة الاخيرة كما يتبين لمن يعرف اللغة الفرنسية فان لابي هو السلام وليبي هو السيف نرى ان اجتهدات الامبراطور نابليون كانت مصروفة في سبيل المحافظة على السلام وانه في مدة امبراطوريته التي هي ١٨ سنة لم يقيم حرباً دالم تسقه الي قيامها ظروف الاحوال على رغم أنه غير انه ربما كان مصدر بعض هذه الظروف مراعاة الصوالح الخصوصية . والظاهر ان مقصده كان توطيد أركان دولته بواسطة تنجيج أحوال فرنسا الداخلية بزيادة مداخيلها وتوسيع دائرة تجارتها الداخلية والخارجية وترقية أسباب سطوتها وبزيادة محاسن باريز وغيرها من المدن الكبيرة وليس باستجلاب المجد الذي كلف فرنسا خسائر كثيرة بواسطة اجراآت عمه نابليون الاول ومن الامور المؤكدة انه قد صرف جهده أكثر من مرة في سبيل حفظ علاقات الوداد والسلام بين انكليترا وفرنسا وذلك خلافاً لاراء أعوانه الحربيين لان اراءه هي كراء التجار وأصحاب الصنائع الذين يحسبون الحرب خراباً لهم . غير انه صار القبض على زمام الامبراطورية بالسيف والجنود الذين كانوا يعضدون تحتها فقد صح فيها ما قيل عن غيرها من انها سقطت بالسيف غير ان ذلك السيف كان أجنبياً وهو السيف الذي لم يكن نابليون الثالث يخافه بقدر ما كان يخاف سيف العصيان الداخلي

ومع ان الاحول كانت في اضطراب في أوائل سنة ١٨٧٠ مضي نصف السنة

بدون أن يتكدر السلام وفي أوائل شهر تموز (يوليو) تبين للعالم أن أكثر الصعوبات والمشاكل التي كانت تكدر راحة أوروبا منذ زمان ليس بقصير قد أمست منقوضة • فكان العالم يظن أن السلام قد غلب الحرب وأن السلاح مسود بين أمم أوروبا مع أنه كان قد بات عرضة للتبديد زماناً طويلاً فإن هذا الهدوء إنما كان كالحذر الذي يسبق الاضطراب في الانحاء القطبية فإن انواء الحروب التي كانت قريبة الظهور ظهرت بعنف شديد وأضرت بالعالم ضرراً لم يتقدر نظيره في أخبار القرون الحديثة مع أنه المحرك الذي حرك ذلك الشر العظيم في أواسط أوروبا وأتى بذلك الغيم الكثيف الذي حجب شمس السلام

— البرنس ليوبولد وتاج اسبانيا —

ومعلوم أنه منذ حدوث الثورة في اسبانيا سنة ١٨٦٨ التي حملت الشعب على خلع ملكتهم أمست تلك المملكة بلا ملك وكان الجنرال بريم الاسبانيولي العسكري قد صرف أقصى جهده ليمكن من اقامة ملك ليجلس على عرش ملك بلاده تكون به الاهلية اللازمة وكان هذا الجنرال قد ارتقى اليها بالاهلية الى المراتب العليا التي كان قد ارتقى اليها وكان أميناً يفضل صوايح وطنه على صواحله الخصوصية لانه رفض ان يتبوأ هو ذلك التخت الذي كان قد عرض عليه القوم ان يتبوأه ومع ان أول أمره كان نجاحاً وتوفيقاً كان آخره هلا كالا أنه لم يتمكن من الوصول الى مرغوبه حتى قتله غدرا رجل نذل وهكذا مات شهيداً حبه لوطنه وغيرته على أهله وكان هذا الجنرال قد عرض تاج المملكة الاسبانيولي التي كان نائباً للملكها بامر المجلس العالي على أكثر من رجل واحد من العيال الملوكية غير أنه لم يجد منهم من كان يرغب في قبول هذه المعطية الفاخرة لأنهم كانوا ناظرين الاتعاب التي كان يتكبدها الملوك الاسبانيوليون في هذه

السنين الأخيرة وهكذا بات تاج اسبانيا التي كانت قبلاً أقوى ممالك أوروبا واغناها يتسول ملكاً من عيال ملوك أوروبا بدون ان ينال مطلوبه وذلك كما كانت مملكة اليونان تسأل ملكاً منذ بضع سنين وفي نهاية الامر سر جداً الجنرال بريم لما رأى ان البرنس ليو بلد من عائلة الهوهنزولرن السكسارنجن الألمانية قد قبل ان يلبس تاج بلاده وكان هذا الجنرال يعتقد ان قبول هذا البرنس تاج اسبانيا يأتيها بنفع كثير وكان لذلك البرنس من السن ٣٥ سنة فقط وهو ابن البرنس هو هنزلرن البكر وهذا البرنس أي ابو البرنس الذي قبل تاج اسبانيا كان قد وهب ملك بروسيا حق الرياسة على بلاد كان مسودا عليها والظاهر ان الجنرال بريم كان يعتقد ان البرنس ليوبولد المشار اليه هو من الذين يوافق البلاد ان تكون تحت سيادتهم الماوية وكان هذا البرنس قائداً في جيش بروسيا وكان متزوجاً بشقيقة ملك البرتغال على ان نابوليون الثالث وأكابر الأمة الفرنسية كانوا ينظرون الى هذا الامر من جهة أخرى

هذا وكانت بروسيا منذ بضع سنوات سالكة مسلكاً يمكنها من ان تعظم وتوسع دائرة مملكتها وسطوتها وكانت قد أدركت من القوة الدرجة التي طامعها كابرها الى ادراكها مع ان غيرهم كانوا يعتقدون ان ذلك من الاحلام الباطلة حتى انها حركت في الأمة الفرنسية من الغيرة ما كانت تلك الأمة غير قادرة ان تحمله علاوة على العداوة التي كانت تسكد علاقات الامتين الودية نظراً للأسباب التي قد قررناها وهذا العمل الاخير أي اقامة البرنس ليوبولد ملكاً لاسبانيا الذي كان يقول الفرنسيون انه صادر عن الطمع كان سبباً لشبوب نيران الحروب التي كانت مشتعلة بين الامتين منذ زمان طويل ولكنها كانت منقطعة برماد السياسة لان الفرنسيين كانوا لا يطيقون ان يتصوروا ان رجلاً من اخصاء ملك بروسيا سيتبوأ تحت مملكة اسبانيا فيصير رجل من الجنس التوتوني ملكاً على أمة لاتينية وكان الفرنسيون يعتقدون ان ذلك يخل بميزانية القوة في أوروبا ويمكن الأمة الألمانية التي كانوا يقولون انها

كانت بلغت من النطم درجة مفسرة من جيطان في القوة ، خسر جدا لما رأى امير المور
فرنسا ما رأى من ذلك الحال وكان مستيقظا جدا وبتجنب فتح حرب على اسبانيا
لانه كان يعرف أكثر من أعوانه الغير المتيقذين ان لالمانيا قوة عظيمة لمسى بارتباك
عظيم وكان يقول ان ذلك انما هو صادر عن تكبر المانيا وتمديها مع انه معلوم انه
يسوغ ان يقال انه يحق لاسبانيا ان تنتخب لنفسها الملك الذي تحب ان يكون ماسكا عليا
وفي ٦ تموز (يوليو) سنة ١٨٧٠ الميلاد بلغ وزير خارجية انكلترا خبر هذه
الحوادث وكان قد شاع في باريز ان البرنس ليوبولد قد قبل ان يتبوا تحت اسبانيا في
الشهر المذكور أي قبل ان بلغ الخبر وزير خارجية انكلترا يومين رما شاع هذا
الخبر في باريز حدث هيجان شديد واضطراب كثير وفي ٥ من الشهر تأكد ذلك
الخبر وفي ٦ منه قال الدوق دوكرامون وزير خارجية فرنسا في المجلس اقتضائي في باريز
ان الحكومة الفرنسية لا تقدر أن تسلم بأن تحمي صواح فرنسا وناموسها مثلثة وديزانية
القوة في أوربا قد وقع فيها خلل بواسطة تبوء برنس من العائلة الموهنرانية تحت اسبانيا
وكان كلام الدوق كلاما صادرا عن مسند ذي سلطة وكان مآله مبيجا لاندوان
ريحمل فرنسا على أن تسلك في سياستها مسلكا مكذرا للسلام حتى انه تبين ان
الحرب قريبة وتبين أيضا ان أمر انتخاب البرنس المشار اليه ليتبوء عرش اسبانيا كان
موضوعا للتبصر قبل ذلك بسنة أي منذ ربيع سنة ١٨٦٩ وكانت وزارة خارجية
انكلترا تجهل ذلك كل الجهل وكانت الحكومة الفرنسية قد أمرت الميسيو بنديتي
سفيرها في برلين ان يقول للبرنس بسمارك وزير المانيا الشمالية الاول ان فرنسا لا تقبل
أبداً بان يتبوا برنس الماني تحت مملكة اسبانيا ويقال ان البرنس بسمارك أجاب
حينئذ ان ذلك لم يخطر أبداً ابروسيا ببال وان ذلك هو من الامور التي لا يمكن حدوثها
وقال غير بسمارك من المأمورين الكبار البروسيانين لسفير فرنسا قولاً يؤكده عدم
صحة ما كان قد بلغ الحكومة الفرنسية وهكذا انقطعت المخابرات بهذا الشأن

هذا ولا يخفى ان أمورا كثيرة تجري بين رجال السياسة بدون أن يتمكن العالم من معرفتها غير أنه لا ريب ان بروسيا كانت تعلم ان قبول برنس الماني بان يتبوأ عرش اسبانيا يكون سببا لشبوب نيران الحرب بينها وبين فرنسا وان حكومة المانيا تظاهرت بما دل على انها كانت تسخر بذلك حال كونها كانت تستعده

ومع ان الامر بلغ درجة حملت العالم على ان يعتقد انه مامن بهرب من الحرب اتهمت الدول التي كانت مقيدة على المياد ملك بروسيا بان لا يسمح البرنس ليوبلد على ذلك وهذه الدول أفرغت الجهد قبل فتح الحرب في ان تمنع صدورها حتي ان المسوع ان ملكة انكلترا بعثت الى ملك بروسيا مكتوبا كتبه بيدها طالبة اليه أن يمنع البرنس ليوبلد عن قبول ذلك التاج ولما رأي أبو هذا البرنس ان ملك بروسيا قد أجاب طالب الدول المتحايدة وتحمي عن مساعدته أشار الي ابنه أن يتمتع عن قبول التاج بعد ان كان قد قبله وهكذا توطدت آمال الاثنين اللتين كانتا تنتظران بقلب خفوق النتيجة بدوام السلام بعد ان كانتا تتأكدان حدوث الحرب

وفي ١٢ تموز (يوليو) اعلن رسميا انه بواسطة تدخل ملك بروسيا قد تمتع البرنس ليوبلد عن أن يقبل تاج اسبانيا ولكن لمسارات حكومة فرنسا ان هذا الاعلان لا يخلو مما يسوغ لها ان تحسبه مواربة وكم ان الحقيقة وعلى الخصوص لان مصدره هو البرنس بسمارك الجامع بين الخدق والدراية والحيل السياسية طلبت ماطلبت ولذلك اذا نظرنا الى الامر نظرا خارجيا نرى انه مامن مسوع يسوع لفرنسا ان تطلب الى المانيا ماطلبه سفيرها الموسيو بنديتي في ١٣ من الشهر المذكور وهو أن تضمن لها ان أميرا المانيا لا يقبل أن يملك في اسبانيا في المستقبل غير اننا اذا أمعنا النظر في الاحوال التي كانت جارية فعذر فرنسا في إلحاحها على بروسيا إلحاحا لا يخلو مما كان يجب أن تتجنبه لولا الظروف التي ذكرناها والمظنون انه لوطلبت فرنسا الي بروسيا ماطلبت بنوع خال مما ربما اعتبرته بروسيا اهانة وكان الامبراطور نابوليون وملك بروسيا راغبين حق

الرغبة في منع حدوث الحرب لربما كانا تمكننا من تسوية هذا الامر بنوع مرض الدولتين اللتين كانتا قد اشتغلتا مما كان قد حدث غيظاً مبيحاً وما نعا للحكمة وسمة الصدر والتأني حتى ان الميجان الحاضر أعني القوم عن النظر الى سوء عواقب المستقبل وهو انه وطلبت فرنسا ماطلبت واجابتها بروسيا ما أجابت بنوع منعهما عن ان يرجعا عن المركز الذي أخذاه في مخبرتهما المذكورة

هذا وقد طلب المسيو بنديتي سفير فرنسا في براين الى ملك بروسيا ما طلب لما كان هذا الملك يترزه في منزهه أيمس العمومي وهو مكان جميل و بهج جدا فيه مياه جارية وكان ملك بروسيا يأتي ذلك المكان ليصرف بعض أيام من فصل الصيف فيه ولما أتاه السفير المشار اليه كان يتمشى تمشي متنزه في ذلك المكان وكان يكلم بعض أعوانه كلام حط وتقدم اليه تقدم جسور والظاهر أنهم يلاحظ عادة القوم في ما يتعلق بالدخول على الملك ولما دنا منه أعطاه التحرير وطلب اليه أن يجيبه في تلك الساعة عن طلب فرنسا .

وكان الملك يعتبر أن المسيو بنديتي السفير فعل ما فعل قاصدا اهانتة فغضب من ذلك ومع ذلك أخفى غضبه غير أنه رفض أن يجيب طلب فرنسا أي أنه رفض أن يتعهد لها بأنه ما من أمير ألماني يتبوأ تحت ملك اسبانيا في المستقبل وقال ان تصرفه في المستقبل انما يكون بحسب اقتضاء الظروف وعند ما شرع المسيو بنديتي بلعاجة غير اعتيادية ومجازرة لحدود الاعتدال في أن ياح في الطلب على الملك ليجيب طلب فرنسا قال له الملك طالبا اختصار الحديث بعد أن مال عنه أنه من اللازم أن يصير تبليغه كل المخبرات المتعلقة بذلك في المستقبل بواسطة وزارته .

واذا اعتبرنا الواقع نقول انه صار اشهار الحرب في ١٣ تموز (يوليو) سنة ١٨٧٠ الميلادي ذلك المنزه الجميل في أيمس لأن الجميع كانوا يعرفون انه ما من أحد من الفريقين أي حكومة فرنسا وحكومة بروسيا يقدر أن يرجع عن مركزه بدون أن يحسب رجوعه اهانة . هذا



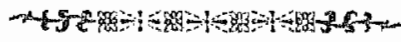
المسيو بنديتي يخاطب ملك بروسيا في منتزه ايمس العمومي



البرانس بسمارك

وقد طلب موسيو بنديتي أكثر من مرة بعد ذلك أن يسمح الملك له أن يقابله ولكن الملك كان يرفض أن يجيب طلبه .

ولما بلغ جواب ملك بروسيا باريز غضبت غضباً شديداً وكان الموسيو بنديتي قد طلب أن يرخص له بالخروج من برلين عاصمة بروسيا ونال الرخصة المطلوبة وكذلك طلبت حكومة فرنسا الى البارون وارثر سفير ألمانيا في باريز أن يرجع الى وطنه وقيل انه ورد تحرير من باريز الى البرنس بسمارك مآله أن يعتذر ملك بروسيا الى فرنسا عما صدر منه من عدم الالتفات الى سفيرها وأن البرنس بسمارك لم يعرض هذا التحرير على الملك لأنه ظن انه طلب مضحك لا يليق تبليغه الى الملك ولا يخفى أنه يصعب تصديق هذا الخبر والمرجح انه كذب .



— اعلان الحرب —

هذا وعندما انتشر خبر تمنع البرنس ليوبلد هو هنزلرن عن قبول تاج اسبانيا ارتفعت جداً أسعار قراطيس فرنسا المالية بعد أن كانت قد نزلت كثيراً عند ما كان للعالم منتظرا شبوب نيران الحروب وعند ما بلغ أهالي باريز خبر نتيجة مقابلة سفير فرنسا لملك بروسيا في ١٣ تموز (يوليو) نزلت أسعارها كثيراً وفي ١٦ من الشهر المذكور أعلنت دولة فرنسا رسمياً اشهارها الحرب على بروسيا على أن هذا الخبر لم يبلغ برلين الا في ١٩ من الشهر المذكور .

ولما انتشر الخبر في باريز هاجت وماجت وطلب البعض الانتقام بصوت عال وهيجان مغل وكانت الجماهير تجتمع في محلات الاجتماعات العمومية وفي الشوارع وكثير ازدهام الذين كانوا يطلبون قيام الحرب حتى أنه بطل البيع والشراء الاعتيادي في الاسواق وكانت الجموع تصرخ قائلة « فليحي الامبراطور فلتعش فرنسا هلموا الى

برلين «وكانت شوارع باريس غاصة من جراء كثرة ازدهام الاهالي الميچين وكانوا يغنون ليلا ونهارا بدون انقطاع أغنية المارسييلاز التي كانت الحكومة قد منعتها لانها مبهجة وكانت الجموع تجتمع منتظمة وتناشر البلايات بعد أن تكتب عليها كتابات حرية مبهجة ونشروا منها في كل المحلات العمومية وعلى الخصوص امام منزل سفير روسيا الذي لم ينج بئته من النهب الا بواسطة مصادفة الضابطين الفرنسيين غير ان الحكومة الفرنسية اعتذرت بعد ذلك الى هذا السفير عن هذه الاهانة .

ومع ان هيجان برلين كان أقل من هيجان باريس كان يظهر ما يبرهن على ان البروسيين كانوا يرغبون في قيام الحرب بقدر ما كانت فرنسا ترغب في ذلك وازدهمت جماهير كثيرة في اتاردن لندن وهو الشارع المبني بجانب القصر الماوي وكان القوم يعلنون بكل حرارة انهم يرغبون في ان يعضدوا الحكومة في السياسة التي تعمل عليها لتنتقم من الذين أهانوا ملكهم وبلادهم

وهكذا كانت الامتان تعتقدان انه قد دنت الساعة التي طالما كانتا تنتظرانها وربما كانتا تخافانها وربما كان هذا الاعتقاد مما يرفع عنهما اقبال ذلك الانتظار المقلق الذي يسبق حوادث كهذه في مثل تلك الظروف وكان يظهر ان الامتين كانتا ترغبان رغبة واحدة في الحرب وكان كل منهما يعتقدان الفوز انما يكون له .

ومعلوم ان اهل هذا العصر الذي هو عصر تمدن واجتهاد يعتبرون الحروب شرورا مهلكة قاطعين النظر عن اعتماد ابطال القرون القديمة بهذا الشأن ولذلك يلومون كل اللوم من أقام حروبا عالم يلتزم أن يقيمها للدفاع من ذمار لاغنى له عن الدفاع عنه ولذلك يقال ان الذين ابتدؤوا في تكدير السلام في العالم المتمدن هم الامبراطور نابليون الثالث ووزرائه لانهم هم الذين أشهروا الحرب على ملك روسيا وأكثر الكتاب يقولون ان هذه الدولة الامبراطورية هي التي أتت بهذه الحرب التي كادت تضمم نيران الويل والهلاك في كل أوربا غير اننا اذا أمعنا النظر في الحوادث وتبصرنا فيها بالتأني نرى

ما يحملنا على التردد عن تحميل الامبراطور نابليون والامة الفرنسية كل اللوم ورفعها عن غيرهما ومع ذلك لا بد من تقرير أمر واحد مهم والظاهر أنه قد فات تقريره كتاب الجرائد وغيرهم من مؤرخي هذه الحرب الخاذقين وهو ما يأتي :

ان الملك غليوم ملك بروسيا خطب عند اعطاء الفرصة لمجلس الاتحاد الالماني الشمالي في ايار (مايو) سنة ١٨٧٠ خطبة قال فيها أنه ينتهز تلك الفرصة ليشر المجلس العالي باتمام تنظيم أحوال الاتحاد الالماني الشمالي الحرية

ولا يخفى ان هذه البشارة هي من الامور غير المهمة عند ما تكون الاحوال غير مكدرة والنوايا سليمة ومعلوم انه بعد ان قال الملك ما قال في هذه الخطبة بأسبوعين أو ثلاثة قبل البرنس ليوبلد هو هنزلرن تاج اسبانيا فاذا قطعنا النظر عن كل متعلقات ذلك لا نقدر ان نقطع النظر عن قبول البرنس التاج بعد ان قال الملك ما كان قد قال بمدة قصيرة بنوع يحملنا على اساءة الظن في المقاصد اذالم يحملنا على أكثر من ذلك وبما ان كل أوروبا كانت تعرف ان فرنسا والمانيا كانتا تستعدان منذ مدة ليست بقصيرة للقيام بحق حرب كان يظهر لهما أنه لا مهرب من قيامها ومع انهما كانتا ترغبان في قيامها ولكنهما كانتا تخشيان سوء عواقبها يتبين لنا ان البرنس بسمارك رأى ان الزمان المناسب كان قد دنا لقيام الحرب التي كان يؤمل هو ومولاه الملك انها تضعف قوة فرنسا وتزيل المانع الذي كان يحول دون اتمام اتحاد المانيا تحت سلطة بروسيا وعرف رجال سياسة كل الدول التي كانت محافظة على الحياد ان غيرة فرنسا ويين وحدتهم اللتين كانتا مهيجتين تهيجا كافيا بامتداد سطوة بروسيا تسميان عند قبول البرنس هو هنزلرن تاج اسبانيا في هيجان ليس فوقه هيجان ولا ريب ان ملك بروسيا ووزيره الاول كانا لا يجعلان ان ذلك سيؤثر التأثير المذكور في فرنسا وعلي الخصوص بعد ان كانت بروسيا قد أكدت قبل ذلك باقل من سنة أنه لم يخطر لها ببال قيام دولة المانية في بلاد من بلدان أوروبا الجنوبية

هذا وقديين كاتب حاذق من الذين كتبوا تاريخ هذه الحرب بواسطة الكتابات الرسمية المنشورة التي جرت بين وزير خارجية انكلترا وسفيرها في برلين ان البرنس بسمارك كان مستعداً ان يعتبر ما كان يعرف انه سيستمعه من الكلام الصادر عن غيظ فرنسا سبباً حسناً يسوغ له فتح الحرب وهكذا اذا دققنا النظر في الامور التي قد ذكرناها وفي غيرها مما هو اقل أهمية منها نميل الى ان نقول ان امبراطور فرنسا وبين وأعوانه أمسوا مخدوعين بشدة حذق البرنس بسمارك وأجراً آتية هذه بحيث انهم سيقوا الى فتح حرب كان البرنس بسمارك يحاول أن يجعلهم يفتحونها لتحصيل بروسيا علي ما حصلت عليه في أول الامر وهو ميل أوربا اليها ومساعدتها الادبية لها ومع ذلك لا تقدر ان ترفع اللوم الشديد عن الامبراطور نابوليون وقومه

وما أدرانا ان مرور الزمان واتحاد الهيجان الخالي يمكنان المؤرخ الصادق الخالي من الغرض من أن يثبت أمراً لا تقدر ان تثبته الآن حق الاثبات وهو انه منذ قال ملك بروسيا في خطابه المذكور مقال صار أمر فتح الحرب على فرنسا منتظراً الزمان الموافق له ومع ذلك نحب أن نقول انه ولئن كانت بروسيا مستعدة حق الاستعداد للحرب ربما كانت تتمنع عن فتحها لاسباب سياسية بدون أن تفعل فرنسا فعلاً ظاهراً يسوغ لها ذلك . هذا وقد ذكرنا في ماضي من هذا التاريخ شيئاً مما يتعلق بالاجراءات التي أجراها فرنسا ويون في المانيا بعد ان فتحها نابوليون الاول واذا كان ما نسمعه من الالمانيين عن اعمال فرنسا ويين القاسية عند ما دخلوا بلادهم في الزمان المذكور خالياً من المبالغة الكثيرة نقول ان الانتقام مجلبة الشر على المنتقم في نوبته فان الامبراطور نابوليون الاول وهو أول من ملك من عائلته سقى الامة الالمانية وعلى الخصوص البروسيين مركاسات الذل حتى ثملتها كما ان البروسيين قد سقوا الامبراطور نابوليون الثالث الذي ربما كان آخر امبراطور من العائلة النابوليونية كاس ذل يحيا كي الكاس التي شربوها من يد سلفه وعمه

ومع كل ذلك يصعب علينا أن نصدق أنه قد حدث ما قد حدث من التغيير العظيم في قوات فرنسا والمانيا في زمان تقول انه قصير بالنظر إلى أزمة الامم بالسرعة العجيبة التي تم فيها انكسار فرنسا انكساراً تبين أن بروسيا تمكنت منه بسهولة غريبة فان ألمانيا كانت منكسرة أمام فرنسا منذ خمسين أو ستين سنة وفي هذه البرهة القصيرة انعكس الأمر

وكان نابليون الأول ينظر بعين الاحتقار إلى البروسيين دون غيرهم من أعدائه الكثيرين فان النمساويين والitalيين والاسبانيول والروسين صادموا هجمات جنوده التي كان يغزو بها بلدانهم صداماً ثابتاً غير أنهم التزموا جميعاً أن يسقطوا في نهاية الأمر على أنه لم يقدر أن يذل الانجليز أعداءه الثابتين والأقوياء والتزم في نهاية الأمر أن يسلم لهم غير ان الروسين أنزلوا به ويلاً كثيراً سنة ١٨١٢ باحتمال خسران كثير بواسطة حرق عاصمتهم موسكو وقال أكثر القوم ان الخسائر الكثيرة التي لحقت بجيشه عند ذلك كانت مما أتى بسقوطه غير انه لا يخفى ان قوة ذلك الامبراطور العظيم ضعفت كثيراً في الحرب الشديدة التي أقامها في أسبانيا ضد الأهالي والانكليز . فانه هلك كثيرون من جيشه من هجمات جنود اسبانيا الغير المنظمة وكان أكثرهم من الفلاحين الذين التزموا أن يتقلدوا الاسلحة لصدامه وكانوا أعرف من جيش نابليون الأول بالبلاد ولذلك كانوا يختبئون في الأحراش وفي أغوار الجبال ويهاجمون منها الفرنسيين الذين كانوا يهاجمون بلادهم وينزلون بهم اضراراً كثيرة جداً بدون أن يلحقهم منها شيء يستحق الذكر .

ومع ذلك فتح نابليون الأول الممالك الألمانية بكل سهولة ولم تقدر بروسيا التي كانت تعد نفسها من دول أوروبا الأولية ان تثبت أقل الثبات امام صدمات جنوده الباسلة وكان يحتقرهم كل الاحتقار حتى انه كان يقول انهم كلاب المانية وبروسانية وبعد أن كسرهم تلك السكرة العظيمة في معركة جينا سنة ١٨٠٦ وشتت شمل كل

الجيش البروسيانى ودخل عاصمتهم وأقام فيها فعل ما أظلم كل الأذلال وجرحهم حتى قلوبهم جرحاً لم يقدر البروسيانيون أن ينسوه ولا أن يسامحوا الفرنسيين بأفان نابليون أولاً وأخيراً سيف ملك بروسيا فردريك الكبير من قبره وذهب به فوجاً إلى باريس وقال ان البروسيانين الذين قد أدركهم الفساد والجبن لا يستحقون أن يكون عندهم السيف الذي كان يتقلده ذلك الملك العظيم .

ولا يخفى ان هذا الامور التي زادت ذل البروسيانين وقهرهم في ذلك الزمان أثرت في قلوبهم تأثيراً لا يمحوه كرور الأيام كما أنها أثرت في كل الألمان فاضمروا من ذلك الزمان سوء الفرنسيين وصمموا على الانتقام الذي صادف شيئاً مما أَرْضاهم في معركة واترلو التي سببت سقوط نابليون الأول أرضاء غير كاف اذ ان المتحدين معهم تمنعوا عن أن يتجاوزوا حدود الاعتدال في اذلال الفرنسيين فأنهزم القائد بلوشار البروسيان أن يوافقهم على ذلك رغماً عن أنفه .

﴿الاصلاح الادبي والعسكري في ألمانيا﴾

ولما كنا قد وقفنا على الضعف الذي كان البروسيانيون عليه في أوائل القرن التاسع عشر كان من اللازم أن نبحت لنرى كيف تمكنوا من أن يبلغوا من القوة الدرجة التي بلغوها بحيث تبين منذ سنة ١٨٦٤ أنهم أمة تغلب فانهم ابتدؤا من هذه السنة بقيام حروب انتصار أولها فتح ولايتي الشالسويك والهولستين وضمهما إلى الحكومة الألمانية ولا يخفى أن التاريخ قد أثبت أن كل الأمم التي نهضت مما يعد ضعفاً بالنسبة إلى القوة متي وصلت إليها والدرجة التي بلغتها من السطوة والعظمة تأثرت تأثيراً مهماً بواسطة تهيجات الشعراء والكتاب الذين كثيراً ما حركوا قلوب الشعب إلى محبة المجد والفتوحات فان الشاعر كورنار والشاعر ارندت وغيرهما من الشعراء الالمان قد قاموا بحق واجباتهم بكتابة الأغاني الكثيرة الحربية التي كتبوها وكانوا غالباً يبنون

كناياتهم وأغانيهم على أن لألمانيا حقاً أن تمتلك كل الرين وقد أتت هذه الأغاني بالتأثير المرغوبة وحملت الأهلين على بغض الفرنسيين وهيجتهم إلى طلب ترجيع الولايات التي أخذتها فرنسا من ألمانيا في القرون الماضية .

ومعلوم أنه لا فائدة من تهيج الأمة إلى ذلك بدون أخذ الوسائل اللازمة لاستخدام ذلك الهيجان في أمور مادية ولا يخفى أنه من عادات الفرنسيين إقامة جيوش كثيرة العدد قياماً دائماً بحيث كانوا غالباً قادرين أن يغزوا أو واسط أوربا كلها رغبوا في أن يغزوها فأنهم كانوا يدخلون في عسكريتهم جبراً قسماً معيناً من فتيان البلاد الصحيحي الأجسام ولم ينفوا من هذه الخدمة العسكرية غير أولاد الأرامل الوحيدة وأبكار الوالدين الذين كانوا يستندون إليهم لقيام أودهم والذين كانوا يتعلمون ليدخلوا الخدمة الدينية وقليلين غيرهم .

ولما رأى ذلك البروسيانون وغيرهم من دول الاتحاد الألماني الشمالي غزموا على أن يحدوا في ما يتعلق بالعسكرية وحدو فرنسا وان ينظموا عسكريتهم نظاماً أحسن كثيراً من نظامها بحيث يصير كل الراشدين من الذكور الصحاح الأجسام من المنتظمين في الخدمة العسكرية وقادرين على الخدمة فيها عند ما تمس الحاجة فأتى نظامهم أحسن كثيراً ولا يقتضي له من المصاريف ما يقتضي لأجراء نظام فرنسا .

تبوأ غليوم إمبراطور ألمانيا تحت ملك بروسيا في ١٨ تشرين الأول (أكتوبر) سنة ١٨٦١ الميلاد وكان يطلب إليه البرنس بسمارك بالحاح أن يتدبى في تنظيم العسكرية تنظيماً جديداً فشرع فيه بمساعدة البرنس المشار إليه سنة ١٨٦١ وكان عمر الملك غليوم حينئذ ٦٥ سنة وكان عمر البرنس بسمارك ٥٠ سنة واشتهر بسمارك بأنه من أحذق رجال السياسة في أوربا ولا ريب أنه من أكثرهم توفيقاً .

أما عدد سكان الممالك الألمانية الشمالية فكان ٣١ مليوناً من الأنفس وقرقرار المجلس العالي بعد أن صادف مقاومات كثيرة من بعض أعضائه ولكن بدون أن

يالتفت الملك غليوم ووزيره اليانكل أن يصير ادخال مائة ألف رجل في الخدمة العسكرية في كل سنة اي رجل من كل ثمانية نسمة من كل الأهالي ورجل من كل ٦٠ ذكراً راشداً وعين المجلس للابتداء في الدخول من العشرين أمامة الخدمة فتعينت ١٦ سنة منها ٣ سنوات في العسكرية النظامية الدائمة و ٤ سنوات في الرديف تحت الطلب عند الاقتضاء و ٥ سنوات في العسكرية الاحتياطية المدعاة عندهم (لاندوهر) وتكون خدمته في محل اقامته عند الاقتضاء ومع ذلك اذا مست الحاجة يصير جميعهم لمحاربة الاعداء في الخارج كما صار في الحرب الأخيرة فان هذه الجنود الاحتياطية أثبتت فرنسا وحاربت فيها و بعد مضي هذه الخدمة التي تدوم ١٢ سنة لا يخلص الألماني من واجباته العسكرية ولكنه يكون ملتزماً أن يخدم في الدفاع عن وطنه اذا دخله عدو وهكذا نرى أنه بعد ابتداء تنظيم الخدمة العسكرية بثمان سنوات أي سنة ١٨٧٠ كان الممالك الألمانية الشمالية المتحدة جيش عدده ثمانمائة ألف مقاتل جميعهم دون الثلاثين سنة هذا مع قطع النظر عن الجنود القدماء الأبطال الذين أقاموا دائماً في العسكرية وعن الجنود الاحتياطية المسماة عندهم بالاندسترم الذين لو دخل الفرنسيون ألمانيا لخدموا كمعيرهم من الجنود المنتظمة هذا ولم تدفع الحكومة أجرة الجنود الرديف والاحتياطية اذا كانوا متقاعدين أسلحة وهذا يبين ان ألمانيا كانت قادرة أن تجمع جيشاً جراراً كلما حست بدون أن تتكبد مصاريف كثيرة للحصول على ذلك الجيش وهكذا كان يتعلم كل الذكور فن الحرب بدون أن تلزم الحكومة أن تدفع أجرة كثيرين وتقوم بأودهم وكذلك كانت الحكومة قادرة عند ما تمس الحاجة أن تجمع من الجنود من النوع الثاني من الاحتياطية عدداً قدر عدد تلك الجنود ومن النظام أن ينضم كل انسان من هذه الجنود إلى الفرقة التي كان فيها لترقية أسباب الالفة الناتجة عن المرافقة . أما نظام عسكرية فرنسا وقوتها عند ما انفتحت الحرب فكان كما يأتي :

كانت فرنسا تجمع من فتيانها مائة ألف جندي كل سنة كالألمانيا ولكن بما أن

عدد سكان فرنسا كان ٤٠ مليوناً أي أكثر من عدد سكان ألمانيا بمساحة ملايين كانت الحكومة تأخذ رجلاً من كل ٣٧٠ نسمة أي رجلاً من كل ٧٠ ذكراً راشداً وفي سنة ١٨٦٨ قرر مجلس فرنسا العالي أن يزداد عدد العساكر الفرنسية حتى تبلغ الثمانمائة ألف جندي وذلك خلا أربع مائة ألف جندي من الحرس الوطني وواجبات هذا الحرس هو كواجبات اللندسترم من جنود ألمانيا ولا يخفى أن هذا الجيش هو جيش عظيم جرار غير أننا إذا دققنا النظر في نظام هذا الجيش الفرنسي نرى أن حسن نظامه كان اسماً لغير مسمى لأن كل رجل ألماني من الجيش الغير العامل كان ملتزماً أن ينتظم في سلك العسكرية عند الاقتضاء وكان يعرف حق المعرفة فن الحرب لأن الحكومة كانت قد اعتنت حق الاعتناء في ترويضه وتعليمه حال كون أسماء الجنود الفرنسية كانت أكثر كثيراً من مسمياتها وكان كل جندي فرنسي ملتزماً أن يخدم تسع سنين ونصف سنة في العسكرية الدائمة وأربع سنين في الرديف وبعد نهاية هذه المدة يقدر أن يخرج من سلك الخدمة الجندية فإذا نظرنا إلى الجيشين نظراً خارجياً نقول أن عدد جيش ألمانيا وجيش فرنسا عند ابتداء الحرب كان متساوياً ونظامهما كان واحداً غير أن في ذلك كل الاختلاف بين الجيشين فإن الألمان اعتنوا كل الاعتناء في تعليم جنودهم وترويضهم وكان عدد أسمائهم في دفاتر الحكومة مساوياً لعدد مسمياتهم ولم يكن أحد من المنتظمين في سلك العسكرية يعفى من الخدمة عند ما دعت الحكومة ليقوم بحق خدمته في الوقت المعين لها أما في فرنسا فإذا قطعنا النظر عن الإهمال الخل والمعيب الذي وقع في تعليم الجنود وترويضها نرى أن العساكر التي كان يحق للحكومة أن تدعوها للقيام بحق الخدمة كانت أقل كثيراً من الأسماء المقيمة في دفاتر العسكرية والسبب أن كثيرين كانوا قد أعفوا من الخدمة بدفع بدل تقدي وكانت الحكومة قد أهملت ما كان من واجباتها أن تعتني به كل الاعتناء وهو أن تستأجر بالمال المدفوع بدلاً من يقوم مقام الذين دفعوه أما المال فأُمسي مبذراً ولا يعرف كيف صار تبذيره

وكانت الحكومة قد أهملت تعليم المارس الوطني حتى ابتداء الحرب ولذلك عندما أقيموا ليحرسوا القلاع أو الطرق أو ينجسوا الجنود العاملة كانوا لا يعرفون كيف يقومون بالواجبات التي كانت مسجلة لهم فكانوا كأنهم زراعون جهلاء انتقلوا دفعة واحدة من الحراثة إلى ممارسة فن الحرب .

هذا وإن ما قررناه عن تقصير الفرنسيين والخطأ الذي خاض نظام عسكريتهم كلف لتبيان حقيقة فساد النظام الذي أضعف قوة فرنسا العسكرية في ذلك الوقت مع أنها كانت أقوى قوات أوروبا وأنظمتها فظهر ضعفها منذ ابتداء الحرب وليس فقط ذلك ولكنه تبين حالا أن الألمان كانوا يعرفون قوة التسلاح والمقصود المبنية في شمالي فرنسا واستعداداتها وتقسيم البلاد الواقعة ومعاربها وجاهاتها وطرقها أحسن كثيرا مما كان يعرفها القواد الفرنسيون أنفسهم وهذا أثارهم بما لم يخطر لهم ببال وكذلك كانت الامة الفرنسية وأمبراطورها ووزرائه لا يعرفون ما كان من واجباتهم أن يعرفوه حق المعرفة من متعلقات قوة بلادهم وكيفيةها ومقدارها وفضلا عن ذلك تبين أنهم يحلون صفات الامة الألمانية وميلها ومشربها جهلا يجلب عليهم من اللوم ما هو كاف لقيام الحجة عليهم .

ولا يخفى أن الملك غليوم الألماني ووزيره الأول البرنس بسمارك كانا قد شرعا في اجراء السياسة التي كانا يستحسنانها لجهة تعظيم ألمانيا بالاتحاد قبل اشبار الحرب الاخيرة بزمان ليس بطويل وذلك باعلان الحرب على كثير من الدول الصغيرة وفتح بلادها وضمها إلى بروسيا كما فعلا في شالسويك وهو لستين سنة ١٨٦٤ وكان نابوليون مستقدا عند ما أثير الحرب على بروسيا هو وأكابر مشيريه أن هذه الدول الصغيرة التي كانت قد حاربتها بروسيا قبل ذلك بزمان قصير تسرع عند ما ترى أن الزمان قد مكبها من أن تتحد مع فرنسا في محاربة بروسيا قياما بحق ثأرها وتسترجع ما كانت قد فقدته من الاستقلال غير أن هذه الدول الصغيرة ليس فقط تمنعت عن

الاتحاد مع فرنسا ولكنها اتحدت مع بروسيا وحاربت فرنسا أشد محاربة وكان
الامبراطور نابوليون يظن أن دولة الدانمرك ستكون متحدة معه والمظنون أنه كان مصيباً
في ما كان يعتقد من أن العداء التي بين البروسيين والدانمركيين هي شديدة
والمظنون أنه لو كان ملك الدانمرك معتقداً أن فرنسا أقوى من بروسيا لاتحد معها بكل
سرور طلباً للنصرة التي تمكنه من أن يسترجع البلاد التي كانت قد أخذتها منه بروسيا
حال كونها قسماً كبيراً من مملكته الصغيرة غير أنه لم يكن معتقداً أن فرنسا أقوى من
بروسيا وكان عارفاً أنه إذا انتصرت بروسيا عليه وعلى فرنسا إذا كانا متحدين يصادف
الملك غايوم والبرنس بسمارك باتحاده مع فرنسا ومحاربه لبروسيا ما يحملهما على مهاجمة
بلاد الدانمركية وربما كانت النتيجة أخذها كلها وضماها إلى بروسيا ولذلك عزم على
الحفاظ على الحياد وقد بينت الحوادث التي جرت بعد فتح الحرب أنه أصاب
وإية إصابة .

ومن الأمور الغريبة أن نرى الامبراطور نابوليون كان يجهل حقيقة صفات الألمانين
وحاسياتهم لأنه كان من الواجب أن يعرف أنهم يعتبرون المنازعات الداخلية التي
تحدث بينهم كالإختلاف الطفيف الذي كثيراً ما يحدث بين أعضاء عائلة واحدة وأنه
لم يعرف بأن أشبه الحرب على بروسيا التي إنما هي رئيسة تلك العائلة الألمانية يقوى
علاقات الاتحاد الألماني الذي طالما رغب في إبطاله .

ومع أن العدوان الذي كان بين فرنسا وبروسيا كان شديداً جداً كان محكم
الامتين قادرين أن يفعلوا ما يمنع حدوث الحرب المهلكة التي حدثت وأن يستخدموا
المهمات الكثيرة الحربية التي اهتموا بقيامها وكانت تأتي أوروبا بالقلق الذي شعرت
به بما يؤول إلى نفع الامتين عوضاً عن أن يستخدموه في إهلاك بعضهم البعض وذلك
باتفاقهم على التمدي على العهود المقررة بالاستيلاء على الممالك الصغيرة وضم بعضها إلى
فرنسا والبعض الآخر إلى ألمانيا قاطعين النظر عن مقتضيات الصداقة والأمانة غير أن

الغيرة الكائنة بين حكام الالمين والحسد حملها على ان لا يركن أحدهما للآخر منعت
اتمام ذلك . هذا وان صدقنا كل الاشاعات التي اشاعتها الجرائد وغيرها التي ظن انها
واثن كان بعضها كذبا كان البعض الآخر مدقا وذلك قبل ابتداء الحرب نرى ان
هذه الحرب انما هي نتيجة اختلاف مصدره تلك الاعمال الغير المدوحة .

ذكرنا في ما مضى من هذا التاريخ أن الأمة الانكليزية تأثرت تأثرا مكثرا
عند ما قرأت في جريدة التيمس ما نشرته فيها بروسيا مما يتعلق بعقد معاهدة سرية
بين فرنسا وبروسيا وذلك بعد معركة سادوا من الحرب التي أقيمت سنة ١٨٦٦ بين
بروسيا وايطاليا وبين النمسا ما لها ان الامبراطور نابليون سيترف اعترافا رسميا بما
فعلته بروسيا بعد الحرب المذكورة ويسمح باتحاد كل ممالك ألمانيا خلا املاك النمسا
لتسعة بروسيا في أخذ الكسمبرج وفضلا عن كل ذلك ستتحدا لمتان اتحادهما حاجة
ودفاع وهذا الاتحاد يمكنهما من أن يخضعا لارادتهما كل ممالك أوروبا ومع أن بروسيا
نشرت هذه المعاهدة المعينة بارادتها نرى أنها لم تظهرها الا بعد أن صارت المفاوضة
بشأنها بسنين كثيرة وعند ما رأت انه لا بد من الحرب . فانكرت فرنسا ما أدعته بروسيا
من أنها هي التي طلبت اليها أن تعقدها واجتهدت في أن تالقي اللوم على بروسيا وكذلك
فعلت بروسيا غير أنها لم تقدر أن يبررا أنفسهما ولذلك وقع اللوم على الدولتين .

وفضلا عن هذه الاشاعات التي تجاب اللوم على الذين قاموا بها قد شاعت اشاعات
مبنية على أسس يركن اليها لجهة محاولة عقد اتفاق بين الدولين منذ ١٨٦٥ ما أنه ان فرنسا
تساعد بروسيا على النمسا وتأخذ عوض هذه المساعدة ليس فقط بلجيكا واللكسمبرج
ولكن بعض بلاد بافاريا الواقعة في الجهة اليسرى من نهر الرين أما بروسيا فتأخذ كل
بلاد النمسا الالمانية و بلاد هانوفر وسكسونيا وكذلك شاع ان فرنسا رغبت في أن
تضم هولندا الى بلادها وان بروسيا منعها وربما كان الذي حملها على منعها رغبتها هي
في الاستيلاء عليها .



البرنس فريدريك شارل

هذا وكيفما كانت الحال نقول أنه لا ريب في أن فرنسا وبروسيا تخابرتا بخصوص عقد معاهدة سرية مضرّة بغيرهما غير مستندة إلى الأمانة وقد قيل أن هذه المخبرات من الأسباب التي أعاققت قيام الحرب بين فرنسا وبروسيا سنين كثيرة .

ولا يخفى أنه في ابتداء الحرب قطعت أكثر الجرائد الإنكليزية النظر عن تصرف بروسيا بالمدوان السابق وقالت أنها تحب السلام وكل اجتياها مصروف في سبيل المدافعة عن نفسها ومعلوم أن صالحها في أن تكون مستعدة لدفع المهاجمات غير أن تمكن أمة تميل للسلم من أن تأتي حدودها بعد اشهار الحرب اشهاراً رسمياً بأيام قليلة بثلاثة جيوش جرارة مستعدة كل الاستعداد ومنظمه كل النظام وقادرة أن يتخابر بعضها مع البعض الآخر وكلها مع باريز هو مما يحملنا على أن نشك في صفاء طويتها وكانت هذه الجيوش مستعدة بعضها الى بعض وكلها إلى غيرها حتى أنه لو التزم أحدها أو كلها ان يتقهقر لوجد جيشاً آخر يستند اليه مع ان فرنسا التي اشهرت الحرب صرفت أساييع بدون أن تقدر أن تأتي حدودها بجيش قادر أن يصادم جيشاً واحداً من جيوش ألمانيا اما الجيش الأول البروسياني فكان خمسين ألفاً من الجنود المشاة وستة آلاف وستمائة فارس و ١٩٢ مدفعاً وكان تحت قيادة الجنرال استنمير ونائبه فون اسبرلين والجيش الثاني كان مائة وتسعين ألف جندي من المشاة وأربعة وعشرين ألفاً ومائتين من الفرسان وستمائة واثنين وسبعين مدفعاً تحت قيادة البرنس فردريك شارل الساكسوني ونائبه الكولونيل استهل والجيش الثالث كان مائة وسبعين ألف جندي من المشاة وسبعة عشر ألف فارس وخمسمائة وستة وسبعين مدفعاً وكان تحت قيادة البرنس فردريك البروسياني ولي عهد ملك بروسيا وهو ابنه ونائبه الجنرال فوه بلومثل فيكون مجموع هذه الجيوش كلها أربعمائة واثنين عشر ألف جندياً من المشاة وسبعة وأربعين ألفاً وثمانمائة فارس وألفاً وأربعمائة وأربعين مدفعاً وهذا هو أكبر الجيوش التي اجتمعت في القرون المتأخرة

وكانت كل هذه الجيوش تحت قيادة الملك غليوم ونائبه البرنس فون مولتك وهو من أقدر مقيمي الاعمال الحربية وكان مدير حركات الجيوش وفي ٢٧ تموز (يوليو) وصل الجيش الاول الى الحدود وأقام في سار ممتداً الى جهة ستراسبرج وبعض طليعته في مركز وسارلو يوس وبلسكاستل اما عمدة الجيش فاقامت في اوتولار وهمبرج ولاندرتهيل وهذه المحلات مرسومة في كل خارطات هذه الحرب وفي غاية تموز (يوليو) عبر الجيش الثاني نهر الرين عند ماننز ومانهم وفي اليوم الثاني أقام عن يسار الجيش الاول ونزل في بناسنس وزويبركن وعمدته أقامت عند خط طريق المركبات الحديدية بين لاندستوهل ولاندو وفي ٤ آب (أغسطس) وصل الجيش الثالث وأقام عن يسار الجيش الثاني وأقامت عمدته في لاندو ونوشار واسبايرس وجرمشيم هذا ولا يخفى ان من أغرب الامور سرعة وصول هذه الجيوش الجيزة المستعدة حق الاستعداد الى الحدود ولها كل ما يلزمها من الاسلاك البرقية للاستعمال في المعارك والجراحين والحمالين وكل شيء حتى حفاري القبور وتظهر غرابتها عند مقابلتها بحركة الفرنسيين البطيئة

اما مجموع الجيوش الفرنسية التي كانت عند الحدود قبل ابتداء الحرب فكان مائة وخمسة وستين ألفاً وأربعمائة جندي من المشاة وثمانية عشر ألفاً وأربعمائة فارس وأربعمائة وستة وخمسين مدفعاً خلا جيش الرديف وكان عدده واحداً وستين ألفاً وأربعمائة وخمسين جندياً من المشاة واثنى عشر ألفاً وخمسمائة فارس و١٩٨ مدفعاً وكان القائد الاول الامبراطور نابوليون ونائبه والنائب هورئيس الاركان الحربي كان المرشال لويوف وكان هذا الجيش مقسوماً الى خمسة جيوش تحت قيادة المرشال ماكاهون والجنرال فرواسار والمرشال بازين والجنرال دولاميرولت والجنرال دي فيلي وكان الجنرال بورباكي قائد الحرس الامبراطوري ارسل خلا هذه الجيوش جيشاً الى حدود اسبانيا وجيشاً قليلاً ليسعف العمارة البحرية الفرنسية في بحر البلطيك وكان وراء هذه

الجيش الفرنسي في القلاع الحصينة المسماة ميتس وستراسبرج وفالسبرج وبتش وطور وغيرها

— معركة سار بروك —

(فاتحة القتال)

وحدثت حركات حربية كثيرة قبل ان اشهر الحرب رسمياً في برلين في ١٩ تموز (يوليو) سنة ١٧٨٠ للميلاد وكانت طليعة الجيش الفرنسي في لاندوف في ١٦ الشهر المذكور وفي ١٧ أخذ الفرنسيون في الاجتماع في ميتس وكان البروسيانون قد نزحوا في قرية فرنساوية بالقرب من لونكوي وفي ٢٣ من الشهر المذكور هدم البروسيانون الجسر الذي كان يصل ستراسبرج بكهل بالبارود وفي اليوم الثاني دخلت فرقة من الفرسان البروسيانيين البلاد فرنساوية بالقرب من ساريكوميتس وقطعوا الطريق الحديدية التي بين المكان المذكور وهاكينو وهكذا قطعوا العلاقات فرنساوية مع سان افولد وبتش وفي ٣٠ تموز (يوليو) دخل فرنسا عندلوتر بروج عشرون فارساً من الباديين وقطعوا السلك البرقي الذي كان مقاماً على الطريق الحديدية الى نيادربون وفي اليوم الثاني هجم بغتة على هؤلاء الفرسان الباسلين وهم يأكلون في الصباح في بيت زراع مبني في تلك الجيرة وفي هذه المعركة الصغيرة قتل مسترونسلو الذي كان قد انتظم في سلك جندي بروسيا طوعاً وهذا الضابط الاول الذي قتل في هذه الحرب هو رجل انكليزي اما العالم فكان ينتظر بفروغ صبر ورود اخبار نتيجة المعركة الاولى المهمة وكان لا يعرف حقيقة الفرق في عدد الجنود وفساد الجندي فرنساوية ولذلك كان الاكثرون يظنون ان النجاح يكون لفرنسا وليسوا بقليلين الذين كانوا يظنون ان النجاح انما يكون لبروسيا ومع ذلك كان اختبار اهل العالم الماضي يحلمهم على ترجيح نجاح فرنسا والخبر الاول الذي ورد بهذا الشأن ثبتهم في ظنهم وهذا الخبر هو خبر نتيجة معركة سار بروك التي انتصر فيها الفرنسيون غير انها كانت معركة صغيرة لا يعتد بها وعلى الخصوص اذا قابلناها بالمعارك التي كانت بعدها

وتقلد الامبراطور نابوليون قيادة الجيش وأقام امرأته الامبراطورة أوجيني نائبة على الامبراطورية وأخذ ابنه البرنس امبريال معه الى الحرب وكان هذا البرنس قد بلغ سن ١٦ وكان قد تقرر انه راشد عند ما بلغ سن ١٤ وفي المعركة كان راكباً بجانب أبيه وكان يعرف الامبراطور انه يلزم ان يفعل ما ينشط جنوده وكان عارفاً ان جيشاً المانيا كان مقيماً في ساربروك التي كانت ذات أهمية فانها مركز ثلاثة طرق حديدية فعزم على مهاجمتها وصار القيام بذلك في مدة قصيرة وفي ٢ آب (اغسطس) تقدم جيش كثير العدد من فرنساويين وأتى التلال التي كانت تمكنهم من أخذ المدينة فابتدأت المعركة حالاً وفي أولها صرخ فرنساويون صراخاً عالياً مترجحين بالامبراطور وابنه البرنس فتقدما وقد قال من يركن الى قولهم انهما اقاما في مكان يقع فيه رصاص بنادق العدو وكان هذا الرصاص يسقط حولهما مدة المعركة بطولها اما المدافع فرنساوية الراشة المعروفة بالمترايوز ففعلت افعالا مهلكة وهي مدفع ذو محملات كثيرة يطلق بسرعة وكان الالمان لا يعرفون مفعول هذا المدفع فهاك كثيرين منهم ومع ذلك دافع الالمانيون عن المدينة ببسالة غير انهم رأوا في نهاية الامر انهم غير قادرين على الثبات فاخلوها وتقهقروا بدون ترتيب

وكانت النيران التي شبتها في ساربروك طلقات المدافع فرنساوية قد احرقت بيوتاً وأما كن كثيرة وفي الساعة الاولى بعد الظهر ارتد الالمانيون ونزل فرنساويون المنتصرون في المدينة واستولوا عليها وكان ذلك بدءاً استيلاء فرنساويين على بلاد المانيا ونهايته ولما اخذت نيران هذه المعركة أرسل الامبراطور خبراً على السلك البرقي الى امرأته الامبراطورة التي كانت نائبة عنه في القيام بمهام الامبراطورية وهو متقلد قيادة الجيش العمومية في الحرب وكانت مقيمة في باريز وهذا تعريب تلك الرسالة البرقية التي حملت الى الامة فرنساوية بشرى فوز لم تسكن تترصده حدوث ما حدث بعده: ان لويس البرنس الصغير (الذي هو ولي العهد) قد اعتمد الآن بالنار وقد كان



معركة سار بروك

هادئا هادئا عجيباً ولم يتأثر أبداً وقد نزلت فرقة من جنود الجنرال فرواسارد في الاعالي المشرفة على الناحية اليسرى من سار بروك اما البروسيانيون فقد ناضلوا حق النضال وكنا في الجهة المقابلة وكان الرصاص وكرات المدافع تتساقط تحت أقدامنا وقد التقط لويس واحدة كانت قد سقطت بقربه . وقد اغرورقت اعين بعض الجنود بالدموع عند مارأوه على ما كان عليه من السكينة ولم يفقد مناسوى ضابط واحد وعشرة رجال

(الامضاء) نابوليون

ومن مطالعة الصورة المطبوعة في جانب هذه الصفحة يرى ان البرنس هو الراكب الجواد السائر بجانب جواد أبيه الامبراطور وبرنيطته محاطة بمنسوج ايض ولا ريب ان الامبراطور والبرنس ابنة اقاما في مكان كانا فيه عرضة للخطر عند ما كانت نيران الحرب تشب في سار بروك وثبتا الى المنتهي ثباتاً ممدوحاً وفي المساء رجع الامبراطور الى معسكره في ميتس اما البرنس امبريال فالظاهر انه لم يكن يخطر له ببال حدوث ما حدث من الولايات التي خلعت اباه عن تحت الملك وألزمته هو وامراته وابنه ان يعيشوا منفين خارج فرنسا فاخذ يشتغل بعد المعركة في تصوير صورة المعركة وأرسلها الى ابن البارون لومبارت الذي كان من أعز أصدقائه وكان منخرطاً في سلك الجندية في احدي فرق الحرس الامبراطوري . اما تسليم سار بروك فلم يعد سوي نجاح جزئي حتى ان الفرنسيين أنفسهم لم يعدوا ذلك من الانتصارات العجيبة ولا من الحروب التي ظهرت فيها بسالتهم في أراضي المانيا ولم يصدق الالمانيون عند ما قالوا باحتقار ان هذه المعركة انما هي نزاع صغير خارجي لا اهمية له لان الظاهر انهم كانوا ينظرون الى هذه المدينة بعين الاعتبار لانها مبنية في الحدود ولذلك دافعوا عنها بضع ساعات بكل نشاط وثبات ولم يتركوها الا بعد ان فعلت فيهم طلقات المدافع الفرنسية الراشة فعلا مضرا جدا أهلك منهم أكثر مما هلك من أعدائهم المهاجمين ولا يخفى أنه مع أن الالمانيين كانوا يتمنعون عن اظهار تأثيرات الفرع الشديد

عند ما كانوا ينتصرون الانتصارات التي لا مثيل لها كانوا يجتهدون في أن يظهروا أنه لا أهمية للانتصارات القليلة التي انتصرها الفرنسيون كما أن هؤلاء كانوا يعظمون فوزهم القليل الذي لا يقال أنه ذو أهمية .

وقد قلنا ان الامبراطور نابوليون قد رجع إلى ميتس بعد هذه المعركة أما الجنرال برواسارد فلما علم بنزول البروسيين في قرية بجوار ميتس تدعى جوهان وذلك في الجهة المقابلة نهر السارت تحصن بين مدينة ساربروك والنهر ليحمي الاملاك الفرنسية التي كان يظن أنها كانت تحميه حق الحماية في تلك الظروف .

ولم تكن هذه هي المعركة التي أطلقت فيها المدافع الراشة وحدها المرة الاولى ولكنها هي المعركة الاولى التي أطلقت فيها البنادق الفرنسية المعروفة بالشاصبو وتقابلت مقابلة امتحانية بالبنادق البروسية المعروفة ببندق الابرة والنوعان من أحسن الاسلحة غير أنها ثقيلة اما بندقية الابرة فقد تسمت بهذا الاسم لان دفع الكرة منها يكون قطعة من الفولاذ كالابرة وسرعة اطلاقها ثلاثة اضعاف البنادق الاعتيادية التي يصير حشوها من أسفل حديدتها وسرعة بندق الشاصبو الفرنسية هي أكثر قليلا من بندق الابرة غير ان الشاصبو اضيق من الابرة ورصاصها أصغر ولذلك يقدر الجندي ان يحمل من رصاصها أكثر مما يحمل من رصاص بندق الابرة ويقال ان مسافة طلقها أبعد ورصاصها ينسفع مستقيماً أكثر من رصاص بندق الابرة والمؤكد أن رصاصتها تنفجر بعد خروجها من فمها ولذلك فعلها أكثر تأثيراً من رصاصة بندقية الابرة وبما أن حديدة بندقية الشاصبو الفرنسية هي أضيق من حديدة الابرة تتوسخ حالاً بتوسخ البارود والستيك الذي يدفع الرصاصة يذوب بسرعة ولذلك كثيراً ما كانت بنادق الفرنسيين تتعطل فيتوقفون عن استعمالها إلى أن يتمكنوا من تنظيفها وكذلك كثيراً ما تتعطل ابرة البنادق الالمانية المذكورة فتتعطل كل البندقية وحاصل الكلام ان النوعين هما من الاسلحة القتالة والمهلكة ومع ذلك يطرأ عليهما ما يقل كثيراً نفعا ولذلك يقول كثير من أصحاب المعرفة في عمل الاسلحة أن البندقيتين المارتين اللتين

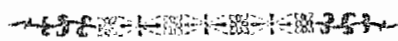
ربما كانت دولة انكلترا مصممة على ان تقلدهما لهما كرهاهما أحسن بنادق الدنيا ومع ان الفرنسيين حازوا النصر في ساربروك يقال ان لوائح السكر والهم كانت تلوح على وجه الامبراطور نابليون والظاهر انه كان يخطر بباله ما كان يحمله على انتظار حلول الهوان الذي حل به وقد قال كتاب الجرائد ان هذه اللوائح كانت تلوح على وجهه منذ خروجه من باريز الى أن تم الويل والمظنون ان ذلك انما كان لتأثير الاخبار التي تكاد تؤكده انه كان يعرفها لانه يصمم علينا ان نقول بتأكيد انه لم يكن عارفا بان أولئك الوزراء الذين كان يركن اليهم كل الاركان كانوا قد خدعوه وأى خداع فانه كان قد قيل له بتأكيد ان استعدادات جيوشه هي أحسن وان كل ما يلزم لها معد بطريق يتكفل لها بالفوز

فلما أتى الحدود كان منتظراً ان يرى جيوشه على الحالة التي قيل له انها عليها غير انه رأى عند فوات الفرصة الممكنة من العدو عن الحرب أو الاصلاح انها لم تكن حسنة الترتيب والنظام وان الفرق لم تجتمع حق الاجتماع وان الضابطون الاولين كانوا يحتاجون الى صفات عسكرية اما الضباط الالمانيون فكانوا يشاركون الانفار العسكرية في اتمامهم وكانوا مثل السبارتين لا يبالون بالتمتع والخدمة اما القواد الفرنسيون فكانوا غائمين في أبحر التمتع والملذات فامسوا لا يهتمون بشيء بل دأبهم عدم اركان بعضهم الى البعض الآخر واتوا ساحة الحرب بالطباخين والمآكل والمشارب والحشم حتي ان بعضهم استصحب نساء من الفاجرات . ولا عجب اذا لاحت لوائح السكر على وجه الامبراطور بعد ان رأى ما يأتيه ويأتي بلاده بالويل والهوان والذل والعار

وفي اليوم الرابع والعشرين من شهر تموز (يوليو) وذلك قبل استلام ساربروك بأسبوع ذهبت الامبراطورة اوجيني بصفة وكيلة الامبراطور الى شانبورج حيث كانت العمارة المدرعة البحرية الفرنسية مستعدة للذهاب الى بحر الباطيك وتلت خطاب الامبراطور للشعب الفرنسي بين الجماهير المجتمعة للاستماع الذين أظهروا امارات

الأركان للدولة والنفيرة عليها و بعد ذلك صار ارسال عمارة بحرية وكان يظن فرنساويون ان هذه القوة البحرية ستأتي بأعمال كثيرة نافعة لانه مقرر ان فرنسا أقوى جسداً من بروسيا في البحر فقامت هذه المراكب الحربية الحصار على المواني الألمانية الواقعة على الشطوط البلطيقية وطراً ضرر على تجارة المانيا غير ان هذه العمارة الكبيرة التي كانت تحت قيادة الأميرال بون واليموز لم تقدر ان تحصر غير اسكتلين تجاريتين المانيتين صغيرتين وتمسك بعض مراكب تجارية المانية ولما رأت الدول المحافظة على الحياض ما رأت من قلة نفع هذه العمارة القوية تعجبت عجباً تملأ كي شدته شدة كندر فرنساويين لما خابت آمالهم من الحصول على نفع من خدمة هذه القوة البحرية وذلك كخيبة أمل الأنكليز في حرب القرم فان روسيا كانت تعرف ان قوتها البحرية هي دون قوة انكلترا فانقرت بعض مراكبها وسترت البعض الآخر وراء المراكب التي اغرقها بنوع يمنع الأنكليز عن الوصول اليها وكذلك الالمان لم يمكنوا فرنساويين من ان يصادموهم في البحر ولا يخفي انه اذا تمتعت مراكب دولة عن ان تنازل مراكب أعدائها في البحر تقدر هذه المراكب ان تنزل بها ضرراً

وبعد انتصار فرنساويين الغير المهم أتت على قدم السرعة ويلاهم التي لم تتأخر يوماً واحداً الا بعد ان وصل الالمانيون الى تحت أسوار باريز بعد ان استولوا استيلاء مطلقاً على كل الولايات الشمالية الشرقية من فرنسا



— واقعة وايسميرج وغيرها —

وبعد طلوع شمس اليوم الرابع من آب (اغسطس) أي بعد ان فتح فرنساويون ساربروك يومين بينما كانت جنود فرقة الجنرال دوي فرنساوي مهتمة بإعداد الطعام علي قم عالية تدعى ميبورج وهي تبعد ميلاً واحداً عن وايسميرج التي تبعد بضعة أميال

للجهة الجنوبية الشرقية عن سار بروك وهي داخلة في الحدود الفرنسية هاجتهم بغزة الجنود البروسيانة التي تحت امرة ولي عهد بروسيا وهي المعسكر الثالث اما مدينة وايسميرج فبنية على شاطئ نهر لوتر وهي ذات حصن منيع محصنة بحصون تسمى حصون وايسميرج وهذه الحصون مبنية على شاطئ اللوتراتي بالفرنساويين من الاراضي التي داخل الحدود وتتصل بواسطة الطرق الحديدية بحصون هاكينو الفرنسية وقلعة لاندو الالمانية في بافيرا اما الاراضي المحيطة بها فهي محروقة حرائة حسنة وذات احراش مرتبة ظريفة وفيها ماء وقرى صغيرة ودساكر وفنادق . ولما طلع الفجر كان الجو ساكنا سكونا جميلا مؤثرا وكان الفرنسيون معسكرين في اعالي جبل يشرف على واد عميق يرى من ينظر منه اطراف الوادي الواسعة وكل علامات السلام والنجاح وكانوا قد أرسلوا في اليوم الذي قبله جواسيس ليقتفوا على خبر الاعداء فلم يروا ما يقتضي أن يتحذروا منه ولم يكونوا يظنون ان العدو قريب منهم لان ظلام الفجر كان يحجب اعداءهم عنهم وبينما كانوا على تلك الحال رأوا سلام الوادي يتكدر بغزة بسقوط كرات محشوة كثيرة وقاتلة في المعسكر الفرنسي وفي البلدة المجاورة احرقت بيوتا كثيرة من بيوتها حتى قبل ان تمكن الفرنسيون حق التمكن من تقلد أسلحتهم وجدوا جيشا جرارا يهاجمهم قاطعا النهر الضيق القليل الماء من اماكن كثيرة ومسرعا بالتقدم اليهم

اما البلاد الواقعة في عبر النهر فهي بلاد المانية وفيها احراش كثيرة ملتفة وفيها تجمع الجيش الالمانى الذي كانت طليعته قد نزلت في فاندن جانش في طريق تريفس الحديدية بدون ان يراه الفرنسيون لان اجتماعه كان في الليل وعند طوع الفجر استعد للمهاجمة اما الفرنسيون الذين كانوا نازلين في مكان مرتفع فبدلوا الجهد ليدافعوا عن مراكزهم غير انهم رأوا بعد ابتداء المعركة بزمان قصير انه لا أمل لهم بذلك لان الاعداء كانوا قد هاجموا مقدمتهم وجناحيهم في وقت واحد وذلك بقوة تفوق كثيرا

قوتهم فلذلك تفتقروا حالا اما الفرقة الفرنسية التي كان يقودها الجنرال دويي التي كانت قد عسكرت في وايسمبورج لتقي جيش المارشال مكماهون وهو سائر من ستراسبورج وهي على يسار الخط الفرنسي لتتمكن من الاجتماع بجنود الجنرال دونالي في بيتش التي تبعد بضع أميال عن وايسمبورج الى الجهة الشمالية الغربية فكان عددها عشرة آلاف مقاتل اما عدد الجيوش التي كان يقودها ولي عهد بروسيا وهي من الفرقة الخامسة والفرقة الحادية عشر البروسياتيتين والفرقة الثانية البافارية فكانت من ٥٠٠٠٠ الى ١٠٠٠٠٠ وربما كان الصحيح ٧٥٠٠٠ وهذا يبين انه لم يكن للفرنساويين أمل بالنجاح والظاهر ان هذا العمل هو الخطوة الاولى من الاغلاط الكثيرة التي طرأت على ادارة الجيوش الفرنسية في هذه الحرب وقال قوم ان الامبراطور كان قد أمر المارشال مكماهون ان يسير بجيشه الى الجهة الشمالية ويتقدم في الحدود التي لا يفصلها عن حدود المانيا جبل ولا نهر وهكذا أمسى مكماهون بعيدا عن الجيوش الفرنسية التي تقدر ان تسعفه عند ما تمس الحاجة لانه كان عرضة لمهاجمات الالمان ولذلك صار ارسال الجنرال دويي ليحرس مسير الفرق الاربع التي يقودها المارشال مكماهون ويحميها في المكان الذي كان يخاف من أن يفدره المدوفيه والظاهر انه لم يخطر لاحد من القواد الفرنسيين ان الفرقة المرسلة لتحمي فرق مكماهون كانت معرضة نفسها لخطر غدر العدو بها كالفرق التي كانت تفوقها عددا فكانت النتيجة انكسار الفرنسيين في أول معركة كبيرة وتشيت شمل فرقة كاملة من جيشهم ومع انه لم يكن للفرنساويين غير ثلاثة مدافع ليصادموا بها عدوهم الذي كان معه مدافع كثيرة هجموا بهجمة الاسود الضارية على الجيوش المهاجمة لانهم كانوا يعرفون انه لا أمل لهم الا بان يقاتلوا بالسيف والحرب لانه لم يكن لهم من المدافع ما كان يلزمهم للذب عن أنفسهم ونزال جيش عدده يفوق كثيرا عددهم ولما هجموا تركوا وراءهم ما يحمله الجندي على ظهره للقيام باحتياجاته اما البروسيانون فاضرموا في وجوههم نيران مهلكة وخفيفة

فكنت بهم فتكاً شديداً فالتزموا ان يتقهقروا ويلتجئوا الى بيوت الفلاحين القريبة منهم غير ان البروسيين طاردوهم وأخذوا منهم هذه المراكر وبعد ذلك اشتد القتال بالسيوف والارباب اشتداداً عظيماً وقيل ان فرقة (التركو) وهى فرقة من الجنود المنظمة في الجزائر وأكثرها من العرب وبعضها من الجنود وفيها قليلون من الفرنسيين كانت تقاتل قتال الاسود الضارية وتهاجم هجوم من لا يخاف الموت ولا يخشى فعل آلات الفناء فكانوا يتعضون على الالمان والكرات المدفعية ورصاص البنادق تنصب عليهم كانهضاب البرد ويقاتلونهم بحراب البنادق بدون ان يباليوا بما كان يهلك صفوفهم كاملة من صفوفهم دفعة واحدة وقد قاتلت كل الفرقة قتالاً يستحق المدح وثبتت ثباتاً يليق بالجنود الفرنسية وفي الأثناء وصلت الى ساحة القتال فرقة أتت في المركبات البخارية غير انها لم تعرف بشبوب نيران الحرب هناك الا عند ما وصلت الى المعركة فنهزت هذه الجنود بسرعة لا مزيد عليها من مركباتها وهجمت على الاعداء لمساعدة رفاقها ودخلت في معمة القتال خائضة في بحيرة من النار المضطربة على ان كل ما أظهره من البسالة والشجاعة كان عبثاً لان قوة مدافع عدوهم كانت أكثر جداً من قوة مدافعهم وعدد عساكره أكثر كثيراً من عساكرهم فدامت الحال على هذا المنوال الى الظهر فقتل الجنرال دوي وجرح الجنرال مومغادي وغيرهما كثيرون من الضباط والقواد جراحات بليغة وتأكد الفرنسيون عند ذلك ان النصر لاعدائهم ومع ذلك لم يسلموا وفي الساعة الثانية بعد الظهر تأكدوا ان المدافعة تأتيهم جميعاً بالهلاك فأخذوا يولون الادبار هاربين الى الاحراش الواقعة وراء وايسمبورج تاركين في ساحة القتال خيامهم ومدافعهم ومهماتهم وجرحاهم وزادهم وقد قيل انه عندما كانت نيران المعركة شديدة الشبوب أخذت فرقة التركو (العرب من الجزائر) ثمانية مدافع من الالمان ولم يتمكنوا من ذلك الا بهلاك كثيرين منهم ومن الاعداء الذين كانوا يصادونهم غير ان فرقة من الفرسان البروسيين المدعوين هوسارز استرجعوها بعد

ذلك وشكك بعضهم في الهجوم لاستردادها

ولا يخفى ان الالمانيين أنفسهم يقولون ان هؤلاء الفرنسيين أظهروا من الشجاعة والبسالة والثبات ما يستحق كل المدح لانهم كانوا خمس مراراً أقل منهم فكان الجندي يقاتل خمسة وثبتوا في النزال ساعات كثيرة في ظروف رديّة جداً أخطأ الذين وضعوهم فيها أما الذين ساءوا من الفرقة الرابعة والسبعين الفرنسية فكانوا أربعة عشر رجلاً فأصروا على عدم التسليم ولو لم يهجم عليهم البروسيانون ويغلبوهم بكثرة العدد ويمسكهم لثبتوا الى أن قتلوا عن آخرهم

ولا ريب ان الجنرال دوي قتل بكرة محشوة على انه لما كانت البسالة والشجاعة وحب الوطن مما يتحلى به القواد الفرنسيون الشديدين التهييج ربما كان قد أهلك نفسه ضحية وطنه المحبوب عنده عند مارأي ان الدائرة ستدور عليه ورأوه عند الظهر بعد ما خاب أملاه من الفوز واقفاً في مكان عال معرضاً نفسه ليران العدو وكان ينظر الى اجتهد عساكره الأخيرة النشيطة وبعد ذلك أخذ ينحدر في احد ورقائد حصانه ثم باغ الضباط أوامره ثم أطلق غدارته على حصانه وقتله وبعد ذلك أخذ يصعد على تل مقابل لذلك الاحدروسار الى جهة الاعداء فسأله بعض عساكره قائلين الى أين تذهب فاجابهم اني ذاهب الى الالمانيين وسار مسيراً زميلاً الى ان اصبته الكرة المذكورة وقتلته حالا

وفي المساء التجأ أكثر الجنود الفرنسيين الذين انهزموا الى قلعة ها كينو وكان منظرها في الساعة الثامنة افرنجية بعد الغروب محزناً ومكسراً جداً فان أهالي القرى المجاورة رجالاً ونساءً وأولاداً كانوا قد التجأوا الى هذه القلعة خوفاً من ان يأتيهم البروسيانون لانهم كانوا قد سمعوا بالويل الذي كان قد طرأ على جنود بلادهم فأتوا بمركبات فيها أثاث بيوتهم وفرشهم وزادهم ونزلوا في الشوارع تحت الاشجار وكان كثيرون منهم ينوحون نوحاً شديداً لانهم كانوا معتقدين ان بيوتهم قد أمتست رماداً

وكان يأتي معهم ووراءهم الجنود الفرنسيون المنهزمون الذين كانوا يصلون الى بلدة القلعة وقد أضلّهم السبب والجوع وكانت أرجلهم مهشمة من المسير فان كثيرين منهم كانوا قد أقاموا ٢٤ ساعة بدون ان يأكلوا شيئاً لان العدو هاجبهم وهم يبيتون أكل الصباح وكانوا جميعاً يقصون خبراً واحداً مكدراً فانهم كانوا قد قاتلوا حتى كادوا من القتال ولو كانوا عشرين ألف جندي لآخبروا بما لم يقدرُوا ان يخبروا به حينئذ لان كثرة جيش أعدائهم طرحتهم في الويل ومنهم من كان حاملاً سيفاً من سيوف ضباطهم الذين قتلوا أو غدارات من غداراتهم وكانوا يقبلونها ويكون فقدان أصحابها أو فقدان رفيق محبوب وكانت المركبات تأتي المدينة في الليل وفيها الجرحى الكثيرون الذين كانوا قد جرحوا في تلك المعركة فكانوا يأتون بهم الى المستشفيات وكانت بنات الرحمة يركضن في الشوارع من مكان الى مكان طالبات الاسعاف لمداواة المجرّحين و بعد ذلك بزمان قصير ضربت الطبول لجمع رجال المطافي الذين من أعمالهم اطفاء النيران عند ماتشب في البيوت ليذهبوا ويأتوا بالجرحى الذين خارت قواهم قبل ان يصلوا الى المدينة فسقطوا في الطريق ليدفنوا الذين ماتوا منهم وقد قيل انه قتل من الفرنسيين وجرح ثلاثة آلاف جندي وهم نحو ثلث كل الجيش الفرنسي الذي حارب في ذلك المكان أما عدد قتلى الالمانيين وجرحاهم فلم يصدر تقريره غير انه قد قيل انه كان كثيراً فانه قتل وجرح من الضباط البروسيين خلا بقية ضباط الالمان ١٨٥ ضابطاً

أما البروسيانيون فهاجموا جسبرج بثبات عجيب وبسالة لا مزيد عليها فانهم هجموا صاعدين على التل والفرنساويون يطلقون عليهم نيران مهلكة بدون ان يطلقوا هم بندقية واحدة مع ان كثيرين منهم كانوا يقعون وهم سائرون مجروحين جراحات مهلكة ولما بلغوا قمة التل هجموا على الفرنسيين بالسيوف والحراب وكانوا ينجذلونهم بقوتهم وثقل أجسادهم وهذا هو الذي كان يجعل الفرنسيين يخافون ان يقاتلوا الجنود

الانكليزية بضرب السيف وطعن الخراب في المارك القديمة واذا عرفنا ان ثقل
أجساد ثلاثة رجال فرنساويين هو ثقل رجلين المانيين نقول انه لا عجب من انتصار
الالمان على فرنساويين في معركة كان عددهم أقل كثيرا من عدد الالمان وكان القتال
بالارباب والسيوف والمهاجمون أقوى منهم وأكبر أجسادا وقد تحقق ذلك في مستشفيات
الالمان الذين وزنوا جنودا فرنساوية وألمانية ووجدوا ان الفرق هو الثالث لانه لا يخفى
ان كبر الجسم وثقله لا يسعفان صاحبهما اذا أقيم القتال باطلاق الاسلحة عن بعد
ولكن اذا اشتبك المتقاتلون وتطاعنوا بالارباب وتضاربوا بالسيوف يكون لهما مفعول
وأي مفعول

هذا وقد قرر الالمان في تقريراتهم الرسمية انهم أسروا أكثر من خمسمائة
جندي من الجنود فرنساويين الغير المجروحين وان أكثرهم من (التركوا) وانهم
أخذوا مدفعا فرنساويا وقد قال فرنساويون انهم تمكنوا من أخذ هذا المدفع بسبب
قتل الحصان الذي كان يجركه، وبعد هذه المعركة فر فرنساويون الى جهة قلعة
بيتش والظاهر ان الالمان لم يطاردوهم مسافة طويلة ولو أطلوا طرادهم لأسروا منهم
كثيرين وعند ذلك عبر بعض الجنود البافارية النهر عند لوتربرك وحاولوا ان يسدوا
على فرنساويين المتقهقرين مذهب الفرار غير ان مسير المهزومين كان سريرا فلم
يتمكنوا من تنفيذ مقصدهم وعلى الخصوص لانه لم يكن مع ولي عهد روسيا فرقتاه اللتان
من الفرسان البروسيايين ولذلك كان لا يقدر ان يتبع المكسورين
أما الجنود البافارية التي عبرت نهر اللوتر فتعجست البلاد لجهة سالتز وأخذت
ثلاثين قاربا وجدها عند شاطئ النهر فركبتها وعبرت الى الجهة الألمانية بسلام

ومع ان فرنساويين انهزموا في معركة وايسميرج هزيمة أثبتتهم بخيبة الامل والجنجل
فانها لم تأت بهم بخسائر لا يقدر ان يعوضوها لان الجيش الذي انهزم فيها كان جيشا
واحدا من جيوشهم الكثيرة هزمته كثرة الجيوش التي هاجمته واذا قابلنا ويلها بويلات
المعارك التي حدثت بعدها بمدة قصيرة نرى انه كان خفيفا

ولما سمع المارشال مكماهون الفرنسي بانكسار الفرنسيين في معركة وايسمبرج و بقتل الجنرال دوي سار بجيشه الى ريتشيوم من عند حضيض جبال الفوج فاجتمعت اليه حالا بقية الجيش المنهزم فقاتل له ان الجيوش الالمانية التي كانت آتية من وايسمبرج هي كثيرة جدا حتى انه لا يقدر ان يفوز اذا صادها بالجيش الذي كان معه وربما كان الذي حملها على تبليغه ذلك خيبة أملها أو خوفها الناشئ عما صادفته في تلك المعركة التي لو ثبتت فيها أمام العدو لفعلت فعل المجانين وطرحت نفسها في الهلاك غير ان المارشال مكماهون كان يركن الى نفسه واقتداره وكان يفتخر بانتصاراته الكثيرة في الجزائر وفوزه العظيم في حروب كثيرة مجيدة في أوروبا ولذلك لم يكن من الذين يصفون الى أقوال كهذه الاقوال مصدرها الخوف وخبية الامل أما عدد جنود جيشه فلم يكن أكثر من خمسين ألفاً وربما كان أقل من ذلك وقد قال في تقريره عن هذه المعركة ان عدده كان ٣٥ ألفاً واذا قلنا ان عدده كان خمسين ألفاً نرى انه كان أقل كثيرا من عدد جيش ولي عهد بروسيا قنزل المارشال المذكور بجيشه في مركز حسن جدا يبعد نحو أربعة فراسخ الى الجهة الجنوبية الغربية من وايسمبرج وصف جيشه ببيئة نصف دائرة كان جناحه الايمن ممتدا بجانب الطريق الحديدية الممتدة على شاطئ نهر الرين الى ستراسبرج وكان وسطه على التلال مقابل قرية ريتشيوم وكان جناحه الايسر محميا بالحرس وراء القرية المذكورة وبالقرب من الطريق الحديدية التي تنفصل عن الطريق الأصلية التي تأخذ الى هاكنو وتقطع جبال الفوج في طريق يتش وأقام هناك ينتظر هجمات العدو بدون خوف واذا راجع المطالع رسوم أما كن الحرب يرى هذه الاماكن

أما ولاية الالزاس التي أقيمت فيها هذه المعارك فهي من أجل الولايات الفرنسية فان فيها جبالا واحراشا وأودية بهيجة وأنهارا كثيرة وكان المكان الذي أقام فيه مكماهون وجيشه يحاكي في المنظر المكان الذي كان فيه جيش فرنسا في وايسمبرج

وفي ٥ آب (أغسطس) سار ولى عهد ملك بروسيا بجيشه الجرار سرا الى الجهة الجنوبية الغربية من وايسمبرج وفي مساء ذلك النهار وصل الى القرب من جيش مكماهون وقد ذكر في تقارير الالمان ان عدد جيشه كان ١٣٠ ألفا فانه أثنى نجدة كبيرة بعد معركة وايسمبرج ومع ان عدد جيشه كان أكثر من ضعف عدد جيش مكماهون لم يكن راغبا في مهاجمته قبل وصول جيش الفرسان وغيره من العساكر التي كانت آتية لنجدة عساكره لان مركز فرنساويين كان حسنا جدا غير انه حدثت معركة صغيرة بين الالمان وطليعة جيش فرنسا حملت قواد الفريقين على ان يترصدوا حدوث معركة عمومية ففي الساعة السابعة افرنجية من صباح اليوم السادس من آب (أغسطس) ابتدأت المعركة العمومية وكان ابتداؤها باطلاق مدافع أطلقها فرقتان من الجنود البافارية وفرقة من جنود رتمبرج من تلال كورسدروف فهاجمت هذه العساكر الفرقة الاولى والثالثة من عساكر فرنساويين أما المارشال مكماهون فكان يخاف ان تقام مهاجمة يخسر بها جيشه مركزه ولذلك غير هيئة صفوف جيشه و بعد ان كانت كنصف دائرة صارت خطا مستقيما

فاما رأى الالمان ان مهاجمتهم لجناح الجيش فرنساوي اليساري قد ذهبت بتدبير المارشال مكماهون سدى فهاجموا وسط الجيش غير انهم ارتدوا بعد ان قتل كثير من منهم وكان فرنساويون يصادمون صداما غريبا ويدافعون دفاعا عجيبا حتى انه عند الظهر كان يظن ان النصر لهم غير انه بعد الظهر ببرهة قصيرة هجمت الفرقة البروسانية الحادية عشرة على جناح الجيش فرنساوي اليمين هجوما يزعم العجبال الرواسخ وكان يسعفها ستون مدفعا موضوعة على قمم تلال كنستل وتبين من تلك الساعة ان فرنساويين لا يقدر ان يثبتوا أمام أعدائهم مع انهم قاتلوا قتال الاسود وأقاموا نضالا مهلكا . أما الفرسان فرنساويون المدرعون فكانوا عازمين على اجراء كل ما يقدر بشرا ان يجريه ليفوزوا ويتصروا بعد ان رأوا ان النصر انما

هو لأعدائهم وقد قال مكاتب جريدة انكليزية ان ضباط فرق الفرسان الفرنسيين أتوا وودعوا المارشال مكماهون قبل ان هجموا على الاعداء وداعا نهائيا لانهم كانوا عارفين انهم سائررون الى الموت الاحمر فنجوا قليلون منهم وقتل ثلاثة ارباع أكثر فرقتهم وأخذ جناح الجيش الفرنسي الايمن يرتد تحت حماية الجناح الايسر الذي لم يقتل منه قدر ما قتل من الجناح الايمن وكان لا يزال في مرا كزه في فورشولار ورر يشوفن وقام الجناح الايسر بواجبات الحماية الصعبة قياما يستحق كل المدح فتمكن وسط الجيش من الرجوع بدون ان يقتل كثيرون منه

بعد ذلك بمدة قصيرة أخذت الجنود الفرنسية تلقى أسلحتها وتفر الى الجهة الجنوبية وهذه نتيجة الخوف الذي كثيرا ما يخامر اسل الجنود ويحملهم على التقهقر بغير انتظام وساروا عن طريق هاجينو فوصل ثلاثة آلاف منهم الى ستراسبرج وكانوا تعيين تعبا لا مزيد عليه وعند ما تم اجتماعهم انضموا الى الجيوش التي كانت تحافظ على قلعة ستراسبرج والظاهر ان ما طرأ على هؤلاء الجيوش من الخوف طرأ على بقية الجيش الفرنسي الذي كان تحت قيادة المارشال مكماهون فأخذ الجنود في القاء بنادقهم والفرار مع ان قوادهم كانوا يفرغون الجهد في ان يحملوهم على حفظ الترتيب وهكذا أمسى أعوان المارشال مكماهون وحدهم بعد ان هجرتهم الجنود فهلك أكثرهم حتى ان المارشال نفسه لم يتمكن من الوصول الى سافرن الا في مساء غد يوم المعركة فوصل متعبا كل التعب لانه كان قد سار سيرا سريعا في طرق الجبال وبقى ١٥ ساعة بدون ان ينزل عن جواده

— أسباب النشل ونتائجها —

وقد قال المرشال مكماهون ان لانكسار جيشه سيبين الاول فراغ مهمات جيشه في الساعة الثالثة بعد الظهر من يوم المعركة والثاني عدم وصول النجدة التي كان منتظرا وصولها لان السكة الحديدية التي كانت بين ستراسبرج وميدان الحرب أمست في يد البروسانيين الذين اتصروا في وايسميرج ولولا وصول فرقة الجنرال دوفالي الى ساحة الحرب وتمكنها من ان تسعف المرشال مكماهون في حماية جيشه وهو متقهقر لتكبد الفرنسيون خسارة تفوق الخسارة التي تكبدوها

أما خسائر الفريقين المتحاربين في هذه المعركة العظيمة الثانية فكانت كثيرة واسم هذه الموقعة معركة ورث ولم يعارن الالمانيون عدد الذين قتلوا منهم فيها أما الفرنسيون فلما وصلوا الى ستراسبرج وجدوا ان المفقودين من الجيش مع الخساسة أو الستة آلاف أسير الذين أسرهم الالمانيون هم ٢٤ ألفاً غير ان بعض هؤلاء وصلوا الى ستراسبرج بعد المعركة بوضع أيام وهم الذين تاهوا في الاحراش وأخذ الالمانيون رايتين فرنساويتين وستة مدافع وثلاثين مدفعا رشاشا عاديا

وفي اليوم الثاني نشر المرشال مكماهون اعلانا على جنوده ما آله انه ولئن كان الفرنسيون قد انقلبوا في المعركتين الاوليين مع انهم كانوا مؤملين ان النصر يكون لهم في كل هذه الحرب فهم لا يزالون مؤملين في تعويض ما خسر به بالاجتهاد والثبات وما يأتي هو ترجمة الاعلان المذكور:

يأيها الجنود . ان حوادث الحرب أتتكم بخيبة الامل في ٦ آب (أغسطس) غير انكم لم تخسروا مرا كزكم الا بعد ان دافتم عنها دفاع الابطال تسع ساعات والذي غلبكم كثرة عدد أعدائكم لان عددكم ٣٥ ألفاً وعدددهم ٤٠ ألفاً فالغلبة التي تأتي بها الظروف التي أتتكم بالكسرة هي غلبة مجيدة وسيقر المؤرخون ان الفرنسيين



المارشال مكماهون

هو ثاني رئيس للجمهورية الفرنسية اوية بعد الميسوتيرس للرئاسة ولد
سته ١٨٠٨ وانتخب في ٢٤ ايار (مايو) سنة ١٨٧٣ وتنازل عنها في ٣٠
كانون الثاني (يناير) سنة ١٨٧٩ وتوفي سنة ١٨٩٣

في معركة كروشولا راي ورت قاتلوا ببسالة تفوق ببسالة أعدائهم وان خسارتكم هي كثيرة على ان خسائر العدو اكثر منها ولم يتبعوكم لانكم أوجهتموهم والامبراطور معطووظ منكم وكل البلاد تشكركم لانكم دافعتم عن رايتنا ذلك الدفاع المجيد . هذا ومن اللازم ان تنسوا الولايات التي طرأت علينا لانه سيصير تنظيم الجيش الاول والمأمول اننا سنقوم بعون الله بحق انتقام مجيد (الامضا) مكماهون

هذا ولا يخفى انه من اللازم ان يصير سبل ذيل الممطرة على اعلان قصد صاحبه ان ينشط جيشاً مكسوراً لانه ولئن كان لاريب في ان عدد الجيوش الالمانية كان أكثر من عدد الجيوش الفرنسية فالملظنون ان المرشال مكماهون لم يقرر العدد الصحيح أما الجيش الفرنسي فدافع دفاعاً يليق به غير ان فراره كان فرار جيش شديد الخوف مع ان المرشال نفسه قد قال ان العدو لم يطارده

أما الامة الفرنسية فلم تتم بحق الشكر الواجب لاولئك الجنود الذين دافعوا عن رايته دفاع الابطال ومع انهم قالوا ان الجنود حاربوا ببسالة كانوا يقولون ان الخيانة أتت الجيش بذلك الويل والظاهر ان الامة كانت تترصده حلول ما حل بها فكانت تظن ان الخيانة قد خامرت كل القواد من الامبراطور الى الذين هم دونه وهكذا أمست كل البلاد في اضطراب وارتباك مع ان دوي وهو غير الذي قتل وكانر وبرووبازين ولارول كانوا يقودون ٢١ فرقة من المشاة و٨ من الفرسان خلا جيش الحرس الامبراطوري وكل هؤلاء القواد هم من أهل الملق والشهرة والنشاط وكانوا لا يزالون حاصلين على كل قوتهم لانهم لم يكونوا قد أقاموا الحروب في هذه المرة وهذا يبين ان ارتباك الفرنسيين وخوفهم كان في غير محله غير ان تعودهم الانتصار الداهم حملهم على الخوف واليأس عند مارأوا انهم انكسروا في معركتين حتى ان نتيجة رسالة الامبراطور التي بعث بها الى الامبراطورة كانت غير النتيجة التي كان قاصداً ان تنتج عنها فانه قال اننا ربما كنا قادرين ان نعوض كل ماخسرناه وهذه العبارة زادت

قلق الفرنسيين وخوفهم ولا يخفي ان الفرنسيين يحبون النجاح محبة ليس فوقها الا العبادة ولا يعذرون الذي لا يتمكن من النجاح ويمسي في الفشل ولذلك نقول انه لو نجح الامبراطور نابوليون لرفعوه الى درجة ليس فوقها الا درجة الالهية ومع انهم كانوا يعتقدون ان المرشال مكماهون هو من القواد الذين لا يغلبون باتوا بعد هذه الغلبة لا يركنون اليه وذلك لانه لم يقدر ان يغلب جيشاً عدده ضعف عدد جيشه

هذا ولا يخفي ان اسم المرشال المذكور يبين أصله الايرلندي غير ان أجساده سكنوا فرنسا قبل ولادته بقرون كثيرة وقد حاز الشهرة في الحروب التي أقامها في الجزائر وقد قال قوم من الذين يعرفون فنون الحرب وأبوابه حق المعرفة ان حروب أهل الجزائر لاتعلم القائد ان يحسن محاربة جيوش أوربية منظمة حق النظام لان معاركها يلزم لها قواد من أهل الشجاعة والاقدام لانها غير منظمة

غير ان المرشال مكماهون كان قد اقام القتال قياماً ممدوحاً في حرب القرم وكان حينئذ من الجنرالية العموميين واسعف بجيشه في فتح حصن مالاكوف وبعد ذلك اشتهر كل الشهرة في حروب ايطاليا سنة ١٨٥٩ وتبين انه من أحقق قواد هذا القرن ولذلك كان يركن القوم اليه كل الاركان اما انكساره في هذه المعركة فهو من نتائج الاغلاط الكثيرة التي ارتكبها القواد الفرنسيون في هذه الحرب فانه اقيم في مركز لا يمكنه من الرجوع بانتظام وحماية ولا من الثبات الى وصول النجدة اليه ولذلك كان يهون على جيش عدده ضعف عدده ان يتغلب عليه

هذا ويسهل على المطالع ان يعرف من ملاحظة الظروف والاحوال قدر الكدر والغم والقلق الذي خاصر الامبراطورة اوجيني زوجة الامبراطور نابوليون عندما قرأت رسالة زوجها البرقية التي بعث بها اليها من ستراسبرج عن الخسائر التي طرأت على جيشه وفيها ما يبين ان كاتبها يكاد يمسي في يأس وحسبنا برهاناً الجملية الآتية المقررة فيها وهي « لقد صادفنا رزايًا غير اثنار بما كنا قادرين ان نرد ما خسرناه » فان الامبراطور كان

عارفاً عند ما كتب هذه الرسالة انه قد دارت الدوائر عليه ولا يخفى انه ربما كانت الدوائر تدور على أعدائه لو كانت تبليغات وزرائه عن قوة فرنسا صحيحة وعلى الخصوص تبليغات وزيره الاول المسيو وليفيه الذي قال له انه داخل في الحرب بقلب خفيف اي بدون ان يكون خائفاً من سوء العواقب وكان الامبراطور يركن الى هذا الوزير أكثر مما كان يركن الى جميع وزرائه ومعلوم ان خبر انكسار الفرنسيين في المعركتين المذكورتين وتلك الرسالة البرقية المكثرة أظهرت للامبراطورة سقوط عائلة مالكة كانت مؤمنة ان حكمها يكون مخلداً بواسطة ابنها ومع ذلك لم تقصر عن القيام بحق الواجبات المهمة التي حملها اياها زوجها والمحافظة على المركز الذي كانت فيه حتى رأت في نهاية الامر انه لا مفر من الاعتزال وان امرأة ضعيفة بدون عضد ومساعد لا تقدر ان تحفظ ذلك المركز في تلك الظروف ولو كانت ذات نشاط وهمة وعلى الخصوص بعد ان حفظته أياماً كثيرة بعد ان طلب الفرار أولئك الوزراء الشديدين الاصوات والضعيفو القلوب خوفاً من انتقام الامة التي خدعوها وخانوها هي وامبراطورها ولذلك هربت الى انكلترا هذا ولا حاجة لذكر تفاصيل هذه الامور قبل الوصول اليها ولذلك كان من اللازم ان نرجع الى الكلام في ما حل بالجيش الفرنسي في رايسمبرج وورث مع المصائب فنقول :

— معركة فورباش وغيرها —

انه بينما كانت الرزايا تحمل في المكانين المذكورين كان يحدث في مكان لا يبعد عنها الا بضع اميال ما كان يزيد تلك الرزايا فانه بعد ان فتح الفرنسيون ساربروك في ٢ آب (اغسطس) أقام الجنرال فرواسار الفرنسي بالجيش الثاني وعدده من ٢٨ الى ٣٠ ألفاً في التلال المشرفة على المدينة المذكورة وبقي فيها الى مساء اليوم الخامس

من الشهر المذكور وكان معه ٧٢ مدفعا وكان الامبراطور يخاف ان العدو يهاجمهم بفتة كما هاجمهم في وايسبرج وكسرهم فامر الجنرال فروا سار ان يذهب بجيشه الى تلال اسبشن التي تقابل تلال سار بروك ولكنها احسن منها لانها مشرفة أكثر والاراضي المحيطة بهذه التلال هي ذات احراش وفيها تلال ووهاد كثيرة حتى انه كان يظن ان مرا كز الجيش الفرنسي في التلال المذكورة لا تؤخذ ومع ذلك سار الالمانيون في ٦ آب (اغسطس) في السهل الذي تشرف عليه قم هذه التلال في وسط وقوع كرات الفرنسيين المحشوة والغير المحشوة وكان سقوط رصاصهم كالغيث المنهمل وكان قد آتي الجنرال فروا سار الفرنسي بجدة من جيش المرشال بازين فاصبح عدد جيشه ٤٠ ألفا فابتدأ الالمانيون في مهاجمة هذا الجيش باربع فرق وكان عددها أقل من عدد جيش الفرنسيين غير انه وردت اليهم نجدات كثيرات حتى أمسى عدد الفرنسيين دون عددهم قبل نهاية القتال ويسمون هذه المعركة (معركة فورباش) وهو اسم قرية تبعد عن سار بروك نحو ستة أميال وعن قرية اسبشن وتلاها ثلاثة أميال ونصف ميل

وهكذا كان القتال منتشبا في ورث وقاتل آخر أضيق دائرة منه ولكنه كثير الاهمية منتشبا في هذا المكان الذي لا يبعد عن ورث أكثر كثيرا من مسافة رمية كرة من كرات المدافع القوية واجتهد البروسانيون في ذلك اليوم مرارا كثيرة في ان يستلموا مرا كز الفرنسيين ولكن بدون نتيجة ومع انهم كانوا يقاتلون ببسالة لا مزيد عليها كانوا يتقهقرون بارتباك واضطراب وبعد ان انتشب القتال زمانا طويلا تمكنوا بحذقهم من ان ينتهزوا فرصة حسنة مكنتهم منها حركة أقامها الجيش الفرنسي وذهبت به الى جهة (فورباش) ولم يكن الالمانيون منتظرين الحصول على ذلك فانه مكنهم من الاستيلاء على التلال وان يردوا جناح الفرنسيين الايسر بهجمة شديدة ونتيجة ذلك كانت قطع الفرنسيين عن الطريق الاصلية التي تأخذ الى ميتس وهي التي كانت

في أيدي الألمان فلهذا رأي الفرنسيون أنهم انقلبوا في مركز كانوا يظنون أنه مامن أحد يقدر أن يخرجهم منه تفهقروا بسرعة إلى العجة الجنوبية وأتواميتس بقطع طريق طويلة وهم مضطربون وخائفون ودامت هذه المعركة من أول النهار إلى أن خيم الظلام ولم يطارد الألمان أعداءهم والظاهر أنهم لم يكونوا عارفين حسن مراكرهم هذا ولا يعرف ماذا كان يحمل الألمان على التمتع عن مطاردة الفرنسيين عند ما كانوا يكسرونهم في ابتداء الأمر مع أنهم كانوا قادرين أن ينجوا فائدة بالمطاردة من انتصاراتهم التي كانوا يحصلون عليها بالعناء الشديد

فكان كثيرون من أعدائهم يتمكنون من النجاة من الأسر وكان الألمان يقولون أن سبب ذلك إنما هو عدم وجود عدد كاف من الفرسان معهم وأرسل الفرنسيون في ميتس جيش الحرس الإمبراطوري لنجدة جيش فرواسار وذلك بعد أن ابتداء القتال غير أنه لم يصل في الوقت المناسب ولذلك لم يقدر أن ينفع الجيش المتقهقر فأسر الألمان من الفرنسيين نحو ألفي جندي أما عدد القتلى والجرحى فليس أقل من ضعف عدد الأسرى وقد قاتلت جيوش الفريقين في هذه المعركة الدموية قتالاً يليق بأبطال وأشجعهم حتى أن الفرقة ٧٦ و ٧٧ من المشاة الفرنسيين والفرقة ٣ من جيوش الشاشوراييه أي الصيادين المشاة الفرنسيين كانت تكاد تفتي كلها ومع أننا لا نعرف حق المعرفة عدد جرحى الألمان وقتلاهم نظن أنه لم يكن أقل من عدد قتلى الفرنسيين وجرحاهم

— تطرق الخلل على الجيش الفرنسي —

وفي هذه المرة هاجم الألمان الفرنسيين بغتة فأنهم عند ابتداء القتال كان سلاح المشاة منهم منزوعاً عنهم وكانوا مشتغلين بالطبخ وبتنظيف آلتهم أو كانوا متكئين طلباً للراحة وكذلك كانت عساكر المدافع غير مستعدة وقبل أن سمعوا

دمدمة المدفع الألماني الأول بدقائق قليلة لم يكتفوا يظنون ان في القرب منهم
عدواً واحداً ونتيجة هجوم العدو عليهم بقية ارتبا بهم كما ارتبكوا في وايسبرج
غير اننا لا نقدر ان نذكرهم في تفصيلاتهم بعد أن عذرناهم مرة واحدة وهكذا أمست
جيوش فرنسا بمد هاتين المعركتين اللتين أقيمتا في ٤ آب (اغسطس) في اسوأ حال وقد
أنت خيبة الأمل عساكر فرنسا بكدار لا مزيد عليها وهذا حمل الجنود على أن
تقول مستحكة انه ليس لها من القواد من بهم الأهلية للقيام بالحروب المنتشبة ولذلك
كانت كل العساكر تقول لقد فعلنا كل ما يقدر الانسان أن يفعله وقد صيننا دما
كما يصب الماء وهكذا قد قام الجنود الفرنسيون بمقتضيات صيتهم وناموسهم غير
أننا أمسينا ضحية لأولئك الذين من واجباتهم أن يقودونا فبتنا مخدوعين ومخونين ومنذ
هذه الساعة وقع الخلل في نظام الجيش وقل اعتبارهم لقوادهم حتى ان ما كان يري من
ذلك قبل الحرب كان يمتد بعد هذه المعارك امتداداً فحلاً ومكدرأً وكان الجميع خلا
الفرنساويين يعتقدون أنه قد انقطع أمل النجاح .

وبعد معركة (فور باش) وانكسار أعظم قواد الفرنسيين أي القائد الذي
كانت تركز اليه الأمة أكثر عما كانت تركز على بقية القواديات الفرنسيين
لا يركنون إلى أنفسهم ولا يركن بعضهم إلى البعض الآخر ولا إلى حكاهم ولا
قوادهم وقد قال الدكتور روسل في وصف جنود الجيش الفرنسي المتقهقر الذي كان
تمر في قرية قريبة من ساحة الحرب وفي الكلام عن الأهالي أنفسهم ما يأتي :

انني لم اري منظراً محزناً ومكدرأً كهذا المنظر وأتوسل الى الله أن لا يريني إياه مرة
ثانية فكان رأي الجنود يحمل الانسان على أن يشفق عليهم فانهم كانوا يأتون أفواجا
افواجا وكانت ثيابهم مقطعة ووسخة وكانت لوائح اليأس وخبية الأمل تلوح على
وجوههم أما أهالي القرية فكانوا في اضطراب وارتباك وخوف وشقاء وعناء لا مزيد
عليها فانهم رأوا حالاً الشقاء الذي كان مزماً أن يحمل بهم فكنت أرى أمهات فاقداً

أولادهم و يفتش عليهم صارخات ومبديات من الحركات ما ينتج عن الحزن الشديد والخوف المتفاق وشيوخا وشيخات سائرين في الليل حاملين بعض مقتنياتهم ومترجمين الارتجاف الذي ينتج من الضعف وكانوا صامتين صمت الذين يطرأ عليهم الحزن وهم في الشيوخة وأولاداً صغاراً من الذين لم يكونوا يعرفون حقائق الواقع يخرجون قايدين هراً أو كلباً صغيراً وغير ذلك مما يحبه الأولاد ويسهرون على غير هدى بدون أن يظفروا بمن يقدر أن يسمعهم وأزواجاً كثيرين يساعدون زوجاتهم حاملين أطفالهم ومنهم من كان حاملاً طفلين أو ثلاثة ويجهد في أن يشدد عزائم عائلته بالملاطفة والتعزية وكانت أصوات اليأس والخوف ترتفع من الأحرار المجاورة مع الصلاة للسخلص والعذراء والقلم لا يقدر أن يقوم بحق وصف تلك المصائب والروايات التي حلت بأولئك الجنود والأهالي .

وفي يوم الأحد الواقع في ٧ آب (أغسطس) وذلك بعد المعركة يوم أرسل الامبراطور نابوليون خمس رسالات برقية إلى باريز وما يأتي هو ترجمة الرسالة الاولى :
قد أخبرني الجنرال جل ان المارشال مكاهون قد انقلب في معركة كان عدد جيوش الاعداء فيها أكثر جداً من عدد جيشه غير أنه تقهر بانتظام وفي الجهة الثانية وهي جهة اليسار انتشب القتال الساعة الاولى وفي أول الامر لم يتبين أنها ذات أهمية غير أنه كثرت أهميتها شيئاً فشيئاً فان عدد الاعداء كان يكثر رويداً رويداً بدون أن يلزم الفرقة الثانية أن تقهر وعند الساعة السادسة بعد الظهر تسكأثر عدد الاعداء كثيراً فالتزمت الفرقة الثانية والفرق التي كانت تعضدها أن ترجع عن التلال وان الليل قد مر ونحن في سكونة أما أنا فذهاب لا كون في وسط المراكز (الامضاء) نابوليون

والرسالة الأخرى هي بهذا الشأن وقد قال في رسالة من رسالاته الاخيرة ما يأتي :
يتشفي أن تجهد باريز وفرنسا أنفسهما جهداً مبنياً على حب الوطن . أما نحن فلم نخسر سعة صدرنا ولا أركاننا غير ان التجربة هي تجربة شديدة . انتهى

والظاهر أن ذلك الامبراطور المتفكر الذي يحكم في الأمور بالتأني والصبر رأى سوء عواقب تلك الحوادث ولذلك قال ان التجربة شديدة ولم يسقه إلى ما انساق اليه غير سوء ادارة وزرائه و بعد انتصار الفرنسيين الصغير في سار بروك بأيام قليلة انتشب القتال بين المتحاربين في معركتين وأسر ألوف من الفرنسيين وقتل كثيرون وأمسى جيشان منهما مشتتين وذلك قبل أن يمضي شهر من الزمان الذي كنا نسمع فيه الفرنسيين يضرخون قائلين : « هيا بنا الى برلين ! هيا بنا الى برلين » ومنذ الوقت الذي كان الفرنسيون يتكلمون فيه كلاماً يبين أنهم منزعجون أن ينتصروا بدون أن يجهدوا أنفسهم وقبل مضي ذلك الشهر شرع أهالي باريز في أن يستعدوا للدفاع عن عاصمتهم خائفين من أن يروا عند أسوارها ذلك العدو الذي كانوا يتظاهرون أنهم لا يباليون به

والظاهر انه بعد انكسار المارشال مكاهون قطع القواد الفرنسيون الأمل من التمكن من ارجاع نظام الجيش وتعويض ما خسروه بحسن الادارة والترتيب فأمسوا جميعاً في ارتباك وحيرة . ومن الحوادث الغريبة ما صادفه ألف جندي فرنسي كانوا سائرين في المركبات البخارية من ها كينوا الى بيتش فان قوادهم كانوا يجهلون ان الالمان كانوا قد قطعوا وايسمبج ومع أنهم كانوا يعرفون أنهم قريبون من الأعداء لم يتخذوا الوسائل اللازمة لمجانبة هجوم العدو عليهم بغتة فعند ما وصلوا الى نصف الطريق تقدمت فرقة من البروسيين المشاة وأوقفوا آلة المركبة بدون ابداء ما يمكن الفرنسيين من الوقوف على خبرهم وأسروا كل أولئك الجنود بدون أن يصادفوا عمانعة وكان هؤلاء الالمان الذين كان الفرنسيون يحتقرونهم في أول الأمر يقومون حق القيام بكل ما يلزم القيام به من الاحتياطات الحربية لمنع هجوم الفرنسيين عليهم بغتة ولاستغنام كل الفرص المناسبة لهم وكان البارون مولتك الملقب الآن كونت مولتك جالساً في وسط أسلاك التلغراف ورسوم كفيات الحرب ومعداتها وهذا الكنت هو من أحذق



الكونت مولتاك

مدبري الحرب والعارفين أبوابها وحيلها فكان يعرف كل حركات الفرنسيين واجراآتهم بواسطة جواسيسه الذين كانوا في كل مكان يلزم أن يكونوا فيه فكان ينصب الفخاخ لأعدائه في كل جهة حتى أنه كان يعرف قوة الفرنسيين وحالتهم ومسالك بلادهم وطرقها ومحلاتها أكثر مما كانوا يعرفونها هم في باريس وفي ٧ آب (أغسطس) أعلن الفرنسيون أن باريس في حالة الحصار وكان مجلس الوزراء في التمام دائم ودعت الأبراطورة إليها رئيس مجلس النواب الميسور وهر ورئيس المجلس القضائي الميسوشنيدر باكراً في الصباح قبل الظهر بسبع ساعات وقر قرارهم على نشر اعلان للامة الفرنسية مآله اخبار الأمة أن الجيوش الفرنسية صادفت تأخراً وتحريضهم على الاتحاد بقلب واحد ونفس واحدة ليبادروا إلى تعويض الخسائر التي لحقت بهم .

وكان الوزراء ينشرون الاعلانات ويلقونها على حيطان المدينة وكانوا يحثون بها الاهالي على الاتحاد ومحبة الوطن فكانوا يقولون لهم : « انهضوا غضبي وأحلفوا بأن تتجاهدوا الجهاد العظيم » وحرروا في اعلان من هذه الاعلانات ما يأتي : « انهضوا انهضوا يا رجال باريس وأنتم يا أهالي أواسط البلاد وجنوبها وشمالها الذين لا تلحق بكم ويلات الحرب بادروا بهمة واحدة إلى مساعدة اخوتكم أهالي شرقها واحملوا فرنسا المتحدة في النجاح على أن تكون متحدة اتحاداً أقوى في زمان المصائب ملتصين إلى الله أن يبارك جهادنا » وكتبت جريدة باريز جملاً مبهجة كهذه الجملة وكذلك جريدة الجورنال أوفسيل وأظهرت الأمة الفرنسية في ذلك الزمان اظهارات ممدوحة مصدرها الغيرة ومحبة الوطن وهاجت هييجانا عظيما على أولئك الذين شنوا الغارة على فرنسا وكانت تقول انهم سيدفنون فيها . ولا ريب أن أمة كالامة الانكليزية تستهزي بهذا الهيجان . على ان الامة الفرنسية ليست من جنس الامة الانكليزية وهم مفطورون على محبة الوطن والشجاعة والهيجان في الحرب .

هذا ولا يخفى أنه قد ذكر في هذا الاعلان أنه لا بد من الانتقام من الذين

تجاسروا أن يشنوا الغارات على فرنسا وهذا من القرارات التي لا يتسدر الانسان أن يقررها بدون أن يبدي ما يخطر بباله من الملاحظات عليها لأنه معلوم ان الفرنسيين شنوا الغارات على ألمانيا قبل أن يدخل الألماني بلادهم فشرح الفرنسيون في أن يحضروا باريز للحصار بحيث تكون قادرة أن تدفع صدمات جيوش منظمة وفي جمع جيوش جديدة وعزموا على أن ينظموا في الجيوش التي نقص عددها جنود الحرس المتقل والحرس المحلي وهذا يمكنهم من أن يرسلوا إلى ميدان الحرب جيشاً عدده ١٥٠ ألفاً كما أنهم كانوا قادرين أن يرسلوا الجيوش التي وقعت القرعة عليها سنة ١٨٦٩ بعد ذلك يضع أسايح وعددها ٦٠ ألف رجل وكان عندهم علاوة على ذلك فرسان ومدافع ومهندسون وجيوش والفرانتيرو وهم جنود طوعية غير منظمة والحرس الوطني وقال وزير الحرب ان مجموع هؤلاء يكون مليونين من الجنود الذين لهم ما يلزمهم من السلاح هذا خلا مليون غيرهم من الجنود الاحتياطية وأصدرت الحكومة أمراً مآله أنه من واجبات كل الرجال الذين سنهم من الثلاثين إلى الأربعين والذين لم ينتظموا في سلك جيش الحرس الوطني أن ينتظموا في سلك الحراس ليدافعوا عن العاصمة وطلبت الحكومة إلى المجلس القضائي أن يقرر أنه من واجبات كل البالغين من الذكور الذين سنهم دون الثلاثين أن ينتظموا في سلك الحرس الوطني اذا لم يكونوا من المنتظمين فيه فهذه هي الاجراءات التي قامت بها الحكومة الفرنسية للذب عن الوطن والعاصمة غير أنه لسوء الحظ كان قد خامر الفرنسيين في باريز قلق مصدره التذمر والهيجان الناشئ عن الارتباك وامتد ذلك من باريز إلى بقية البلاد حتى ان الأمة أتمت في حالة مضطربة سلبت منها النشاط الذي يجعلها أهلاً للقيام بتلك الواجبات المهمة التي كان يجب أن تقوم بها وكانت الحكومة تخشى نتائج ذلك فكتمت عن الأمة أخبار الولايات التي طرأت على الجيوش وهذه السياسة هي سياسة فاسدة وغير جائزة ومصدرها الجبن والحق فكان الفرنسيون يقفون على أخبار تلك الحوادث بمطالعة الجرائد الانكليزية

وليس ذلك فقط ولكنها خدعت الأمة عمدا فانها سمحت بنشر أخبار كاذبة عن نجاح الجنود في الحرب وهذا هو الذي حمل الأمة على أن لا تركز إلى أحكامها وعلى أن تغضب غضبا مبهجا حملها على ارتكاب ما لا يليق بها أن ترتكبه .

وفي الساعة الخامسة بعد الظهر من ذلك اليوم الذي فيه وردت إلى باريز أخبار انكسار جيش فرنسا في وايسميرج في الجرائد الانكليزية التي انتشرت في مساء أمس اجتمع قوم من الفرنسيين بقرب مكتب صراف في زاوية شارع ريشيليو وهذا المكتب للخوارجات ليون ودرهار وكلاء سفارة روسيا وكان هؤلاء القوم يطالعون أخبار أحوال المانيا ليتأكدوا من ان يتفوا على حقيقة الأحوال السياسية كما يحاول نحن ان نتف على أحوال السياسة من حالة قونصوليد دولتنا العلمية فقال رجل خارج من المكتب ان البروسيين قد ذاقوا المرارة التي يجب ان يذوقوها فظن القوم أن هذا الرجل يسخر بهم اذ أن جيوشهم كانت قد انكسرت في وايسميرج فهجموا عليه هجوما مهنسا ولولم يبادر بعضهم إلى غلق باب المكتب لدخوله وارتكبوا ما يجلب عليهم العار وأقام قوم مبهجون الليل بطوله بالقرب من هذا المكتب وكانوا يغنون أغنية المارسيليز وهي أغنية مبهجة جدا كان قد منع الامبراطور الأهالي عن أن يغنوها وكانوا يصرخون قائلين الموت للبروسيين ورأوا رجلا قالوا أنه يشبه الالمان فهجموا عليه وكادوا يقتلونه وكسروا أخشابا كثيرة من أخشاب نوافذ الخوانيت وفعلاوا غير ذلك حتى أتى حرس باريز وفرقهم وكانت العامة تميل إلى تصديق الاخبار بدون أن تدقق النظر في مصادرها وصحتها وكانت تحاول أن تبين الذين يظهرون أنهم يشكون في صدقها .

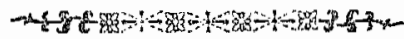
وفي ٦ آب (اغسطس) شاع في باريز ان البروسيين انكسروا كسرة شديدة ومهلكة وان الفرنسيين أسروا ابن ملك بروسيا وأتوا به إلى امام الامبراطور نابليون وأنه عند مارأي نفسه على تلك الحال قتل نفسه باطلاق الرصاص فصدق الباريزيون هذا

الخبر بدون تردد مع انه كان من الواجب ان يترددوا عن تصديقه بعدما بلغهم ما كان قد بلغهم عن انتصار البروسيين في وايسميرج وشاع الخبر في المدينة بسرعة عجيبة. وصدقته الدائرة المالية ورفعت أسعار القراطيس الدولية الى ٩٢ فرنسكا ونصف وانقاد السماسرة الى تصديق الخبر بما رأوه من الشعب فكانوا يصرخون صراخ الفرح ويرفعون برانيطهم وازدحمت أقدم المجتمعين في كل محلات الاجتماع وازدحمت المركبات حتى انه كان يصعب على الانسان ان يمر في الشوارع التي كانت فيها ونشروا الرايات في كل النوافذ ورأى القوم موسيو كوبرل المغني في مجتمع الغناء فالزموه أن يصعد على سطح مركبة مغطاة وان يغني اغنية المرسيليز وكانت السيدة ساس والسيدة كيارا كيتين في مركبة وتغنيان هذه الاغنية وهما سائرتان وكان الجمهور يسعفهما في غناء الدور وكانتا تغنيان وتجمعان اموالاً لمساعدة المجاريح وكانت باريز في هيجان شديد مقلق لان فرحها كان متجاوزا حدود الاعتدال وكان الجمهورين الذين كانوا يتجاسرون ان يقولوا انهم مرتابون في صدق هذا الخبر وبعد ان دامت الحال على هذا المنوال نحو ساعتين قال قوم من المتعقلين لماذا ياترى لم تبادر الحكومة الى نشر خبر هذا الانتصار رسمياً فلما سمع ذلك بعض الاهالي أسرعوا بالذهاب الى وزارة الداخلية وسألوا الموظفين عن صحة الخبر فقبل لهم انه لم يرد خبر انتصار الجيوش الى الحكومة فلما سمع القوم ذلك تكبدوا كدراً مهيئاً بقدر ما فرحوا عندما سمعوا خبر النصر وشاع ان قوماً من الذين لهم صواخ مالة أشاعوا ذلك الخبر فصرخ الجمهور صراخاً شديداً قائلاً أنزلوا الويل برجال المالية وبالسماسرة وهجموا على محل اجتماع رجال المالية وتمكنوا من الدخول الى ساحته الخارجية غير ان الصيارف والسماسرة تمكنوا من الهرب قبل وصول الجمهور الهائج ولولا دفاع حراس باريز لخربوا المكان ومع ذلك كان جمهور من المهيجين يسير في الشوارع من مكان الى مكان صارخاً « هيا بنا الى برلين » وكانوا يلزمون

الاهالي الذين نشروا الرايات في النوافذ وغيرها ان ينزلوها و بعد ذلك اجتمعوا امام وزارة العدلية وطلبوا ان يخرج موسيو أوليفيه الوزير الاول فخرج الى مكان مرتفع امام باب من أبواب الوزارة وخطبهم قائلاً ان رجلاً غير معروف اشاع الخبر الذي خدع به الاهالي وان الحكومة ستبادر الى نشر الاخبار الصحيحة التي ترد اليها وعند ذلك تفرق الجمهور غير ان مكتب الخواجات ليون ودرهار بقي مقفلاً لانه قيل أنه مكتب بروسياني وليس فرنساوي

وفي اليوم الثاني وهو يوم الاحد شرعت الحكومة في اجراء ما ربما كان واسطة لمنع سريان الويل وتخليص الامة من الرزايا التي كانت تهددها وكان هذا اليوم يوم حزن وكدر وابتدأ القوم يتكلمون عن تغيير الدولة وخطب كثيرون من الخطباء خطباً مهيجة ومقلقة وصار القاء القبض على كثيرين وسجنهم وكان الهيجان يزيد وكثيرون من محرري الجرائد يزيدون الهيجان بكتاباتهم المهيجة وصرخ الجميع طالبين ان يتقلد كل أهالي باريز السلاح وكانت الحكومة تخاف ان يجيب هذا الطلب لانها لم تكن تركز اليهم وكان كل ذلك قليلاً وغير مهم بالنسبة الى الاخبار التي وردت بعده الى باريز تلك الاخبار التي لم تسمع فرنسا مثلاً وهي (يوم سيدان) وتسليم الامبراطور نابوليون الثالث وقد قيل ان أسباب غلبة الفرنسيين انما هي أسباب سياسية ولذلك كانت المجالس تهدد وزارة أوليفيه بالعزل مع ان هذه الوزارة كانت ذات شهرة قبل الحرب بمدة قصيرة وفي ٨ آب (أغسطس) عند اجتماع المجلس طلب المسيو باريو الى مجلس النواب والمسيو أوليفيه الى المجلس القضائي ان يرخصا لهما ان يجمعا كل رجال الأمة لينظماها جيوشاً وان يقررا نظام الحرس الوطني وغير ذلك من الامور الحربية وعند ذلك طلب أحد أعضاء المجلس القضائي ان يقام الجنرال تروشو وزيراً أول وطلب المسيو جول فافر ان يسمى المجلس عمدة مخصوصة تسمى عمدة الدفاع غير ان المجلس رفض ان يجيب هذا الطلب ولم يحمله على ذلك رغبته في عضد

الوزارة ولكن كرهه لكل شيء بسبب الحوادث المكثرة وبعد ذلك حمل الميسو دوفرنوا المجلس على ان يقرر ان الحكومة كانت غير قادرة ان تقيم الدفاع اللازم للبلاد ثم انفض المجلس وعند ما اجتمع مرة ثانية قال له الميسو أوليفيه انه قد خابر الامبراطورة ووكالة الامبراطور وانها قد طلبت الى الجنرال مونتوبان ان يقيم وزارة جديدة وهكذا سقطت وزارة أوليفيه بعد قيامها بثمانية أشهر مع ان الامة كانت منتظرة ان ترى منها أعمالاً كثيرة حسنة وكان سبب سقوطها عدم الثقة بها وعند ذلك طلب ميسو جول فافر الى المجلس ان يصير تنظيم الحرس الوطني وتسليمه بحسب نظام سنة ١٨٣١ وان يستقيل الامبراطور من رئاسة جيوش فرنسا التي خابت مساعيها بسبب عدم أهلية الامبراطور نابوليون ثم طلب السكونت كراتري الى المجلس ان يتنحي الامبراطور عن الملك حالا وعند ذلك حدث في المجلس اضطراب وهيجان وقيل وقال حتى ان بعض أعضاء هذا المجلس القضائي أهانوا غيرهم اهانات شخصية فالتزموا ان يفضوا المجلس وكانت الامة خارج المجلس في اضطراب وقلق وصراخ وتدمر ومع ان هذا الهيجان خمد بعض الخمود بعد ٩ آب (أغسطس) كان واضحاً انه مامن شيء يقدر أن يخلص الامبراطورية من السقوط مالم تنتصر الجيوش الفرنسية انتصارات غير اعتيادية تعوض عليهم ما كانوا قد خسروه



— تنازل الامبراطور عن رئاسة الجيش الى المارشال بازين —

وفي ٩ أغسطس (آب) تنحى الامبراطور عن رئاسة الجيوش الفرنسية وسلمها الى المارشال بازين الذي رقي الى المناصب العالية بعد ان كان جندياً في الجيش والذي أخره عن الانتظام في سلك الضباط من أول الامر تقصيره عن ان يقوم بالفحص الذي يلتزم ان يقوم به الفتي بعد خروجه من المدرسة وقبل دخوله في سلك الضباط



المارشال بازين

وكان ابتداء تقدمه في الجزائر كابتداء تقدم مكماهون وفي سنة ١٨٣٧ حارب وهو
 قبطان بري الكاولسيون في اسبانيا برخصة من الملك لويس فيليب وفي سنة ١٨٥٤
 أرسل الى القريم ورفي الى رتبة جنرال فرقة وقد اشتهر أيضاً في حرب ايطاليا سنة ١٨٥٩
 وفي سنة ١٨٦٣ ارتقى الى رتبة مارشال فرنسا وخلف المارشال فوري في حرب فرنسا
 في بلاد المكسيك فلم تتوفق العساكر فيها ودام بازين يناضل في معارك عظيمة مع
 انه التزم اخيراً ان يرجع الى فرنسا بجيش مذعور والذي أرجه تهديدات حكومة
 الولايات المتحدة الامر كانية لانها كانت تنظر بحسد شديد الى مداخلات ممالك أوروبا
 في صواح بلاد اميركا ولئن لم تكن تحت سلطتها ومع ان المارشال وقع تحت اللوم لم
 يثلم صيته فكانت الامة تعتبره من أقدر القواد الفرنسيين ولو سلم الامبراطور قيادة
 جنوده لما كماهون لكان أحسن على ان ذلك لم يكن ممكناً لان مكماهون كان قد
 انكسر أمام جيوش أعدائه المتصرين فيظهر من ذلك انه كما ان حرب افريقية كانت
 سبباً لترقي كثيرين من القواد والموظفين الفرنسيين كانت أيضاً سبباً لايقاع الخلل
 في الجيوش الفرنسية أما الادارة اللازمة للانتصار على قبيلة غير منظمة الاحوال
 فتختلف كل الاختلاف عن ادارة حرب تقام على جنود أوربية منتظمة كل التنظيم
 ولذلك ربما كان يسوغ ان نقول ان حرب الجزائر هي مصدر الخلل الذي خامر
 الجنود الفرنسية وبعده ان تقهر ما كماهون في معركة ورت في اليوم السادس من
 آب (أغسطس) انكسر مع جيوشه المذعورة ورجع الى سافرون ونانسي ومن ثم
 الى شالون ولا يخفى انه بين الرين وولاية اللورين سلسلة جبال القوج وهي سور
 طبيعي لفرنسا لا يمر فيه الا من مدخل ضيق لا يمكن لعدوان يجتازه اذا اقيم له الدفاع
 الواجب ولا نعلم اذا كان ما كماهون حاول ان يحرس ذلك الممر بجيشه غير اننا نعرف
 انه رأى ان جيشه لا يقدر ان يقوم بحق ذلك بعد ان حدث ما قد حدث ولذلك صار
 متقهراً. اما بازين فوجد نفسه في مركز مرتبك بالقرب من ميتس التي هي حصن لم يفتحته

عدو وهي أمنع حصون فرنسا بل من أحصن حصون العالم فأمر مكماهون ودوفالي ان
يجمعا عسكريهما المشتتين مع جنود كانرويرت، في شالون فوصل مكماهون في اليوم
السادس عشر من آب (أغسطس) ودوفالي في اليوم العشرين وقد ظهر من ذاك
الحين انه ما من شيء يخلص فرنسا من الذل التام سوى المبادرة الى الدفاع بالتكاتف
وكان جيش مكماهون قد نقص كثيراً و بعد ان كان ٣٨ ألفاً أمسى ستة عشر ألفاً في
ضناك وضيق، وكانت جنود السكر ومويل التي انضم اليها جيش مكماهون في عصيان
فان أكثرهم كانوا يمارضون وعند ما فحصهم قائدهم كانوا يصرخون قائلين فلترجع الى
باريز أما قائدهم كاترويد القائد الشيخ المشهور الشجاع والمجرب في المعارك فقال
لهم انكم لستم أهلاً لان تدعوا فرنسا وبين فكثير العصيان بينهم فالتزم ان يقتل اثنين
من رؤساء القلائل حكم عليهما في المجلس الحربي ليؤدب بهما الباقيين وكان كل ذلك
مما يضعف عزيمه جنود مكماهون وبالْحَقِيقَةُ انا كلما راجعنا ما جريات الحرب يزداد
تعجبنا واندهانا عند ما نرى ما نرى من تصرف أولئك الجنود . هذا وكان كثير من
من الجنود الفرنسية يحاربون حرب شجعان ويهلكون أنفسهم لخلاص وطنهم فهؤلاء
هم الذين حافظوا على صفات الجنود الفرنسية ولكن ما ذا يقدر ان يفعل هؤلاء
المساكين و بينهم من الجنود المفسودين الاندال الخائين من كل شرف وشجاعة
والخيلين بالنظام

:o:

— خروج الامبراطور من ميتس وخيانة بازين —

وفي اليوم الرابع عشر من آب (أغسطس) خرج الامبراطور من ميتس بعد ان
ترك قيادة الجيش وولج بادارة الاعمال الحربية فيها المرشال بازين وأتى شالون هو
وابنه البرنس امبريال وقبل ذلك نشر اعلانا على الجنود والشعب تلخصه بما يأتي :

اني أفوض اليكم الدفاع عن المدينة فلا تسلموا قلعة فرنسا للعدو الخ وقال في آخره ان الماء ول انه يرجع في أيام أكثر حبوراً وسعادة يشكر الجنود والاهلين على سلوكهم الحسن انتهى .

أما قوة المارشال بازين فكانت مؤلفة من ١٠٠٠٠٠ من المشاة و ١١٠٠٠ فارس و ٢٨٠ مدفعا فظنوا انه يقدر ان يدافع عن تلك القاعة ولو كان عدد المهاجمين عظيما جداً ولانهم لم اذا كان ذلك مطابقاً للواقع ولا اذا كان الالمان قد هاجموا ميتس بجيش جرار لا يدفع في أول المحصر ولسكننا نعلم ان مسيورو بنصن مكاتب جريدة الديلي نيوز الانكليزية وهو من أقدر المكاتبين الذين كانوا في ساحة القتال وكان قد أرسل من انكلترا ليكاتب تلك الجريدة التزم ان يقول مع الفرنسيين ان بازين خان البلاد وقد قال في كتابه الثاني المسمى بسقوط ميتس ما يأتي : انه لم يكن في ميتس هيجان شديد حتى وردت أخبار سيدان فانقسم المحصورون وكان بازين والحرس من حزب الامبراطورية

هذا ولا يخفى ان الدولة الامبراطورية كانت ترقى عساكر الحرس الامبراطوري وغير جيوش من المشاة والفرسان وكانت ترفع شأن الذين كانوا يركبون الخيل جيوشاً والذين كانت تراهم على جانب من الحسن والترتيب في العرض العمومي ولسكنها لم تكن تلتفت هذا الالتفات الى عساكر المدافع والمهندسين الذين لم يكن لهم من اسباب الزينة والظرف مالاولئك ولذلك كانوا جميعاً متحيزين للجمهورية في ميتس ومنذ ذلك الزمان أصبح بازين وبسارك علي مايسوغ أن نسميه اتفاقاً ولذلك كان متقاعداً عن اجراء الاعمال الحربية وكان لا يخبرنا عن حقيقة عدد الاعداء وكثيراً ما كان يزياد عددهم عن الحقيقة وعطل جرائد ميتس لانها كانت تقول انها لا تزال تؤمل بالفوز وكان ينشر جريدته الرسمية ويبين ان الاحوال في أسوأ حال وكان يتمنع عن الخروج من الحصون لمقاتلة الاعداء مع ان عدد جيوشه كثير جداً

وفي أواخر أيلول (سبتمبر) وسعت الجنود دائرة الحصر وهذا يبين ان الاعداء لم يكونوا فعلاً أقوى منا ولم يكن يبين ما ينشط املنا مع انه من واجباته أن يكون مصدر التنشيط ولم يكن يخرج من القصر الذي نزل فيه في سان مارتن فكان يدخل في النهار ويلعب بلياردو في الليل وقد شاع انه كان يعجز كل المدينة بطلب المأكول الذي كان يحبه حتى انه كان يدفع مبالغ وافرة للحصول على ما كان يشتهي حال كونه كان لا يعطي الجندي في اليوم مائتي درهم من الخبز والمظنون ان هذا كان للتظاهر بالاحتياج اذ انه كان عنده ما يكفي الجيش من الزاد ولم يزر الجنود في منازلهم ليسلمهم في ضمجرهم الناتج عن طول زمان الحصر والانتظار ولم تحمله الانسانية على ان يزور مرة واحدة اولئك الجنود الجرحى المنكودي الحظ الذين كانوا مطروحين في المستشفيات فان المطاعم الناتجة عن طلب الغايات السياسية كانت موضوع طلبة وليس القيام بحق واجباته وهكذا كان واقفاً في سكون متظراً الجزء الذي كان مؤملاً ان يناله وقد قال المكاتب المذكور ان الزاد لم يفرغ كله من ميتس فكان سعر لحم الخيل في كل الاوقات من بنسين ونصف الى خمسة بنشات وذلك بحسب حسنه وعدمه اما التبغ فلم يبق منه شئ غير ان ثمن البيض كان مرتفعاً جداً فكانوا يبيعون فيها البيضه بفرنك وكسور وثمان اللييرة من السكر تسعة فرنكات وفرغ الفحم غير ان ثمن الحطب كان معتدلاً اما الملح فقل جداً واشتد ضيق الاهالي بسبب فقدده حتى صارت اللييرة منه بتسعة فرنكات . انتهى

هذا ولا يخفى اننا تقلنا عن المكاتب المذكور ما قد تقلناه قبل ان نصل الى تقرير حوادث ما حدث بعد معركة سيدان ومع ذلك نقول انه اذا كان هذا المكاتب غير منقاد بالتحزب المضادي الامبراطورية الفرنسية الى تقرير ما قرر يكون ما بلغنا بواسطته عن المرشال بازين الذي كان قائداً عمومياً لكل جنود فرنسا خيراً مكدرأ جداً والظاهر من كتاباته انه قرر قرارات واضحة خالية من الغرض والميل ومع

ذلك نقول انه مامن شئ يكدرنا أكثر من ان نرى ان الامة الفرنسية التي كثيرا ما صرخت قد باتت ضحية الخيانة كانت فضلا بخونة فاذا كان البرنس بسمارك قد تمكن من ان يجعل رئيس الجيوش الفرنسية يخون بلاده فاذا يقدر أن يجعل القواد اثنائيين يفعلون لقيام خدمته و بناء على ذلك نقول ان الامة أهملت بازين بالخيانة وان بازين أنكر صحة التهمة كل الانكار وطلب ان يقام التحقيق العادل فانه يقول انه قادر ان يبرئ نفسه من هذه التهمة الخفيفة^(١) ولا يخفى ان قصر الزمان لم يمكن التاريخ من ان يتف على الحقائق وربما كان الوصول اليها موقوفا للمستقبل الذي يكشف أكثر الماضي ويصعب علينا ان نقول بتأكّد قبل الوصول الى الحقائق الواضحة ان قائداً مجرباً وشيخاً يرتكب الخيانة المعيبة ومع ذلك نسمع بتأكّد أن القواد المحصورين في ميتس كانوا يطلبون بالخاح الى بازين ان يخرج لمهاجمة الاعداء وانه كان يتمنع عن اجابة طلبهم مع ان النصر كان أقرب اليهم من الكسر ولا ريب ان الاوفق نقول في الحاضر أي قبل ظهور الحقائق ان المارشال كان يخاف ان ينكسر جيشه وان يهلك جنوده بلا فائدة وهذا حمله على ان يتجاوز حدود الاعتدال في مجانبه ذلك وعلى ان يخطي ذلك الخطأ الممين الذي اغضب القوم الذين كانوا في كدر مهيج من جرى الفشل الذي لحق بهم فاتهموه بالخيانة

— قبل حصار باريز —

أما الالمانيون فكانوا قد انتصروا في وايسميرج وورث وفورباش ولذلك عزموا على ان يهاجموا باريز اذا لم يحدث ما يمنهم عن ذلك وفي اليوم السابع من

(١) ان المارشال بازين حكم عليه المجلس العسكري بذلك بالاعدام لثبوت خيانه ولكن هذه العقوبة بدلت بالسجن و بعد أن حبس بازين فر من سجنه ملتجئاً الى سبانيا . ومات سنة ١٨٨٨ — (الطابع)

آب (اغسطس) سارولي عهد بروسيا في أثر جيوش مكهاون بجيش الميسرة وكان جيش الميمنة والوسط قد تبوأ افواذ ونسار كوينس وها كينو وفي اليوم التاسع من آب (اغسطس) وصلت طليمة من هذين الجيشين الى مكان يبعد عن ميتس تسعة أو عشرة اميال وكان مسير ولي العهد في أثر مكهاون سرعياً وكان الفرنسيون يخافون ان ينقطعوا عن شالون قبل ان يصلوا اليها ويلتزموا أن يقيموا حرباً وهم في حالة غير مناسبة لقيامها أو ان يسلموا اما نانسي فلم يحاول الفرنسيون ان يدافعوا عنها حتى أن أربعة أنفار من الجيوش البروسانية في اليوم الثاني عشر من آب (أغسطس) استلموها وحدثت معركة صغيرة عطلت مركز الطريق الحديدية وألزم الالمان الاهلين أن يهبطوا السكة ووضعوا على تلك المدينة ضريبة مقدارها ٥٠٠٠٠ فرنك أي ٢٥٠٠٠٠ غرش ولم يزلوا سائرين وليس لهم معارض الاماندر وهاجم الالمان ستراسبرج وليتانبرج وفتحوا مدينة مارسال الحصينة بدون ان يصادفوا غير صدام قليل وسلم حصن آخر يدعى لوتبي بير بدون حرب واستلموه وهم سائرون وطلبوا الى مدينة تول الحصينة ان تسلم غير ان عساكرها وأهلها صمموا على الدفاع وحاصروا فلبسبرج وبتش حصاراً شديداً فذا فعتا مدة ليست بقصيرة بنشاط وهمة أما الجيوش الالمانية فكانت تسير الى الجهة الغربية بثبات وعزم لا مزيد عليهما قاصدة باريز وكان الفرنسيون يتفقرون بسرعة امام الاعداء هذا ويكدرنا ان نقول ما قد قلناه مما يعيب القواد الفرنسيين وهو انهم خسروا أموراً كثيرة لانهم لم يكونوا يعرفون سبل بلادهم ومعاربها كما كان الالمان يعرفونها وفي ١١ آب (اغسطس) أعلن ملك بروسيا من سار بروك اعلاناً معنوناً باسم أهالي فرنسا غير انه لم يصبر القيام بما تقرر فيه بعد نشره وما يأتي هو ترجمته :

من ملك بروسيا الى سكان البلاد الفرنسية التي حل بها الالمانيون
لما كان الامبراطور نابليون قد هاجم الامة الالمانية برا وبحرا كان لابد لنا

قياماً بحق المدافعة ان نجوز الحدود الفرنسية أما نحن فنحن نعيش بسلم مع الشعب الفرنسي ونحن نحارب الجنود الفرنسية وليس الشعب الفرنسي ولذلك يقدر ان يسلكوا بسلام وطمأنينة ماداموا لا يفعلون ما يحملنا على ان نخسرهم حياتنا من اظهار العدوان للجنود الالمانية أما القواد الذين يتولون امره الجيش فسيعينون القصاصات للعموم والافراد الذين يتعدون قوانين الحرب ويعينون ما يلزم تعيينه مما يتعلق بما يحتاج الجيش اليه وأسعار النقود ليسهلوا المعاملة بين الجنود الالمانية والفرنساويين انتهى

هذا ولا بد ان نقول ان الفرنسيين من سكان المدن والقرى لم يحافظوا على قوانين الحرب فانهم كانوا يهجمون هجمات سرية على بعض انفار من حرس الجيش أما الالمانيون فكانوا يهجمون هيجاناً شديداً وينهضون لطلب الانتقام بدون ان يعفوا عن الشيوخ والاطفال والنساء ولا يخفي ان اجراءات كاجراءات الفرنسيين المذكورة هي من الاجراءات الطبيعية التي ينقاد اليها الانسان بالطبع .

وفي اليوم الثامن عشر من آب (اغسطس) تمكن الالمانيون من قطع المواصلات الواقعة بين مكماهون وميتس وكان المرشال المذكور في شالون وفي اليوم نفسه وصل الملك غليوم الى هسبي وهي مدينة تبعد نحو أربعة عشر ميلاً الى الجهة الجنوبية من ميتس وأخذ في الاستعداد ليحاصر ميتس التي لم يحاصرها أحد وقد اختلفت الاخبار حتى أنه ربما كان لا يمكن الوقوف على الحقيقة غير أنه ولئن كان مستررو بنصن قد قال انه لم يكن خارج ميتس من الالمانيين قدر ما كان داخلها من الفرنسيين نرى ان الالمان تمكنوا من أن يحاصروها منذ ابتداء الحصار بجيش يفوق عدداً جيش بازين وقد قال مستررو بنصن مخالفاً في قوله رأى الجمهور ان الالمانيين لم يفوزوا لانهم أحرقوا من الفرنسيين وأعلم منهم في أبواب الحرب ولكنهم انما انتصروا بكثرة العدد وعدم مبالاة قوادهم

بهلاك الجنود فانهم كانوا يصادهمون الفرنسيين بجيش يسير على جثث قتلى جيش سبقه الى أن يضايقوا على الفرنسيين ويجعلوهم يركنون الى الفرار ويطلبون التسليم فان كان ذلك صحيحاً يكون تقدم فن الحرب منذ أوائل هذا القرن تقدماً قليلاً هذا مع قطع النظر عن اختراعات كثيرة تهلك كثيرين في وقت واحد لان نابليون الاول كان يفوز بحذقه وبشجاعته بمصادمة جيش عدوه قبل أن يتمكن من جمع قوته لان جيشه القليل يكون مجموعاً والظاهر أن الالمانيين قد تعلموا فنون نابليون الاول والفرنساويون قد نسوها أما الاخبار المقررة التي تركز اليها فتيقن ان ملك بروسيا كان قادراً في أوائل حصر ميتس أن يضع تحت الحصون جيشاً عدده ٢٥٠ ألف مقاتل وهي تفوق جداً قوة بازين والظاهر ان بازين كان يخاف ان يهاجم المحاصرين الالمانيين فكانوا مكرمين كل الاركان الى قوتهم حتى انهم أرسلوا في ١٤ آب (اغسطس) رسالة برقية الى بعض الجيش ليستلموا الجسر والطريق التي تمر في بوتموذن على شاطئ نهر الموزل الغربي وعلى الطريق الحديدية بين نانسي وميتس وفي غضون ذلك تقدم الجنرال سانتيمز الى الجنود الفرنسية التي كانت خارج الاسوار في ميتس وانتشب القتال هناك وهذه المعركة تدعى معركة كورسيل أو معركة لونفيل التي بها فاز الالمانيون بدفع الجنود الفرنسية الذين كانوا خارج البلدة غير أنه هلك كثيرون منهم ودام تقهقر الفرنسيين الى اليوم الخامس عشر من آب (اغسطس) الذي هو يوم عيد نابليون وكان قد قيل في باريز قبل ذلك بمدة قصيرة أنه لا بد من أن يكون ذلك يوم دخول الجنود الفرنسية منصوراً الى برلين بل كان قد قال بعضهم أن ذلك سيتم في الساعة الاولى من صباح اليوم الرابع لهذا العيد ففي ذلك اليوم عبرت الجنود المتقهقرة نهر الموزل راجعة الى باريز وربما كانت لا تعرف الى أين تذهب وفي اليوم السادس عشر منه هجم الالمانيون على بازين في فيونفيل التي تبعد مسافة طويلة عن ميتس الى الجهة الجنوبية الغربية وفي الوقت نفسه عبرت فرقة المانية نهر الموزل بالقرب من بوتنامودون ونزلت بين معسكر رئيس القواد

الفرنساويين وبين باريز ولم يحاول الفرنسيون أن يصدوا تقدم الالمانين ولكنهم كانوا يتقهقرون من كرافلوت الى فاردون حتى هجم الجيش الثالث البروسياني على جناحهم وتبع ذلك حرب شديدة و بعد ذلك بيضع ساعات أنجحت الفرقة العاشرة البروسيانة صفوف الالمانين و بعد مدة وجيزة أنجحتهم الفرقتان الثامنة والتاسعة تحت امرة البرنس فردريك شارل فحارب الالمان بشجاعة لا مزيد عليها ولكنهم لم يقدرُوا أن يخرجوا الفرنسيين الذين تبوؤوا وقد أخذوا رايتين وسبعة مدافع واسروا ألف جندي والفريقان يدعيان النصر في معركة فيونفيل وقتل كثيرون على أنه لم تتغير مواقف الجيشين .

وقد أطل الكلام مكاتب جريدة التيمس في وصف هذه المعركة الشديدة أما نحن فلا نقرر تفاصيلها لانها لم تأت بنتائج مؤثرة في حالة المتحاربين وقد قرر أن شاباً عمره ١٩ سنة بات قائد فرقة المانية اذ أن كل قوادها الاولين قتلوا وعددهم ١٣ قائد وما يأتي هو ترجمة بعض كلامه: انني قابلته بعد المعركة وكلمته فوجدته شاباً يحب الحرب جداً شديداً وكان على جانب عظيم من البشاشة فأعطيته بعض سيكارات وانفصلت عنه و بعد ذلك بساعتين رأيته مطروحاً ميتاً على الارض مع غيره من القتلى ورأيت السكاير التي أعطيته إياها بين أزرار ثوبه انتهى . و لقد أشاع الفريقان أخباراً كاذبة عن ذلك فان المرشال مكماهون الذي كان يخشى أن يتقهقر بجيشه ويلتزم أن يلتجئ داخل أسوار ميتس ويمسي قادراً على الدفاع فقط أرسل الى باريز رسالة برقية مألها أنه في الساعة الثامنة بعد الظهر ارتدت جنود الاعداء عن كل مراكرها وأن جيوشه ثبتت فيها . أما البروسيانون فأرسلوا رسالة برقية رسمية بهذا الشأن مألها أن جيوشهم نجحت كل النجاح وان الفرنسيين قد تقهقروا والتجأوا الى أسوار ميتس أو الى داخلها وقد اجمع القوم على أن الفرنسيين كانوا يخفون حقائق الوقائع ويعلمون الاخبار الكاذبة في هذه الحرب على انه قد تبين ان الالمان كانوا يرتكبون الخطأ نفسه عند ما كانت تقام معركة بدون أن تأتي بنتائج واضحة فانهم كانوا يدعون النصر وبما

ان أكثر النصر كان لهم لم يكن لهم من المقاصد ما كان للفرنساويين مما كان يحملهم على محاولة ستر العار الذي يلحق بالجيش المنكسر. هذا وكانت كما طالت مدة الحصر يرى بازين انه لا يقدر ان يطيل الاقامة بجيشه خارج اسوار ميتس في اليوم السابع عشر من آب (اغسطس) رأى المارشال المذكور انه لا يقدر ان يثبت في مواقعه فارسل ميمنة جيشه الى مراكز واقعة بين فيونفيل وهاي ونهر الموزل وهكذا صار النهر عن يساره وتل سان بريو المنيع العالي عن يمينه وكان قلب الجيش في مدينة فيونفيل وفي اليوم نفسه أقام الالمان بعض جسور موقفة وعبرت عليها الفرقة الثانية والثامنة والسابعة والتاسعة والثانية عشر مع حرس الفرقة الثالثة وجنود مدافعها ومجموع عددها ١٩ ألفاً من المشاة و ٢٤ ألفاً من الفرسان و ٦٥ مدفعاً فحلت هذه الجنود الالمانية بين بريز ونفيل وكرافلوت وفي اليوم الثامن عشر من الشهر أخذ الالمان يهاجمون فرنساويين ليعبروا امام طليعة جيش بازين اما فرنساويون الذين كانوا في الاعلى المحصنة بالخنادق فاطلقوا على اعدائهم نيران البنادق والمدافع و ٨ مدافع من الراشة اطلاقاً مهلكاً وكانت صعوبة المسالك تؤخر الالمان عن التقدم ومع ذلك جدوا في طلب التقدم كل الجهد وساروا في الاحراش مسافة ثم هجموا صاعدين الى التل هجوماً مخيفاً حتى انهم كادوا يتمكنون من أن يجوزوا جيش بازين وان يقطعوا عنه طريق سيدان وكان فرنساويون مستترين في خنادقهم فاطلقوا اسلحتهم على اعدائهم وكانت المدافع الموضوعة على قمة التل تصب الكرات عليهم فهلك منهم الوف وحاول الالمان ان يفتكوا بالجيش المقيمين في القمة مدة ساعات كثيرة فكانوا يرسلون لمهاجمتها فرقة بعد فرقة من الفرسان لعضد المشاة ولكن بدون نتيجة واشتد القتال المهلك وبعد ذلك هاجم الالمان بغة فرنساويين وارجعوا صفهم الاول ومع ذلك كانت المعركة لا تزال شديدة جداً والنتيجة مستترة إلى أن تمكن الالمان من أن يجوزوا صفوف فرنساويين فالتزم قائد جيشهم أن يتقهقر فرجعوا قاصدين ميتس رجوعاً بطيئاً وكانوا يحاربون وهم متقهقرون وقد تقرر أنه قتل وجرح من الفريقين في

هذه المعركة ١٩ ألفاً وقد قال مكاتب جريدة الديلينيوز الانكليزية في وصف هذه المعركة انه انتشب القتال في مكانين الأول بين باريز وفيل وكرافلوت في طريق فاردن والثاني في كرافلوت وتمكن الفرنسيون الذين كانوا على التل أن يمنعوا أعداءهم عن التقدم وكانوا يطلقون عليهم نيران دأبنة ومدافعهم المقامة في القمم تدفع الكرات بدون انقطاع وفضلاً عن ذلك كان يسمع صوت المدافع الراشة القريبة وكان الالمان ملزمين أن يطلقوا أسلحتهم إلى فوق وكان الفرنسيون يهلكون وهم ثابتون في مواقعهم والالمان يهلكون وهم يتقدمون وكانوا يهلكون مئات مئات اذا لم نقل ألوفاً ودامت الحال على هذا المنوال ساعة وساعتين وكنّا أطول من دهر لان الليل فيهما كان شديداً والهلاك كثيراً وفي الساعة الرابعة بعد الظهر أطلق الفرنسيون نارا مهلكة على الاحراش التي كان البروسيانون مستغلين فيها ودفعوا اليها الكرات المحشوة بلا انقطاع ولذلك ضعفت نيران الالمان في تلك الجهة غير انه في الساعة الخامسة خرجت فرقة من المشاة من الاحراش وسارت مسيراً سريراً جداً قاصدة المكان الذي يلزم ان تأتية وكنت أراها في النظارة المسكبرة كأنها حية كبيرة جداً تنساب على الارض وتترك وهي متقدمة أثاراً سوداء من القتلى والجرحى والذين كانوا في حالة النزاع ورأيت بعض الجرحى ينهضون بعد ان يقفوا ويحاولون أن يسيروا امام رفاقهم وكان بعضهم يقع ثانية ولكن لم يرجع أحد منهم الى الوراء انتهى . وكان يظهر حتى المساء ان النصر للفرنساويين وبعد ذلك بنصف ساعة هجم الفرنسيون على الالمان هجمة نزاع الجبال وكان صوت المترايوز خفيفاً فضلاً عن أصوات الاسلحة الكثيرة وصراخ الرجال والالمان . اما الالمان فثبتوا في مواقعهم فاضعفت هذه الهجمة قوة الفرنسيين فاستلم الالمان التل والقمم وهي مفتاح كل تلك البلاد حتى أبواب ميتس

وشاهد الملك والبرنس بسمارك هذه المعركة الخفيفة اما الملك فبقى راكباً جواده ١٥ ساعة وقد قيل ان بسمارك بات في خوف شديد من سوء المواقف وعلى الخصوص

لما رأى ان الفرنسيين يكادون يفوزون بالغلبة حتى انه لو لم يشدد القوم المنع عليه لدنا من الصفوف الفرنسية دنواً يجعله هدفاً لخصاصهم و بعد المعركة أكل الملك مرقا فيه ارز مطبوخ للجنود ونام هو والفرنس بسمارك بين الجنود في ميدان القتال وكانت هذه المعركة متساوية النتائج ولم يفز فريق على الفريق الآخر حتى انه قبل نهايتها بمدة قصيرة جداً وقع رعب في قسم كبير من الجيش الالماني وهو كالرعب الذي كثيراً ما يقع في قلوب اسل الجنود فارتد طالباً الفرار ولو لم يصددهم حرس المستشفى المتقل الالماني بتوجيه فم المدافع الى الطريق التي كانوا متقهقرين فيها لانكسروا ونال الفرنسيون فوزاً عظيماً وقد قال ملك بروسيا في رسالته البرقية التي بلغ بها خبر هذه المعركة: ان العدو نازعه النصر منازعة شديدة وهذه ترجمة الرسالة المذكورة :

قد فعلت الجنود افعالاً عجيبة وكانت ذات بسالة في مصادمة عدو باسل مثلاً فانه كثيراً ما كان يهجم هجمات مخيفة ولكن كانت جنودنا تصادمه وتدفعه كلما هجم اما الفوز في هذه المعركة فكان بقيام القتال بطعن الحراب ومع ان الفرنسيين كانوا في العدد قدر الالماني وان زادوا فالزيادة لا تستحق الذكر لقلتها كان الالماني أقدر منهم على القيام بذلك القتال لان اجسادهم اثقل من اجساد الفرنسيين ولذلك كان طعنهم افعلى ومنذ اشهار الحرب الى هذا الزمان وهو ١٨ آب (اغسطس) التزم قائد جيوش فرنسا وأحسن جنودها ان يلتجئوا الى ميتس وقد حل بالعساكر الفرنسية وقيل بعد ويل مع انه لم يكن قد مضى أكثر من شهر وتشتت شمل جيش مكاهون وترك الفرنسيون المراكز الحسنة التي كانوا قد أقاموا فيها ومعابر الفوج الصعبة بدون أن يحاولوا أن يمنعوا العدو عن التمكن من الوقوف فيها والمظنون ان تركها انما هو اما نتيجة جهل يصعب على الانسان أن يصدق حدوثه واما نتيجة خيانة وفي ذلك الوقت كان قد أمسى امبراطور فرنسا اسير حرب وكانت قد انقلبت الدولة الامبراطورية وتم ذلك جميعه في شهر واحد قصير

وكتب الدكتور روسل مكاتب التيمس عند حدوث ذلك رسالة بعث بها الى جريدة التيمس وصف فيها منظر ميادين الحرب ونتائج الحروب التي تقسي قلوب البشر وصفاً مخيفاً وقد قال في الرسالة المذكورة ان في ميادين الحرب جميعها ما يدل كل الدلالة على نتائج القتال فان جثث الجنود القتلى ملقاة فيها بدون ترتيب ومناظرها متغيرة بفعل آلات القتال تغيراً مخيفاً وقد اجتمعت الدماء بحيرات صغيرة في منخفضات أرض راقعة على جانبي الطريق ومساحتها نحو ميلين وقد انتشرت رائحة كريهة جداً وفي بعض الاماكن جثث القتلى ملقاة بعضها فوق البعض الآخر بدون انتظام وعلوها نحو ثلاث أذرع وفي اماكن كثيرة نرى الجثث منضما بعضها الى البعض الآخر ورأينا في منخفض كثرت فيه الجثث جثثاً واقعة كاعمدة بعضها ملاصق للبعض الآخر وقد بلغنا خبر غريب عما صادفه فلاح وجدت جثته بلا رأس بجانب ضابط من ضباط جنود الزواف الفرنسية وذلك بعد معركة كرافلوت بيوم واحد وكان في احدي يدي هذا الفلاح مصباح وفي الاخرى سكين وقد قيل ان المظنون ان هذا الفلاح المنكود الحظ كان قد شرع في سلب ما كان مع ذلك الضابط وانه لما رأى انه لا يزال حياً طعنه بسكينه ليقتله اذ انه رأى ان رصاص العدو لم يفعل فيه فعلا مميتاً وان الضابط شعر بال ألم الجرح الجديد فنبض وقبض على الفلاح من شعره وقطع رأسه بسكينه غير انه يصعب علينا تصديق هذا الخبر . والمؤكد ان كثيرين من الفلاحين والفلاحات الذين ربما كانوا يغميون عن الصواب بمجرد النظر الى الدم كانوا يأتون ساحات القتال ويسلبون القتلى ولو كانوا من أبناء وطنهم وانهم كانوا يفعلون ذلك الفعل القبيح وهم يتكلمون ويضحكون كأنهم قد خرجوا للتنزه حتي ان البعض كانوا يخرجون طالين التنزه واقامة الولائم في تلك المحلات التي ملأتها جثث القتلى وكانوا يضعون ما كانهم على منسوجات مزرعة بدماء الجنود وأولادهم كانوا يلبسون خوذ القتلى وغيرها مما كانوا يجدونه ولبس أحد هؤلاء الاولاد خوذة مثقوبة برصاص وقال لرفيق له بلغة الانزاس والورين

المركبة من اللغة الالمانية واللغة الفرنسية بعد ان اشار الى الثقب صاحبا: انظر كيف اتى نجوت نجاة غريبة مع ان الرصاص قد ثقب خوذتي وقد قال الدكتور روسل متعجباً انه سرفي مكان ورأى فيه الجنود الفرنسيين المدرعة وأي هلاك قد هلكت وجثث كثيرين منهم في حالة مخيفة لانه لم يكن لها هيئة من فعل آلات القتال ومع ذلك كانت دروعهم كلها غير مثقوبة وقد دقت النظراتنا وغيري في ذلك وتأكدنا صحته ولا اقدر انا ولا غيري ان نعرف كيفية هلاك هؤلاء القوم

هذا ولا يخفى ان نظام الجيش الالمانى كان أحسن من نظام الجيش الفرنسي وكذلك نظام خدمة الجرحى عندهم كان أحسن من نظامها عند الفرنسيين فانهم عينوا فرقة مخصوصة للاعتناء بالجرحى وكثيراً ما كانت خادمت الرحمة الالمانية ياتين ساحة القتال قبل انتهائه وكان يسير امام قوم منهم كاهن كاثوليكي ذا كن كاثوليكيًا وقسيس بروتستانتي اذا كن بروتستانتياً

ان الالمان تشكوا في أول الحرب من الفرنسيين لانهم ادخلوا في جيشهم جنوداً من اهالي جزائر الغرب غير اننا لا نرى سبيلاً لتشكيهم لان الحرب انما هي عمل وحشى الافي ماندر وفي ظروف قليلة واذا كانت كذلك فماذا يمنع القوم عن أن يستخدموا كل الوسائل التي يقدرون ان يستخدموها ليدافعوا عن أنفسهم وينكسوا عدوهم ويقتلوه فان الاميركان والانكليز كانوا يستخدمون اهالي امريكا الهنود البرابرة ليقاتل بعضهم البعض الآخر بهم وقد شاعت أمور كثيرة مخيفة عن تصرفات اهالي الغرب فانهم ولئن كانوا على جانب عظيم من الشجاعة لا يعرفون قوانين الحروب المتقدمة وربما كان هؤلاء القوم الافريقيون قد ارتكبوا في أول الامر بعض الافعال المغايرة لمقتضيات الانسانية عند ما كان الفرنسيون والالمان يتصرفون التصرف الذي يليق بهم غير انهم غيروا تصرفهم بعد أن طالت مدة الحرب واذا صدقنا ما قرره الكتاب

الذين يظهر أنهم لم يكونوا منقادين الى الغرض نرى ان الالمان وعلى الخصوص البافاريين قد ارتكبوا من الافعال المخالفة للانسانية ما هو شر مما قال الالمان ان الفرنسيين ارتكبوه في أول زمان القتال ومن المؤكد ان معاملة الاسرى الفرنسيين والاخيرين كانت غير معاملتهم في أول الامر وبالجملة نقول انه بعد أن يشتد هيجان المتحاربين يفقدون تلك الحاسيات الناجمة عن كرم أخلاق الامة التي تكون لهم في أول الامر. هذا ولا يخفى أنه في أول انتشار الحرب صادف الالمان المنكودو الحظ الذين كانوا في باريز وفي فرنسا وغيرهم من الذين كان يظن الفرنسيون انهم يميلون الى الالمان ولو كانوا من جنسهم معاملة بربرية ومع انه لم يصراخراج كل الالمان من كل البلاد الفرنسية ولكن صار اخراج الذين هم في ولاية السين التي منها باريز وكانت حالة الالمان الذين بقوا في فرنسا وغيرهم من الاجانب بحالة خالية من كل راحة وقد حدث حادث بريري يستحق التقرير في التواريخ وهو ان نائب حاكم بوستاك والمسيودوموني تجادلا في ١٦ آب (أغسطس) هما وأهالي بلدة هوتليه بالقرب من بيريجو من ولاية الدردون في جنوبي فرنسا وكان جدالهم عن الحرب وكان القوم يظنون ان مسيو دوموني هو من المضادين للدولة النابوليونية وكان أهالي هذه الولاية من المتحيزين للامبراطورية فتكلم جملة عن البروسيين ولم يفهم القوم معنى كلامه فظنوه يحامي عنهم مع انه كان يلومهم فبهجم القوم عليه هجمة الذئاب بدون ان يمكنوه من ان يوضح لهم معنى كلامه وجرحوه وبعد ذلك أضرموا نارا في الشارع وأحرقوه واشترك في هذا العمل القبيح مائتان وبعد ذلك حاكمت الحكومة ٢١ منهم على فعلهم وحكمت بالقتل على أربعة منهم وعلى واحد بالسجن والاشغال الشاقة حياته بطولها وعلى تسعة بأقل من ذلك وعلى خمسة بالسجن مدة ليست بطويلة وحكمت ببراءة اثنين منهم

وفي ١٧ أغسطس كان الامبراطور نابوليون في شالون فأقام بأمر امبراطوري الجنرال تروشو قائداً عمومياً للجنود المجتمعة في باريز للدفاع عنها فانه كان قد ظهر ان جيشاً

جراراً من الالمان كان ذاهبا ليحاصرها وهكذا ترى انه ولئن انقلبت الدولة الامبراطورية بعد ذلك بمدة قصيرة كان الجنرال تروشو الذي تقلد قيادة الجيوش مدة الحصار كلها متقلداً وظيفته بأمر امبراطوري هذا والمظنون ان من يظن ان الامبراطور نابليون هو امبراطور مخلوع يخطئ في ظنه لانه لا يخفى ان هذا الامبراطور لم يتنح عن حكمه تنحياً أصولياً واذا أقيم انتخاب عمومي بدون ان يدخله فساد تقدم له أكثرية تطلب ترجيعه وعلى الخصوص أهالي بلاد الزراعة

وعند ما تقلد تروشو وظيفته الصعبة نشر اعلانا قال فيه انه يؤمل ان الباريزيين يبينون كرامة أخلاقهم بالالتقياد غير انه لم يذكر اسم الامبراطور الذي قلده الوظيفة ولا اسم نائبته التي كانت لاتزال في باريز وهذه من الامور المستغربة وكان الفرنسيون يعرفون ان تروشو هو من القواد المشهورين بالشجاعة والدراسة وانه من المؤلفين الحريين فانه نشر سنة ١٨٦٧ كتاباً موضوعه بيان الاصلاح الذي تحتاج الجيوش الفرنسية اليه ولوانتهبت الى هذا الكتاب حكومة الامبراطور لكسبت ماربما كان خلصها من ويل عظيم . وكان القوم يعرفون ان تروشو هو من المتحزين للاورليان ولذلك لم يكن يركن اليه الامبراطور يون مع ان الامبراطور كان عارفاً به من أهل الاهلية ومما يؤكده ذلك اقامته في وظيفة صعبة في وقت الاخطار . ومن الامور التي كان يضادها تروشو في كتابه تمكين الذين تقع عليهم القرعة العسكرية من الخلاص من الخدمة بدفع المال وهذا يجعل جيش فرنسا قليلاً فانها لا تقدر ان تأتي ميدان الحرب الا بربع العدد المقيد في دقاترها ومنها أيضاً احتياج الجيوش الفرنسية الى نظام مركزي



الجنرال تروشو

استعدادات باريز

وكانت باريز شائعة في الاستعداد للحرب لانها لم تكن تشك بان الالمان مصممون على حصرها

وفي ١٩ آب (أغسطس) أقامت الامبراطورة نائبة الامبراطور لجنة لتحصين باريز وعينت الجنرال تر وشورثيسا والمرشال فاليان والاميرال ريكولت دوجينو الى والبارون جيروم دافيد والجنرال دوشامبور لاطور وجيو ودانمار ودافريل وسومان وغيرهم بحسب الاقتضاء أعضاء للجنة المذكورة . فاستأجرت سبعة آلاف وخمسمائة فاعل للقيام بعمل جسورة متقلة وفتح الطرق في الحصون للمرور منها الى باريز وبهدم كل مايسهل تقدم المحاصر ويمكنه من توجيه مدافعه على القلاع فقطعوا كل الاشجار المغروسة في منتره غاب بولون وأشجار حرش فوتنابلو الجميل التي منها ماعمره ألف سنة وهدموا كل مافي الجنات الكثيرة والحدائق من الابنية وغيرها وأحرقوا أشجارها حتى ان الناظر كان يرى من كنيسة نوتر دام أوغيرها من التلال ان باريز محاطة بلهيب مخيف و بدخان كثيف لا يقدر ان يرى ماوراءه . وشرع الاهالي في جمع الزاد خوفا من ضيقات الحصر فارتفعت أسعار كل الماء كولات سريعا وقدمت المجالس البلدية مخازن لحزن الحنطة وغيرها من الزاد . ودعت باريز اليها فلاحى البلاد المجاورة لها فدخلوا بمواشيهم وكل ماينفع لقيام الاود وأخرجت منها كل أهل الكسل والبطالة الا لانفع لهم الا في الاكل ومع ذلك بقي ألوف منهم في المدينة مع انه التزم منهم حال كونهم من الفقراء ان يخضعوا لهذه الاوامر التي صدرت عن الملك

لاتراعي واجبات الشفقة فهلك منهم كثيرون جوعاً . وأدخل الى باريز من البلاد المجاورة مائة وخمسون ألفاً من الفقم وأربعون ألفاً من الخنازير و ٢٥ ألفاً من الثيران والعجول وصار اقامة قرض قدره ثلثون مليون جنيه انكليزية بسرعة لا مزيد عليها وتقرر بدل قراطيس البنك بنقود عند طلب ذلك أما أهالي باريز فشرعوا في التحصين والتبليو للدفاع بنشاط وهمة ورغبة غير انه حدث في ١٤ آب (أغسطس) اضطراب في بولفارد ولا فيلت أتى الاهالي بقلق شديد أما الحكومة فآخذته حالا وحكم بالقتل على كثيرين من المشاغبين بمجلس حربي

وكان أهالي باريز مشغولين بالتحضير للذب عن ذمارهم حال كون الامبراطور الذي كان قد ترك قيادة جيوش فرنسا كان يذهب من مكان الى مكان هو وابنه بدون ان يكون مصمماً على اجراء شيء يمكنه من معرفة مايجب ان يعلمه . غير انه قبل ان خرج من ميتس الخروج الاخير اجتمع بالبطل الشيخ الجنرال شاكرانيه وكان الامبراطور مختلفاً هو وهذا الجنرال لانه كان يظن ان شاكرانيه كان يحسده على سلطوته وربما كان مصيباً في ظنه لان هذا الجنرال كان يحاول الوصول الى الملك كما كان يحاول نابليون وذلك في سنة ١٨٥٠ و ١٨٥١ وكان هذا الجنرال من الذين باتوا في السجن بعد ان تمكن نابليون من قلب الحكومة الجمهورية واقامة امبراطوريته وعند ما أطلق سبيله تمنع عن ان يحلف يمين الانقياد الى الامبراطور وخرج من فرنسا وأتى وسكن في بلجيكا هذا ولا نعرف هل الامبراطور أرسل ودعا شاكرانيه اليه أو هو أتى اليه من تلقاء نفسه غير اننا نعرف انه في ٨ آب (أغسطس) قابل الامبراطور هذا الجنرال الشيخ مقابلة لطف وعامله نعم المعاملة . وقد قالت الجريدة الباريزية المسماة بالفيغارو ان الجنرال وصل والمطر يهطل عليه هطلاً شديداً فرأى القليلون الذين كانوا ينظرون اليه رجلاً شيخاً لابساً بنطلوناً ابرش ضيقاً فيه خطوط بيضاء وجبته كبيرة وعنقه قصيرة كأنها غائصة بين كتفيه مع أن هذا الجنرال كان من الجنود الذين كانوا يعتنون كل الاعتناء في

اتقان ملابسهم . ولما وصل الى الولاية أدخله الحارس ودعا اليه حاجباً ليعلم الامبراطور
بقدومه . فاخبر هذا الحاجب الجنرال رل بان شاكرانيه يرغب أن يتقابل الامبراطور .
فلما عرف الامبراطور بذلك أمر بادخاله اليه حالاً بدون تردد وبعد ذلك ببرهة
قصيرة اجتمع الرجلان اللذان كانا قد انقطع أحدهما عن أن يكلم الآخر نحو ١٩
سنة . فقال الجنرال للامبراطور أيها المولى أن فرنسا في خطر وأنا جندي قديم وقد
أتيت لخدمك باختباري وسيفي الذي ربما كان لا ينفع كثيراً لاتي قد بلغت سن
٧٨ سنة غير اني اظن ان عقلي لا يزال على ما كان عليه فاغلق الباب واجتمعا ساعتين
وبعد ذلك فتحت الباب فقال الامبراطور قدموا للجنرال طعاماً فانه لم يأكل منذ
الصباح وقولوا للكونت دوز أن ينتخب افراساً للجنرال فانه منا ايها السادة وهيئوا
له محلاً لنزوله وبما أن هذا الجنرال الشيخ كان قد أتى رأساً من بلجيكا عند ماسمع
بالتأخر الذي طرأ على فرنسا لم يأتي بشيء من ملابسه وغيرها من المفروشات فقدموا
له كل ذلك وكانت تلوح على الامبراطور لوائح الفرح والسرور الشديد وأثر رجوع
هذا الرجل الى الامبراطور تأثيراً حسناً في الضباط الذين رأوه مع الامبراطور في
ملاكيون لانه كان من أهل المجد والسطوة ومع انه كان يرغب كل الرغبة في أن
يخدم بلاده خدمة صحيحة كان لا يقدر مع شيخوخته أن ينشط الجيوش ويحملهم على
الاركان اليه والرجوع الى النظام بعد أن انكسروا كسرات كثيرة ولا أن يدافع
عن وطنه الذي كثيراً ماخدمه بأمانة في الشرور التي كانت داخلة اليه وبعد أن اجتمع
الامبراطور بشاكرانيه أتى شالون ودخلها في ١٧ آب (أغسطس) فقابله الجيش مقابلة
امانة مع انه كان قوم من العساكر حتى القواد يخونونه باطناً وقد قال قوم انه كان يعرض
الجيش للخطر للحصول على راحته الخصوصية وكان يؤخر مسيرة الجيش لئلا ياتزم أن
يسير مسيراً ذمياً غير اننا نظن ان هذا انما هو من التهمات الباطلة التي لا أصل لها .
هذا ولا يخفى أن الامبراطور نابوليون لم يكن يجول في ذلك الوقت كالملاك غليوم

الذي كان يحدو حذو السبارتين ولكنه سار في رهط من الحشم والاعوان ومع ذلك تقول انه كان يحتمل اموراً كثيرة عند ما كانت تمس الحاجة كما فعل في فردون فانه ركب في منازل الرتبة الثالثة من المركبة وابنه الذي كان معه غسل وجهه في اناء قديم مشقوق ونشف الماء عن وجهه بمنديله . وقد تعدل عدد جيش شالون عند ما أتاه الامبراطور نحو ١٤٠ ألفاً وكانوا جميعاً من الجنود المجربة والمتسودة خوض المنايا خلا ٣٠ او ٣٥ ألفاً من الرديف . وكان هؤلاء الجنود بلا نظام ومائلين الى العصيان والمظنون انهم جروا بقوتهم الردية كثيرين من الجنود الامناء الى العصيان . وقد قال مكاتب جريدة السيا كل أن هؤلاء الرديف كانوا ينهبون مركبات الملابس والبارود والازاد وكانوا يرمون بصناديق البارود الى الطرق بدون أن يهتموا بالنتائج الردية التي تنتج عن ذلك اذا احترقت المهمات الكثيرة وانهم كانوا يسلبون ذلك ويبيعونه بأثمان بخسة للذين كانوا لا يترددون عن أن يشتركوا معهم في الشر باتباع السلوب حتى انهم لم يمتنعوا عن سلب امتعة الامبراطور فسلبوها وباعوا بعضها بمبلغ لا يستحق الذكر من الدراهم حتى انهم باعوا رأس السكر الايض المال بما يساوي غرشين ونصف وبالة القهوة بفرنك واحد وكان الفرنسيون يرتكبون هذه الاعمال المخيرة والالمان يتقدمون يوماً فيوماً ويزيدون اقدامهم ثباتاً في أراضي فرنسا حتى انهم كانوا قد تمسكوا من أن يضموا الى المانيا ولايتي الازاس واللورين اللتين كانتا فرنساويتين مدة قرنين بعد أن كانتا المانيتين وفي ١٧ آب (اغسطس) عين ملك بروسيا الجنرال فون بونن واليا في اللورين ونائب الجنرال البرنس بسمارك بوهان واليا في الازاس . وبعد معركة كرافلوت بيومين أتى ظاهر ميتس جيش من جنود اللاندهير الالمانية لنجدة الجيش الالمانى الذي كان نازلاً في ظاهر هذه القاعة التي لم يحصرها أحد قبل ذلك . وكان ابن ملك بروسيا يتقدم بجيوشه بثبات قاصداً باريز وأخذ أكثر جيش البرنس فردريك شارل يقوم بحصر ميتس

وابتداً ذلك حق الابتداء في ٢٣ آب (أغسطس)

وفي ذلك الزمان اجتمع الامبراطور نابوليون والمرشال مكماهون الذي كان قد جمع شعث جيشه بعد ان انكسر في ورث وتشاورا وكانا يحبان ان يعرفا هل الاوفق أن يرجعا بالجيش الى باريز ليصدا تقدم ابن ملك بروسيا أو أن يذهبا به الى الجهة الشمالية الشرقية من شالون لينزلا بغتة على الجيوش الالمانية التي كانت تحاصر ميتس . اما الامبراطور فكان يحب أن يفعل بحسب مشورة مكماهون وهي أن يرجعا بالجيش الى باريز لصدا ابن ملك بروسيا عن التقدم بجيشه غير ان الوزراء في باريز قالوا ان الاحسن ان تصير مهاجمة الجيش النازل امام ميتس ولكن بما ان الامبراطور كان قد ترك قيادة الجيوش الفرنسية وسلمها لنائبته والوزراء في باريز التزم أن ينقاد الى رأيهم مع أن مكماهون كان يقول انه لا يقدر أن يفعل شيئاً الا تحت اسوار باريز لان جيوش المانيا كانت قد كثرت في ظاهر ميتس فالتزما ان يطيعا قرار الوزراء والظاهر ان الله كان قد قدر على فرنسا الويل لانه صار ارسال احسن جيشها الى حيث لا يقدر ان ينفع البلاد بشيء وصار التمتع عن اجراء ما ربما كان يدفع كل الويل عن فرنسا ولذلك خرج المرشال مكماهون وجيشه من شالون قاصداً نجدة باريز مع انه كان يعرف انه لا يقدر ان ينفعه بشيء وفي ٢٤ آب اغسطس دخلت موخرة جيش الماني شالون واستولت عليها بدون ان تصادف ممانعة . وقد كتب مكاتب جريدة التيمس رسالة يصف بها مسير جيش مكماهون وقد قال ان خيل المدافع كانت ضعيفة وكانت مركبات المدافع قليلة وغير مرتبة وفخرية وكان الفرسان قليلين وضعيفي العزائم أما جيش المشاة فكان أكثره من الرديف الذين لم يكونوا متعودين الحرب وكان قليل النظام والجسارة وعلى الخصوص بعد ان صادف الفشل الذي صادفه وبالجملة نقول ان الجيش المذكور كان محتاجا الى أمور كثيرة من شأنها تقويته وتنشيطه . وكان الامبراطور يسير بجانب الجيش حال كونه معترلاً عن قيادته ولم يكن يبان للناس انه هو ذلك القائد

المشهور الذي كان يوقع الرعب في قلوب أعدائه وينشط جيشه ويحمله على الأعمال الكثيرة الحسنة التي كان يعملها جيش فرنسا وكان يابيه بعظمة ماوية في مسيره معهم في حشمه وأعوانه وكان معه ابنه البرنس امبريال الذي كان قد أخرجه من القصر ليشاهد الفوز والنصر ولكنه لم يشاهد غير ما كدره من الكسر والفشل . انتهى وكان الالمان يشددون الحصر على ستراسبرج عندما كانت هذه الامور تحدث في جوار شالون وميتس

وقبل ان أقام الالمان حصر ستراسبرج بعث الجنرال دوييه الالماني رسولا الى الجنرال أوهرش قائد الجيوش الفرنسية في ستراسبرج ليطلب اليه ان يسلم قبل اقامة الحصار ولما دخل الرسول المدينة تبعه كثيرون من أهاليها وكانوا يصرخون بأصوات عالية ويقولون باللفة اللمانية اننا لانسلم ولما بلغ هذا الرسول القائد الفرنسي طلب القائد الالماني أجابه بفتح النافذة والاشارة الى القوم الكثيرين المجتمعين مع جميع الرتب وكانوا يصرخون في الشوارع قائلين الويل لبروسيا ولتفش فرنسا اننا لانسلم . هذا ولم يظهر قوم في أوقات كهذه ما أظهره أهل هذه المدينة مما يدل على النشاط وحب الوطن وقد قاموا بالمداخلة حق القيام حتى رأوا انه لا مهرب الى المحاماة عن أنفسهم بدفع الجيوش الكثيرة التي حاصرتهم وكان الفرنسيون قد قاموا بحق الاستعدادات اللازمة للدفاع اذ أنهم كانوا ينتظرون الحصر وفي ١٦ آب (أغسطس) خرجت الجنود منها الى جبهة أوستوالد وهاجموا المحاصرين غير انهم التزموا ان يرددوا بعد ان قتل كثيرون منهم وخسر وا ثلاثة مدافع . أما الالمان فلم يطلقوا الكرات على هذه المدينة الا في ١٩ آب (أغسطس) وذلك من بلدة مجاورة لها تسمى كهل وكان حراس المدينة يطلقون المدافع على الالمان المحاصرين في الوقت نفسه اطلاقا حسنا

- هجوم الألمان على فالسبرج وغيرها -

وفي ١٨ (آب) اغسطس هاجم الألمان مدينة فالسبرج وقلاعها وكان الدكتور روسل مكاتب التيسس ناظراً لذلك فوصف المعركة وصفاً حسناً وما أتى هو ترجمة كلامه ان الألمان أقاموا حواجز في احدور يبعد عن فالسبرج نحو ميل ونصف في الجهة الغربية منها ووضعوا مدافعهم وراءها وكانت هذه المدافع مقامة في ثلاثة صفوف يبعد كل منها عن الآخر ولكنها جميعاً موجهة الى مكان واحد وكان وراء هذه الصفوف مدافع كثيرة للاستعمال عند ماتمس الحاجة وكانت موضوعة بالقرب من بلدة فيشم وتبين لي ان الألمان لم يستخدموا غير ثلاثة صفوف من مدافعهم غير انهم أحسنوا اطلاقها حتى ان النار شبت في فالسبرج في ثلاثة أماكن في وقت واحد وكانت كرات المدافع الكبيرة في الجهة الشمالية الغربية تسدفع هي ودخانها الابيض وتخرق ذلك الدخان الاسود المحمر في أسفله وكانت المدافع تطلق الكرات المحشوة والقطع الحديدية من الجهتين . وكانت الكرات تقع في فالسبرج بتتابع حتى انه كان يصعب على المحصورين ان يخذلوا نيرانها وقد بلغنا ان القائد تيل الفرنسي كان يحلف ان فالسبرج لا تسلم مادام فيها رجل واحد قادر ان يطلق المدافع على الألمان . وبعد ذلك شبت النار في كل المدينة والدخان يتصاعد كثيفاً ومع ذلك كانت مدافع الفرنسيين تطلق كراتها بترتيب كانه لا خطر في داخلها . انتهى ملخصاً

هذا وكان المظنون ان بوارج فرنسا تتمكن من ان توقع ضرراً كبيراً في بوارج بر وسيا وتجارتها لانها أقوى وأحسن نظاماً منها غير انها لم تتمكن من المرغوب ولكنها قامت بمعارك صغيرة قليلة في بحر الباطيك وكان الفوز فيها للفرنساويين فانهم كانوا يهاجمون بوارج بر وسيا ويلزمونها ان تطلب الفرار وكانت يقتل ويبحر قليلون من الفريقين في المواقع المذكورة ولم يتمكن الفرنسيون من أن يضر وا كثيراً بتجارة بر وسيا

لانهاضيقه الدائرة ومرا كبا التجارية قليلة جدا مع ان الفرنسيين كانوا يؤملون بانهم
يقدر ان ينكلوا ببروسيا ويفقروها بواسطة ايقاع الضرر بتجارها
انا قد قررنا ان المرشال مكماهون لم يستحسن الكيفية التي قررتها الحكومة
الفرنساوية لقيام المحاربة بنجدة المرشال بازين في ميتس . فان ذلك المرشال البطل
كان يعلم حق العلم ان الصواب في ان يادر بجيشه القليل الذي كان أكثره من الرديف
الذي صار جمعه بسرعة لاميدي عليها الى نجدة باريز التي أمست في خطر من هجمات
الالمان . ومع ذلك كان ملزما ان ينفذ أوامر الحكومة بحسب امكانه و بناء على
ذلك تصرف تصرف قائد عاقل فيما يتعلق بالخضوع الى أوامر أولياء أموره بدون
ان يظهر تذمره أو ان يسمح لتردده أن يؤخره عن أن يقوم بحق واجباته . وقد قال
مكاتب جريدة الطان الفرنسية أن المارشال مكماهون قال عند ما شرع في تنفيذ
أوامر حكومته انني أرى أنني معرض فرنسا للخطر في ترك طريق باريز مفتوحة ولا
أقدر ان أترك أقوى جيوشنا في خطر مبین واذا تمنعت عن ان أبادر الى نجدة بازين
يحملني الذين يحسبون انني من الحاسدين كل المسئوليات التي يقدر ان يحملوني اياها
. هذا والظاهر ان القواد والجنود الذين كانوا تحت قيادة المرشال مكماهون كانوا
يعتقدون اعتقاده في ما يتعلق بوجوب المبادرة الى الدفاع عن باريز غير انه ربما كان
أكثر هولاء الجنود الذين لم يتعودوا خوض المعارك راغبين في مجانبة قيام القتال وكان
بعض القواد يقولون انهم مؤكدون بالحصول على الفوز غير ان لوائح الحزن اذا لم نقل
خيبة الامل كانت تلوح على أوجه أكثرهم ولا يخفى ان ذلك مما يضعف الجيش كثيراً
فيسيت غير قادر ان يفعل الافعال التي يجريها اذا كان متأكداً النجاح

وفي ٢٣ آب (اغسطس) خرج الجيش من رهزوي مركز ولاية شامبين وربما
كانت تغيرت أحوال الحرب وتمكن الفرنسيون من الفوز لوسار مكماهون بجيشه
سيراً سريعاً . ومع أنه يصعب علينا أن نصدق ان مكماهون كان يتردد عن القيام

بمقتضيات الحال لا تقدر ان تسكران سير الجيش لم يكن "سريعاً" حتى ان بطء السير قطع كل الامل من نجاح الحساكر الفرنسية في تلك المعارك . وربما كان مكماهون غير قادران يسير بجيش كالجيش الذي أمسي تحت قيادته مسيراً أسرع من السير المذكور وهذا أقرب للتصديق من ان تصدق ان مكماهون تأخر عن ان يقوم بواجباته حق القيام . وكيفما كانت الحال نقول ان بطء سير الجيش طرح فرنسا في خطر ما بعده غير سوء العواقب وفي ٢٦ من الشهر المذكور وصل الى نصف الطريق الواقعة بين رهزوين ميتس مع انه لو سار سيراً سريعاً لتمكن من الوصول الى ميتس في ذلك اليوم ولولم يعرف ولي عهد ملك بروسيا وولي عهد ملك ساكسونيا بالطريق التي سار فيها مكماهون وبانه قد ترك طريق باريز مفتوحة بحيث أصبحتا قادرين ان ياتياها بلا معارض عند ما يرغبان ان ياتياها لتمكن المارشال مكماهون من نجدة بازين قبل أن يقدرنا على منع جيشه من الوصول الى المكان المرغوب ليساعد جيش ميتس ولكن لما رأي وليا العهد المشار اليهما انه ما من شيء يعيقهما عن الذهاب الى باريز عند ما يرغبان في الذهاب اليها ارتدنا لينعما جيش مكماهون عن التمكن من نجدة جيش بازين وسارا بجيشيهما الى الجهة الشمالية بعد ان كانا يسيران الى الجهة الغربية واخذنا في مطاردة جيش مكماهون الذي كان جيشاً غير خال من الخلل

وانضمت فرقتان من جيش المانيا الجنوبي الى الفرقة الثانية عشرة من الجيش الرابع وسارت جميعها على شاطئ الموز الغربي . وسارت فرقة حراس بروسيا والفرقة الرابعة من الجيش الرابع في شاطئ نهر السار الشرقي . وسارت بقية فرق الجيش الثالث الى جهة سيدان . وفي تلك الاثناء كان المارشال مكماهون ومعه الامبراطور وولده يسرون سيراً ذمياً الى جهة ميتس مارين في اركون السفلي الى مونغيدي . وقد قال الذين يعرفون فنون الحرب ان هذه الطريق هي أوفق طريق لمرور جيش مكماهون في هذا الوقت غير انه لم يكن معه ما يلزم له من الفرسان . وقد قلنا ان أكثر هذا الجيش كان

من الجنود الذين لا اختبار لهم في أحوال الحرب، ومن الذين لا يحافظون حق المحافظة على النظام . ومع ان المرشال المذكور كان من الذين كانت الجنود الفرنسية تركز اليهم كل الاركان قل اركان الجيش اليه بعد معركة ورت . ولم تصل طليعة جيش مكماهون في ٢٩ آب (اغسطس) الا الى بوزانسي وقلبه الى استون وبومون . والتقت طليعة جيش الفرنسيين بطليعة جيش الالمان وحدثت معركة صغيرة وانكسرت فيها طليعة الالمان . وحدثت معركة أعظم من هذه المعركة في بوزانسي في ٢٧ من الشهر المذكور بين الفرقة الثانية عشرة من الشاسور الفرنسيين والثالثة من فرسان السكسونيين الذين كانوا مستندين الى بعض الفرقة الثامنة عشرة من الاهلانز الالمان والزونكر فانكسر الفرنسيون بكسرة شديدة قتل فيها كثيرون منهم . وفي ٢٨ الشهر المذكور حدثت معركة صغيرة في دن استى وفي موريزون وفي ٢٩ منه اطلق فرقان من البروسيين النار على قرية فريزي وفتحوها واسروا ما فيها من الجنود الفرنسيين وكان أكثرهم من التركو . وحدثت في ٣٠ آب (اغسطس) معركة مهمتان وانكسر فيهما الفرنسيون وهكذا نرى ان مكماهون كان يصادف المصائب وهو سائر بذلك الجيش قاصداً نجدة بازين وأمسي في بلاد ضيقة وهي عند حدود فرنسا ولكزمبورج والاعداء تهدده من امام ومن الورا . وفي صباح ٣٠ الشهر المذكور شرع في قطع نهر الموز ومع ان الجيش كان قد صادف نكبات كثيرة وهو آت الى جهة ميتس أرسل الامبراطور رسالة برقية الى باريز مألها انه متظران يفوز فوزاً عظيماً . فقطع النهر المذكور فرقان من الجيش الفرنسي غير انه قبل ان تتمكن الفرقة الثالثة من قطعه هجمت عليها فرقة بافارية من الجيش الثالث الالماني . وكانت هذه الفرقة قد أتت بومون خفية بالمسير في بلاد فيها احراش كثيرة وكانت واقفة وقوف المستعدين للحرب وهي مستورة بالاحراش وعند ما كبس الالمان الفرنسيين وهم يعبرون النهر المذكور التزمت الفرقة التي كانت لانزال في الجهة الغربية من النهر ان ترجع الى الورا . وقبل ان تتمكن الجيش



ولي عهد ملك ساكسونيا

الفرنساوي من ان ينضم بعضه الى البعض الآخر انضم الي جنود ولي عهد ملك
سكسونيا فرقة اخرى من جنود المانيا ولما وصل الفرنسيون الى الجبهة الأخرى من
الموز هجم الألمان عليهم هجوماً شديداً فانكسروا بعد ان قتل منهم كثيرون وذلك
في موزون

اما الفرقتان اللتان كانتا قد عبرتا النهر فهجم عليهما قسم آخر من الجيش الساكسوني
في كارينان فانكسرتا بلا ترتيب ومع ذلك تمكنتا من ان تنضما الى قلب الجيش الذي
بعد ان انكسر في موزون كان يطلب الفرار ويرجي بأسلحته ومهماتة . وبعد ذلك
جمع المارشال مكماهون جيشه وسار به سيرا سريعاً الى ان قطعوا نهر الشير تاركين
بينهم وبين العدو النهر المذكور وهكذا أمسى الألمان لا يتسددون ان يصلوا اليهم في
ذلك الوقت غير انهم باتوا في مركز غير حسن والظاهر ان القواد لم يجهدوا حق الاجتهاد
في ان يتنلبوا على المصائب التي حلت بالجيش وقد قيل انهم في مساء يوم الكسرة
المذكورة حضروا مأدبة رقص في دورى غير اننا نكاد لا نصدق هذا الخبر وفي مساء
٣٠ آب (اغسطس) وصل الامبراطور الى كارينان ولكنه ذهب منها حالاً واتى المارشال
مكماهون الذي كان في جوار سيدان

وقد كتب مكاتب جريدة التيمس ما يأتى وهو في ٣١ آب (اغسطس) صرف
الارشال مكماهون النهار في اقامة جيشه في مرا كره وربما كان معه مائة وعشرة آلاف
جندي هذا بعد ان نستقط عدد الذين قتلوا في المعركة الاخيرة والظاهر انه لم يصل اليه
العشرون ألف جندي الذين أرسلوا اليه من مزيير وكان معه نحو ٤٤٠ مدفعاً ولا بد
من انه كان عارفاً بالخطر العظيم الذي كان يهدده فان ولي عهد ملك سكسونيا كان
امامه في عبر نهر الشير ومعه كل جيشه وكان عن يمينه في عبر الموز كل الجيش الجرار
الذي كان مع ولي عهد ملك بروسيا

هذا والظاهر ان المارشال رتب جيشه وهو يظن ان الألمان يهاجمونه من امام ومن المينة .

ومع انه لم يكن عارفاً ان ولي عهد بروسيا ناو على مهاجمته . وكان جيشه في خط طويل تمتد من جيفون في الجهة الشمالية الى قتها في باريل وبالو ومن هناك الى الورا حتى سيدان . وكانت ميسرته في جيفون والحرش القريب منه وكانت من اضعف جنوده اذا كان ظن انه دون الوصول اليها موانع كثيرة وعلى الخصوص لان في القرب منها حدود مملكة على الحياض وكانت صفوف الفرنسيين ممتدة على القمم الممتدة الى جهة سيدان . اما القلب الايمن فكان في بازيل وبالو . واقام مكاهون احسن جيشه واقواه في هذا المركز للمحافظة على طويلك كارينان وليقود طليعته الممتدة الى الامام . اما المراكز التي كان قادراً ان يحصنها فكانت بين جيفون وسيدان فقام فيها المدافع والجنود المشاة ووجه بعضها الى جهة الاحراش الكثيفة في الوادي واقام في بعض المحلات حواجز لمنع هجوم العدو الذي كان يترصده هجومه . امامية الجيش التي كانت ممتدة وراء سيدان فكانت محمية بنهر الموز وبالجهة الغربية من المدينة وبالاراضي التي ادخلوا ماء النهر اليها بحيث تبيت جنود الاعداء غير قادره على قطعها واقام وراء سيدان جنوداً كثيرين مع انه لم يكن مكاهون يترصده هجوم الاعداء من تلك الجهة . وكان نهر الشير يجري مقابل الجيوش الفرنسية من دوزي الى راملي وكان حاجزاً بين ولي عهد ملك سكسونيا وبين جيش مكاهون وهكذا اقام مكاهون بجيشه بين نهرين وهما الشير والموز ووراء موانع كثيرة الانواع ينتظر هجوم الالمان ويقال ان الامبراطور المنكود الحظ كان لا يزال يأمل بالفوز ومع ان الالمان كانوا عازمين على ان يهاجموا سيدان مهاجمة شديدة ليمنعوا وصول النجدة الى بازين في ميتس لم يبدلوا اعمالهم في جهة اخرى فان جنودهم كانت كافية لتمسكهم من اجراء كل ما كانوا يحبون ان يجروه مع انه لم يكن للفرنساويين ما كان يلزمهم من الجيوش . وكانوا يجمعون عند سيدان جيشاً كان يحسبه رجال السنين الماضية من اعظم جيوش اكبر الدول حال كونه كان لهم جيش آخر كان قادرا ان يقوم بالاعمال التي كانوا

يرغبون في القيام فيها وكانت ترد رجال متسلحة حق التسلح من كل الجهات عند ما كانوا يدعونها حتى انه كان يظهر للناظر انهم قادرون ان ياتوا بالعدد الذي كانوا يرغبون في ان ياتوا به وما ذلك الا نتيجة الاستعدادات التي كانوا يهيئونها منذ سنين كثيرة ونتيجة جهل الوزراء الفرنسيين الذين فتحوا الحرب بدون ان يكونوا عارفين قوة جيش أعدائهم وضعف جيشهم .

— حصار ستراسبرج —

وكان الجيش الآخر الالماني الذي كان يحاصر ستراسبرج محصناً في مساء ٢٣ آب (اغسطس) في محل لا يسد اكثر من ميل عن القلعة وفي ذلك الوقت استلم الطريق الحديدية واقام فيها مستنداً الى مدافع كهل وكان مركز ادارة هذا الجيش نازلاً في الامبرتم التي تبعد نحو خمسة اميال عن ستراسبرج وفي اليوم الرابع والعشرين انتشب القتال بين عساكر المدافع الالمانية والقلعة ولم ينته الى صباح اليوم الخامس والعشرين فانتشبت النار باثناء تلك المعركة الشديدة من الجهة اليمنى من القلعة وخربت بها اما مخازن المهمات فانهدمت الى الارض لان نيران الالمانيين كانت شديدة جداً وانتشبت النار في محلات كثيرة من المدينة وتمكن الالمانيون من ان يخذلوا نيران صف واحد من مدافع الفرنسيين بمدينة كهل وينزلوا بهم ويلاعظوا واضرار جسيمة واحرقوا البلدة بنيرانهم وامست اكثر البيوت أثراً بعد عين ومع ذلك لم يظفروا نتيجة نهائية وفي اليوم السادس والعشرين احتفر الالمانيون خنادقهم على بعد ٨٠٠ يرداً ونحو نصف ميل عن اسوار المدينة ثم شرعوا بتعطيل الخفرة التي تمنطق القلعة بتحويل مجرى نهرايل ومنذ ذلك الزمان امست ستراسبرج في ضيق حتى ان الاسقف الذي مات بعد ذلك بقليل حاول ان يتوسط في امن الصلح فذهب وقابل رئيس معسكر الباديين اللوتنان كولوئال لازنسكي

وطلب أن يصير السماح للاهالي الذين لم يشتركوا في القتال بالخروج فلم يحزن طلبه القبول وعندنا ان هذه من الفساق . ثم عقدت هدنة أربع وعشرين ساعة بشرط انه بعد مضي ساعة يشرع حاكم ستراسبرج في ان يطلب المحاورة على انه اسوء المظلم لم يات ذلك بنتيجة وقد قال الألمان ان القلعة اطلقت الاسلحة على اللوتشان كولونال ايرانسكي المذكور وهو راجع الى مصسكوه وكان حاملاً راية بيضاء بعد أن قابل الاسقف هذا ويصعب علينا تصديق هذا الخبر فان كان ذلك صحيحاً اولاً فخرق قوانين المحاربة التي يعتبروها كل الناس حتى المتوحشون هو من الامور التي لا يسبل عليها ذيل المعذرة ثم اقيمت المهاجمة وانقطعت المحاورة بوقت قصير .

اما معركة ستراسبرج التي قدر الله عليها الخراب والتي هي بلا ريب احسن المعارك التي اقامها الفرنسيون في هذه الحرب فيحق للامة الفرنسية المشهورة بالبسالة والشجاعة ان تفتخر بها ولما سمع الباريزيون باعمال اهالي ستراسبرج الناتجة عن الهمة والنشاط والثبات الناتج عن البسالة افتخروا وابتهجوا وربما ان معظم سرورهم هذا كان لكون اهالي عاصمة اللورين الذين دافعوا عنها احسن دفاع هم الالمانيون ومن جيش الشعب الذي كان يحاربهم لانه منذ انقسام الاراضي الفرنسية بقيت ستراسبرج مدينة المانية الى سنة ١٦٨١ لما فتحها الملك لويس الرابع عشر وضمها الى فرنسا اما هذه المائة والتسعون سنة التي مضت منذ فتحها ذلك السلطان العظيم فقد صيرت الالهين فرنساويين بالميل والغرض مع ان كثيرين منهم لا يزالون يتكلمون باللغة الالمانية ويا حبذا لو اكتفى الباريزيون باظهار سرورهم وابتهجاجهم من الابطال الذين دافعوا عن ستراسبرج فانهم انقادوا بميلهم الى الامور الشخصية وشرعوا في تكريم الضم المقام في باريز من ستراسبرج وعلقوا حوله زهوراً وراحيين ورايات وكانوا يزورنه يومياً ويصلون عنده وينشدون النشائد الوطنية وكانوا يرقصون احيانا حوله ويلزمون كل من مر بهم ان ينضم اليهم ويشاركونهم في ذلك فاعلين موضوعاً لذلك ما كان يجب ان يكون موضوعاً لمحبة الوطن .

هذا وقد ذكرنا ان الجنود الالمانية كانت تقوم بحصر ميتس وستراسبرج في وقت واحد وفي ٣٠ آب (اغسطس) خربت بعض شوارع مدينة ستراسبرج واحترقت مكتبتها التي تحتوي على ١٣٠٠٠٠ كتاب خطأ وطبعاً ومنها مالا يمكن تسويضه اما الاهلون فكانوا يلتجئون الى السرايب لانهم لم يكونوا يأمنون على انفسهم في غيرها وفي وقت قصير انقطعت كل المأخوم من المدينة خلا لشم الخيل الذي ارتفعت اسماره ارتفاعاً كثيراً وتعالت أسمار البطاطا فبيعت الليرا بسعر عشرين فرنكا وقس عليها غيرها ومع ذلك كان اكثر الاهلين يحبون ان يلبثوا مظهرين من الشجاعة مالا مثيل له ودافع الفرنسيون عن ميتس مدة طويلة بشجاعة وبسالة واتى الفرنسيون بماء النهر واطلقوه في الاراضي المجاورة لميتس لينعموا العدو عن الدنو منها بالوحول وكان المرشال بازين الذي اتهموه بخيانة المدينة منتظراً داخل خنادقها وحصونها الحصينة هجمات العدو الذي كان مشغولاً باقامة طريق حديدية ليتمكن من الانتفاع بالطريق التي بين ميتس وباريز قبل فتح ميتس وفي آخر آب (أغسطس) حذت الحكومة المحلية في ميتس حذو حكومة باريز فطردت عدداً غفيراً من الذين ياكلون ولا ينفعون مع كل الذين لا يحسنون السلوك وكل الذين لا يقدرّون على القيام باودهم ومساعدة المدينة بسبب المرض أو العمى أو غير ذلك .

وقد كتب أحد الكتبة الذين شاهدوا هؤلاء القوم خارجين ما يأتي: ان منظر هؤلاء القوم المنكدوي الحظ الخارجين من ابواب ميتس تقشعر منه الابدان فكنت ترى بعضهم لا بسين ملابس رثة وآخرين مرضى وقسوما كسالى وكان العرج والعمى والمصابون بالضيقات سائرين بجانب الاشداء والمناوشين ولا ندري ماذا الم بهؤلاء المنكدوي الحظ على انه ربما كان نصيبهم يحاكي نصيب ذباب اودية المانيا القريبة والا الزاس التي هربت من الاخراش من هول دوي مدافع معركتي ورث وسار بروك واتت الأردن وبلجكا فقتلها الاهلون . اه

والمظنون ان أغلب هؤلاء المنكودي الحظ قد هلكوا من البرد والجوع ويصعب على الانسان ان يصادف ذلك في بلاد متمدنة ولكن هذه هي من ويالات الحروب التي تدعى مجيدة .

وفي ١٧ آب (اغسطس) حدثت في باريز حادثة مكرية وهي ان شابا بر وسيانا اسمه كارلوس كان قد التى القبض عليه كجاسوس في جني من مقاطعة لوار التي تبعد قليلا عن باريز وأحضر امام مجلس حربي وأقيمت محاكمته ثم صدر الأمر بقتله والمظنون انه كان رجلا قليل العقل حمله حمقه على ان يدعي انه متقلد وظيفة لم يكن متقلداها فاتوا به الى باريز وقتلوه في التاريخ المذكور .

وقد كتب مكاتب جريدة لندن جورنال بهذا الشأن ما يأتي :

ان المكان الذي خصص لهذا العمل كان المدرسة العسكرية وكانت دارها مملوءة من العساكر النازلة هناك وكانوا جميعهم مصفوفين أما الساعة المعينة لذلك فكانت الساعة السادسة قبل الظهر فقادوا الاسير الى مكان في عرصة الدار ولما دنا منه السجنان ليربط يديه رجع الى الوراء وقال . لا تفعل اني ارجب أن أموت موت جندي ولكن عند ما قيل له انه لا بد من اجراء القانون بهذا الخصوص خضع له فربط منديلا على عينيه وعند ذلك قال انه يرغب أن يأمر الجنود ان يطلقوا عليه الرصاص وتقدم أرجونت كدروت كاتب المجلس الحربي المذكور وقرأ الحكم بقتل ذلك الجاسوس وكان القوم يسمعون قراءته صامتين وعند نهاية احدى الجمل ظن الاسير انه قد تمت نهاية الامر فصرخ قائلا اطلقوا الرصاص أيها الاوباش وحذار أن تخطؤني فلم تبد الجماعة عملا لانهم ينتظرون اشارة القائد ولما انتهى أرجونت من قراءة الحكم استل القائد المولي قيادة الجنود المستعدة لاطلاق الرصاص سيفه فرفعت الجنود بتنادقها الشاصبو الى اكتافها ووجهوها نحو الاسير فانزل القائد سيفه وأطلق الجنود اثني عشر طلقة من الرصاص كلها طلق واحد وقبل ان تمكن الحاضرون من استماع صوت الرصاص

سقط الاسير الى الارض على جنبه الايمن وكان قد تمزق قميصه شذرا في الجهة اليسرى من صدره لنحو قلبه وذلك من الرصاص وبعد أن مات تقدم أحد الجنود وكان في مؤخرة الذين أطلقوا الرصاص وأطلق غدارته في دماغ القتيل ثم كفنوا الجثة بما عليها من الثياب وحملوها الى مقبرة مون برناس فتوالت بكل عجلة في حفرة أعدت لها . اه

وكانت هذه الحادثة ابتداء الميخان في باريز على الجواسيس سواء كانوا جواسيس في الحقيقة أو متهمين فقط واتهم كثيرون من الابرياء والقي القبض عليهم كجواسيس حتى بعض كتبة الجرائد الذين بعد أن صادفوا صعوبات كثيرة ومعاملة غير حسنة تمكنوا من أن ينجوا بانفسهم وفي ٢٣ آب (أغسطس) جمع الالمان عدداً غفيراً من جنودهم ليقبضوا معركة عظيمة في سيدان مع انهم كانوا يحاصرون ستراسبرج وميتس وكان قسم من جنودهم يسير قاصداً باريز وعند أواخر الشهر تمكنوا من جمع جيش جرار بالقرب من القلعة وفي أول أيلول (سبتمبر) رأى مكماهون نفسه وهو في مركز دفاعه أنه بات مقابل تلك الجيوش الجرارة وانضم جنود كثيرون في الليل السابق الى الجيوش الفرنسية والجيوش البروسانية المذكورة على ان الفرنسيين كانوا أقل عدداً من الالمان وذلك بحسب العادة وكان جيش الالمان نحو ٢٤٠٠٠٠ رجل ومعه ٦٥٠ الى ٧٠٠ مدفع وكان الالمان قاصدين ان يحيطوا بكل الجيش الفرنسي ويحصرهم في سيدان ليقطعوا عنهم سبل الرجوع ويلزمهم ان يسلموا فنجحوا في ذلك نجاحاً لم يكونوا ينتظرونه .

فصدر الامر لولي عهد ساكسونيا ان يهاجم ميسرة الجنود الفرنسية القصوى وطلبتهم في وقت واحد وأن يرسل بعض جنوده الى المؤخرة لتتضم الى فرقة من الجيش الالماني الثالث وتهجم على مؤخرة الجيش الفرنسي الذي يكون قد أمسى مرتبكاً من جراء مهاجمات البرنس الموما اليه هذا اذا نجح في مهاجمة الميسرة والطلبة وكان من واجبات ولي عهد ملك بروسيا ان يهاجم القلب الايمن من جنود مكماهون

وذلك في الصفوف المقيمة بين بازيل وبالو ليتمكن من ايقاع الارتباك في ميمنة فرنساويين ومن الانضمام الى جنود ولي عهد ساكسونيا في الشمال . وكانت كل حركة تقيدها الالمان تصادف فيها نجاحاً تاماً وتمكنت فرق الجيوش من أن تحل في المراكز التي كانت قد تعينت لها فان جيش ولي عهد ساكسونيا كان ممتداً على شاطئ شيار وولي عهد بروسيا كان حالاً في الاراضي الواقعة وراء راملي الى جهة الموز وكان في مراكز أخرى كثيرة جنود مستعدون للانضمام اليهم عند ما تمس الحاجة وكان البافاريون قد عبروا نهر الموز وكانوا متاهيين لمهاجمة بازيل .

ومن جملة ما ارتكبه فرنساويون من الغلط المضر الذي صير الحرب تعسة عليهم انهم أهملوا هدم جسر نهر شيار فعبه الالمان ولم يصادفوا ممانعة فزحفت جنود ولي عهد ساكسونيا على جيفوت بينما كان البافاريون يزحفون على بازيل وابتدأت المعركة الساعة السادسة صباحاً وعند الساعة التاسعة اشتد جداً اطلاق المدافع التي كانت مصفوفة امام الصفوف بعضها قريب من البعض الآخر .

قد ذكرنا ان اضعف قسم من جنود مكماهون كان نازلاً في جيفون لأنه ظن انه لا تقام في ذلك المكان مهاجمة وأنه اذا هجم عليها العدو لا يقدر عليها وبما ان القدر والنحس كان يسوق فرنساويين الى ارتكاب الغلط في أعمالهم في هذه الحرب كانت تلك المراكز هي المراكز الاولى التي هاجمها العدو اما الجنود التي كان يظن بانها قادرة على ان تحميا ولئن كانت حالتها بئس الحالة فانكسرت بلا ترتيب عند ما دنا منها العدو .

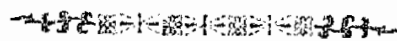
وبعد أن قاتل الالمان قليلاً تمكنوا من كسر ميسرة الجيش فرنساوي وكانت الجنود المكسورة قد اركنت الى الفرار بلا ترتيب والتجأت الى الاحراش واستندت الى قلب الجيش فاتته بالخوف وأوقعته في ارتباك عوضاً عن أن تساعد فياليم يكن محتاجاً الى مساعدتها فيه وعند الساعة العاشرة انضم جيشا الالمانيين المذكوران واتصر الالمان

نصرات عديدة في محلات كثيرة وتقهقر قلب الجيش الفرنسي وكانت الحرب لا تزال شديدة جدا فان الفرنسيين لم يرجعوا قيراطاً بدون أن يدافعوا عنه كل الدفاع ودافع الفرنسيون في بازيل وبولو وهما أهم مرا كزهم دفاعا بلغ النهاية في الشدة . وكان الامبراطور قائد الجيوش في المسكنين المذكورين وقد قيل انه عرض نفسه للمخاطر بدون أن يبالي بها اذ انه كان يعرف بلا ريب انه اذا انكسر في هذه المعركة يخسر كل ماله وينقطع أملهم من الحصول على غاياته ومقاصده ومن دوام الملك لسلالته .

وكان الفرنسيون يجتهدون اجتهداً عجيباً في أن يرجعوا المراكز التي خسروها حتى انه ظهر اكثر من مرة في ذلك النهار فانهم كانوا يكادون يفوزون بالنصر بعد ان كادت تفوز اعداءهم عليهم . وبينما كان قلب الجيش الفرنسي يقاتل القتال المذكور كانت الميمنة تقاتل قتاله واذا قلنا ان اجتهدات الفرنسيين تستحق ان تتكلل بالنجاح في هذه الحرب يجب أن نختص ذلك بهذه المعركة فانهم كانوا يقطعون النظر عن كثرة أعدائهم وعن تقهقرهم حتى أمسوا لا يعرفون بانهم مكسورون حال كونهم كانوا مكسورين فانهم قاموا بحق القتال قيام الابطال الباسلين الثابتين العنيدين وبلغوا نهاية الشجاعة حتى رأوا ان الثبات بات ضرباً من المحال وأقام ولي عهد ملك بروسيا حركة حربية قطعت أمل الفرنسيين من النجاح فان مكماهون كان قد هدم منذ الصباح جسر السكة الحديدية التي على الموز ليمنع البروسيين عن أن يعبروا النهر أما ولي عهد ملك بروسيا فسار خفية عنهم في منعطف النهر عند مؤخرة سيدان حيث استترت جنوده عن الاعداء وأقام جسوراً من القوارب فعبرت عليها جنوده وتمكنت من وضع المدافع على قمة جبل مشرف على فلوين وما جاورها من البلاد ولما رأى الفرنسيون ان الألمان قد كبسوا مؤخرتهم من هناك أمسوا في ارتباك ودهشة ولكنهم بعد مدة قصيرة رجعوا الى أنفسهم وصادموا مهاجمهم بكل جهدهم وأطالوا مدة القتال وأطلقوا بنادق الشاصبو بنشاط وثبات حتى ان صوتها غلب صوت المدافع الراشة وكان الجيرال شردين قائد

جيش أمر كما مراقباً هذه المعركة فقال انه لم يسمع قط صوت سلاح كالبنادق متصلاً مدة طويلة اتصال بنادق الجيش الفرنسي فان كان ذلك صحيحاً تكون المعركة مخيفة جداً هذا ولا يخفى ان حروب أمر كا الاهلية الاخيرة كانت من الحروب التي لم يكثر في غيرها عدد الجيوش المتصادمة كما كثر فيها وكان الدفاع والهجوم عندهم شديداً جداً فاذا كان الفرنسيون قد تمكنوا من أن يسبقوا الامركان باطلاق بنادقهم بهذه المعركة يحق لهم أن يفتخروا كل الافتخار . وعند الظهر تمكن الالمان من اخماد نيران صيفين من المدافع الفرنسية التي بالقرب من فلورين فتقهقر المشاة لانه لم يبق لهم مدافع يستندون اليها وبعد ذلك بمدة وجيزة أخذوا يهربون أفواجاً أفواجاً الى جهة سيدان وكان صف من مدافع البروسيين يطلق عليهم الكرات المحشوة . ثم طفقت الجنود الفرنسية تولي الادبار من كل جهة ولكن قبل الساعة الاولى بعد الظهر أقيم صف من مدافع الفرنسيين في طرف حرش لا كارون وأطلقت على الفرقة الثالثة من الجيش البروسيان فتقهقروا وانحدروا عن الالكمة التي كانوا قد صعدوا اليها وعند ما وصلوا الى حضيض التل وفدت عليهم النجدة ومع ذلك لم يكونوا كفؤاً للوقوف امام المدافع الفرنسية والحال هجمت الجنود المدعمة الفرنسية على البروسيين ليتمكنوا من تشتيت شملهم فهرب البروسيان و كانوا يطلقون البنادق وهم متقهقرون ثم ارتدوا وكسروا الفرنسيين وكانت الارض مغطاة بجثث الرجال والخيول وكان الرصاص يتساقط كالبرد والكرات المحشوة تندفع الى كل جهة فقتل كثيرون وكانوا يخوضون بحار المنايا بلا مبالاة لانهم كانوا مهيجين وداموا على تلك الحالة مدة طويلة وكانت الدائرة تدور تارة على الفرنسيين وطورا على البروسيين وكان كل جيش يتقهقر لا يفتر عن اطلاق النار حتى يرجع المتقهقر بساعد أقوى وعزم أشد ويدوم القتال الى ان يتقهقر مرة ثانية فخطر للبروسيين ان يصعدوا مدفعين الى قمة التل فأصعدوهما بجد كثير وطفقوا يطلقونها اطلاقاً كان يضر الفرنسيين ضرراً

بليغاً وعند ذلك بات الفرنسيون في حيرة وارتباك على انهم رجعوا الى مراكزهم وهجمت فرسانهم مرة ثانية الى وسط القتال ومع ان الفرنسيين كانوا في هذه المرة أكثر من البروسيين عددا لم يتمكنوا من طردهم من مواقعهم الحسنة والاستيلاء عليها أما الالمان فكانوا يصطفون مدة بعد أخرى بدون حدة ولا مبالاة وكانوا يطلقون البنادق طلقاً بعد طلق حتى انهم ملأوا الارض بجثث القتلى من أعدائهم وبعد ذلك تقهقر الفرنسيون وتبين ان هذه هي الكرة الاخيرة غير انهم رجعوا وهجموا على البروسيين هجمة يأس وذلك بعد ان كان قد مضى الزمان الذي فيه يمكنهم ان يحولوا الكسر الى النصر لان البروسيين كانوا قد وقفوا على التل وصمموا على الثبات في مواقعهم وفي الساعة الثانية أتهم نجدة قطعت عنهم كل خطر ثم ان انطباع الجيوش الالمانية على الفرنسيين قطع أمل الفرنسيين من الرجوع بترتيب وكانت المعركة التي حدثت في بازيل شديدة ومهلكة كمعركة كاريت وهلك كثير من الالمان في المعركتين المذكورتين بنيران المدافع الراشدة الخفيفة وبعدها كانوا يتقدمون بالقوة سائرين ليصلوا الى مقصدهم



— حصار سيدان —

و بعد الساعة الثالثة تمكن البافاريون من ان يدخلوا حصون سيدان وان يثبتوا في مراكزهم فيها وعند الساعة الرابعة استولى الالمان على أول الاحدور الذي فوق بازيل وأخذت مدافع الالمان تطلق كراتها على جوانب سيدان وكان الفرنسيون يقيمون صفاً من مدافعهم بعد صف ليصدوا تقدم صفوف مدافع الالمان ومع ذلك كان الالمان يتقدمون والفرنسيون يتقهقرون حتى أمسوا بالترتيب ولا نظام فالتزموا ان يلتجئوا الى سيدان وكانت المدافع الالمانية تصب نيرانها المهلكة عليهم وكان

الالمان قد أحاطوا بالفرنساويين الذين قطعوا الامل من الرجوع
وفي أول النهار أصابت المرشال مكماهون قطعة من كرة محشوة جرحته جرحاً بليفاً
قتولى الجنرال ويمبفن قيادة الجيش الفرنساوي وكان الجنرال المذكور قد أتى من
جزائر الغرب قبل ذلك بيومين وكان لا يعرف مقاصد المرشال مكماهون في القتال
ولا فرق الجيش المتعددة ولذلك لا تتعجب من انكسار الفرنساويين انكساراً تاماً
وبعد ان قاتلوا ذلك القتال الشديد

وكان الملك غليوم حاضراً هذه المعركة ومعه البرنس بسمارك والكونت مولتك ومسيوفون
رون والجنرال شردين والجنرال فورسيت الامركانيان وغيرهم من الضباط البروسيانين
كانوا جالسين على تل بالقرب من دونشري يشرف على كل الفرق البروسية
ولما رأوا ان الالمانين ناجحون طفقوا يتكلمون عن النتائج التي ربما كانت تنتج
من ذلك وقال الكونت بسمارك انه لا يظن ان الامبراطور نابوليون يسجن نفسه في
سيدان اذ انه يعرف انه لا يقدر ان يخرج منها اذا انكسر جيشه

أما الامبراطور فكان قد فعل ما كان يظن بسمارك انه لا يفعله غير ان البروسيانين
لم يكونوا يعرفون ذلك . هذا ولا نعرف ماذا ينبغي ان يفعل بعد ان يكون قد استند
الى قوة جنوده غير انه ربما كان قادراً ان ينجو بالهرب كما نجاعه (نابوليون الاول)
في موسكو فانه ترك جنوده وولى هارباً ولكنه لو فعل ذلك لعرض نفسه لملامة شديدة
أما نابوليون الثالث فليس هو نابوليون الاول فان الثالث كان يعرف انه لا يقدر ان
يدخل باريز مالم يكن منصوراً والأول كان عالماً بان له عضداً عظيماً في فرنسا ولو فعل
ما يجلب عليه اللوم وما أدرانا انه لو هرب نابوليون من سيدان الى باريز بعد ان قطع
الامل من النجاح لتمكن من تخليص دولته من السقوط والمظنون انه لو هرب اليها ربما
كان أمر المجلس الحربي بقطع رأسه أو بقتله رمياً بالرصاص في باريز

وفي الساعة الخامسة بعد الظهر دخلت جنود الفرنساويين المتقهقرين سيدان ولما

رأى ملك بروسيا انهم لا يطلبون التسليم أمر بان يصير اطلاق الكرات المحشوة على المدينة وبعد مدة قصيرة انتشبت النار فيها في أماكن مختلفة واحترقت قرى كثيرة مجاورة لها ثم أمر الملك بمنع اطلاق الكرات وارسل قائداً اسمه فون بروسارت . حاملاً راية الهدنة ليطالب تسليم الجنود والقلعة . وقد قالت جريدة البال مال كازيت نقلاً عن مكاتبها انه جاء كولونيل فرنساوي ومعه اثنان من الجنود البروسانيين ليطالب التسليم وانه قيل له ان أمراً مهماً كهذا ينبغي ان تكون المحاربة فيه بواسطة أحد أصحاب المراتب العالية وانه يلزم ان يرجع ويخبر القائد الفرنسي انه اذا لم يأت أحد من ذوي المناصب العالية يصير إعادة اطلاق المدافع البروسانية وانه لا يمكن قبول شيء غير التسليم بلا شروط . وبعد ان رجع هذا الكولونيل ذهب اللويتان كولونيل فون بروسارت الى سيدان فعند ما أتى المدينة أتى به الى حضرة الامبراطور الفرنسي فاندش عند مارآه فسأله عن مأموريته فأخبره عنها فقال له ان يتخبر مع الجنرال ويمفن الذي كان متولياً قيادة الجيش عوضاً عن المارشال مكهاون وحينئذ أرسل الامبراطور معاون حر به الجنرال ريل بمكتوب خصوصي الى ملك بروسيا وعند الساعة السابعة بعد الظهر وصل القائدان المذكوران ولكن فون بروسارت وصل قبل الجنرال ريل بمدة وجيزة وعرف الملك من فون بروسارت ان امبراطور فرنسا في سيدان وعند ما وصل الجنرال ريل نزل عن ظهر جواده وسلم الملك تحريراً وقال له انه بتسليمه هذا التحرير قد قام بمأموريته . فقال له الملك قبل ان يفض التحرير ألا تعلم اني أطلب شروطاً . أولاً ان يسلم الجيش الفرنسي سلاحه وبعد ذلك ففض التحرير وقرأه وما يأتي هو ترجمته : بما اني لم أقدر ان أموت في قيادة جيشي أضع سيفي عند ماعتاب جلاتكم . انتهى . ولم يطلب شيئاً ولا سلم تسليماً مشروطاً ولكنه ترك كل ذلك الى الملك . فكتب ملك بروسيا جواباً مختصراً مآله ان كينية اجتماعه بالامبراطور كدبرته كل الكدر وانه يرغب ان يرسل اليه رجلاً مفوضاً التفويض التام لتصير

المخاطبة معه بأمر التسليم . ثم ان جلالاته فوض الجنرال فون مولتك تفويضاً تاماً بالمخاطبة بهذا الشأن وأمر البرنس بسمارك ان يلازم مولتك ليفصل ما ربما كان يلزم فصله من المسائل السياسية . ثم ركب الملك مركبته وسار الى فندرس في جنوبي سيدان فوصل اليها قبل نصف الليل بساعة وكانت العساكر تحييه بالنشائد الالمانية وباصوات الفرح والترحاب أما الجنود الذين بلغهم خبر تسليم سيدان فكادوا يطربون فرحاً ظانين ان الحرب قد بلغت النهاية وانهم عن قريب سيعودون ظافرين الى المانيا ولم يخطر لهم ببال الاخطار التي كانوا مزعمين ان يحملوها وقد قيل انه قد اشتد فرح الجنود حتى ان الذين كانوا في حالة النزع منهم مطروحين في ساحة القتال اشتركوا معهم بالسرور وقد كتب الدكتور روسل ان قائداً بروسياً أخبره انه رأى جندياً بروسياً طويلاً القامة كان مطروحاً على الارض وهو ماسك جنبه بيده من شدة الألم لم نهض عند ما عرف سبب أصوات الفرح وصرخ صرخة السرور ورفع يده وحركها فانفجر الدم بغزارة من جراحه فسقط مائتاً على جثة رجل فرنساوي . وعندما وصل ولي عهد ملك بروسيا الى شينوري ليستريح ذلك الليل فيها أقيم له احتفال عظيم كالاحتفال الذي أقيم لايه وكانت الجنود مصفوفة صفوفاً في الشارع الذي كان البرنس نازلاً فيه وفي أيديهم المصاييح التي كادت تصير الليل نهراً حتى ان أهالي القرى لخوفهم من المنتصرين أظهروا سرورهم بسقوط الامبراطور وأضاءوا المصاييح في بيوتهم . وعند ما جلس ولي العهد ليتناول الطعام أخذ الكأس شارباً سرأيه الملك وسر الجنود من الشمبانية التي كانت معدة للامبراطور نابوليون وكانت قد نهبتها فرقة من الدراكون البروسيين وحرفوا ذلك الليل بالفرح والسرور منتظرين بفروغ صبر أخبار الفد . أما المعركة الشديدة التي حدثت عند سيدان فهي من اشد معارك هذه الحرب وكانت الدائرة تدور تارة على الفرنسيين وطوراً على البروسيين غير ان المظنون ان الفرنسيين كانوا غير قادرين علي كسر اعدائهم ولو افرغوا كل جهدهم وبقي مكماهون

قائداً لهم لان ظروفهم كانت لا تساعدهم على ذلك . اما المعركة فبقيت في جوار بالو الى ان كانت قد انقطعت من غير جهات وقد قال البافاريون ان الامبراطور نابوليون قال في هذا المكان انه في الجيش كجندي من جنوده وليس كقائد ولذلك سار مع صف كان يسير اياهم الالمان وكانت جنود هذا الصف من بقايا فرق كثيرة ابادها القتال . فنشط الامبراطور الجنود فتنشطوا بمسيره معهم ولئن كان كواحد منهم وساروا مستندين الى الشجاعة التي يحق ان نسميها شجاعة فرنساوية غير انهم لم يقدروا ان يثبتوا والسكرات المحشوة المندفعة من التهم تسقط مع رصاص البنادق كانها بردينصب من السحب وقد كتب الدكتور روسل مكاتب التيمس ان السكرات مع الرصاص كانت تسقط حول الامبراطور وانه سقطت كرة محشوة بالقرب منه وانفجرت فامسى في وسط دخانها . فتوصل اليه الضباط الذين كانوا حوله كثيراً ان يرجع فرجع ودخل البافاريون بالو وشرعوا يقاتلون الفرنسيين عند حواجز القلعة . اما الجنرال ويمفن الذي تقلد قيادة الجيش بعد ان جرح مكماهون فقال ان ساعة تلك المعركة كانت الساعة الفاصلة بين الفوز والهلاك وهي الساعة التي يلزم ان يصير فيها خرق صفوف الاعداء ولو حدث مهما حدث وقد قال هذا الجنرال انه لم يجب طلبه غير الفين من ذلك الجيش الذي كان عدده تسعين ألفاً وكان منه نحو عشرين ألفاً في اسر الالمان ونحو عشرة آلاف قتيل وجريح فامست البقية وقدرها ستون ألفاً من الجنود الغير المنتظمين والمصايين بالويل والمتعبين الذين كانوا يريدون ان يقاتلوا ذلك القتال المهلك ولكنهم كانوا يخافون ان يشرعوا فيه وعلى الخصوص بعد ان باتوا هدفا لسكرات المدافع المملكتة التي سلبتهم شجاعتهم واضرت بالجيش الفرنسي اضراً ادياً آتي بنتائج اردام من النتائج المادية وقد قال الدكتور روسل ان العلاقات التي كانت جارية بين قواد الجيش الفرنسي والجنود كانت تبين ان النظام كان قد وقع فيه خلل قبل حدوث الحرب بزمان طويل فان الجندي كان يكره ضابطه والضابط كان يخاف الجندي ويخاف أن يجري عليه

قوانين النظام اثلاً يجاهر بالعصيان . وهذا ويصعب عليّ أن أصف وإن اتصور ذلك المنظر الخيف الذي كان عند ما كسر الالمانيون الجيش الفرنسي المفتقر الى النظام . وارجعه الى سيدان ويمكن من ان يطلق الرصاص عليه بسهولة فان المدافع الفرنسية أمست غير قادرة ان تحامي عن الجيش والمدافع المتقاة علي حواجز سيدان وحصونها كانت مدافع صغيرة ضعيفة من المتخترعة سنة ١٨١٥ اما المدافع الكبيرة فكانت قليلة جدا وبما ان الالمان كانوا قد أقاموا في شاطئ نهر الموز الجنوبي أمست سيدان مكاناً معرضاً تماماً لهجوم جيوش الاعداء ولها سور يعيق حركات الجيوش ويوقعها في ارتباك اما الامبراطور فدخل المكان لالينجو من الخطر ولكن لينجو من ازدحام العساكر الضعيفة وكانت كرات البروسيين والباريين المحشوة تتساقط كسقوط المطر في سيدان التي بات اهلها في خوف عظيم فانهم لم يتمكنوا من الفرار . وأقام الجنود الحرب خارج المدينة المذكورة منذ الصباح بدون أكل ولم يصادفوا في المدينة ما يقوم بسد احتياجاتهم فباتوا في غضب وهيجان مخيف يلومون قوادهم ويعصون أوامرهم وكان كلما سقطت كرة محشوة في المدينة اشتد غضبهم وغضبهم وسقطت كرة في مخزن فيه مواد قابلة للاشتعال فارتفع لهيب مخيف في الهواء برهة ومعه دخان كانه غيم أبيض كثيف وغطي نصف المدينة ولما رآها الفرنسيون خافوا وظنوا ان المهمات قد احترقت . اما الالمانيون ففرحوا بذلك على انه لم يتبع هذا اللهيب صوت وفي تلك الدقيقة صار التصميم على تسليم سيدان وكل ما فيها المنتصرين فان الفرنسيين كانوا يعتقدون بانهم لا يقدرّون ان يدافعوا وينجحوا وإن اطالة زمان الصدام تأتيهم بالويل والخراب

والتشر خبر تسليم الامبراطور في كل ممالك اوربا وغيرها وكانت الامم تسمعه بعجب واندعاش فظن الالمانيون وغيرهم ان التسليم يأتي بصالح قريب وكان الجنود الفرنسيون في ميدان الحرب يعتقدون هذا الاعتقاد اممالك بروسيا وولي عهده ومشيروها فلم يكونوا يعتقدون هذا الاعتقاد لانهم كانوا يعرفون ان بازين كان لا يزال

في ميتس ومعه جيش جرار وأنه ولئن كان مخاطباً بالأعداء كان قادراً أن يخرق صفوفهم وينجز بجيشه . وكانوا يعرفون أن بايز كانت شارعة في التأهب وأن ارادة بايز في ارادة فرنسا ومع انهم كانوا يقولون ان هجوم المسكر الفرنسي هو هجوم النمر الذي يهجم على فريسته هجوماً مخيفاً فان صد وخابت مساعيه ارتد زائراً وكان القواد الالمان يعرفون ان في هذا القول صحة وكانوا يعرفون ان الامة الفرنسية لا تطيق ان ترى عدوها في بلادها وأنه بما كانت تنهض كلها لترد الغاصبين عوضاً عن أن تسقط بتسليم امبراطورها الذي كان يكرهه كثيرون من بلاده وبناء على ذلك كان ولي عهد بروسيا وقواده يشكون في ان متاعب يوم سيدان كانت نهاية متاعبهم وقد صادفوا بعد ذلك ما برهن لهم على صحة ما خطر ببالهم

هذا وربما كان المطالع يحب ان يطالع الاخبار الآتية التي قررها رجل فرنساوي كان مع الجيش في سيدان وما يأتي هو ترجمة كلامه :

ان الامبراطور الذي ذهب الى ساحة الحرب باكراً في الصباح رجع في الوقت الذي رجعت فيه انا وصر في الشوارع ومعه اعوانه وكان أحد أصدقائي بالقرب في بلاستوران عند ما سقطت كرة محشوة تحت حصانه وانشقت وقتلت حصان جنرال كان راكباً وراءه . ولم يصيبها ضرر غير ان الامبراطور التفت الى القائد وتبسم . اما صديقي المذكور فظن انه رأي دموماً في عيني نابوليون وأنه أي الامبراطور مسحها بملامس كفه . وعند ذلك أخذت الكرات تسقط في شارعنا ومنزلنا فوقنا تحت مكان ذي سقف حجري لنحتمي أنفسنا من الكرات الساقطة وبينما نحن واقفون منتظرين سقوط الكرة المحشوة التي تهدم سقفنا المذكور وترسلنا الى عالم الارواح مر الجنرال ويمضون وكان يجتهد في ان يجمع جيوشه ويشجعها وصرخ قائلاً فلتعش فرنسا هلموا الى الامام ولكن لم يكن من محيب ثم صرخ قائلاً ان بازين يهاجم مؤخرة البروسيانين وكان قد سمع الجيش بهذا الخبر غير انهم لم يصدقوه الا بعد ان سمعوه من الجنرال

المذكور وهو قائد الجيش العمومي وعند ذلك اجتمع بعض ألوف اليه وساروا وراءه الى خارج المدينة وعند ذلك اشتد أمل القوم وأخذنا نؤمل في تخليص المسكان غير انه لسوء الحظ كان ذلك الخبر كذباً ناتجاً عن محبة وطن فان الجنرال ويمبفن المشار اليه كان هائماً ومضطرباً ومكدرأ وعزم خلافاً لرأى الامبراطور على ان يجمع اليه بعض القوم ويصادم الالمان والظاهر انه لم يكن يعرف انه كان محصوراً ضمن سور من رجال الاعداء عدده ٣٠٠ ألف رجل وكان صوت البوق والطبل يرتفع من كل جهة ومن الذين اجتمعوا الى الجنرال صديق من اصدقائي اسمه ريني دو كيرويل من جيش شاسورد امريك فخرجوا جميعاً من بورت دو بالو وكان البروسيانون قد دخلوا البيوت المجاورة للمدينة وأخذوا يطلقون النار على الفرنسيين من نوافذها وأقاموا في الكنيسة حرساً قوياً وأقفلوا أبوابها المثينة فارسل الجنرال ريني دو كيروي لياثيه بمدفعين فأماه بهما فحشوها وفتحوا بهما الباب وأسروا من الكنيسة مائتي جندي بروسياي ورجعوا بهما ومع ان هؤلاء الفرنسيين اجتهدوا كل الاجتهاد لم يات اجتهدهم بفائدة فالتزموا ان يرجعوا الى سيدان وهذا هي من حوادث هذه المعركة الاخيرة . وكان البروسيانون يطلقون الكرات المشوة على سيدان فاخذت تسقط في المنازل وعند ذلك حدث ما تشهر منه الابدان فان ولدا ابن صانع آتانا را كضا يطلب جراحاً فان الكرة كانت قد أخذت رجل أبيه ثم أصابت كرة رجل امرأة وأخذتها اما الصانع فمات قبل وصول الجراح ثم رجع الجراح الى المرأة وحملها ليمضي بها الى المستشفى وقبل ان خطت خطوة واحدة اصابته رصاصة واماتها . انتهى

وقبل ان كتب الامبراطور الى ملك بروسيا صارت اقامة مجلس حرب في سيدان وبما انه كان قد انقطع كل الامل من الحصول على مساعدة بازين اجمع رأي القوم على وجوب التسليم لان المدينة كانت عرضة لمدافع العدو الذي كان قادراً ان يجعلها رماداً بوقت قصير باطلاق المدافع من التلال المجاورة لها وذلك بدون ان يتمكن الفرنسيون

من أن يصدوهم وليس ذلك فقط ولكن الجنود الفرنسية جاهرت بالمصيان وهذا يبين مما قاله القواد الفرنسيون للبروسيين عند ما اقيمت المخابرة عن التسليم فأنهم قالوا لهم اننا ولئن كنا قد عقدنا هدنة مؤقتة نخاف أن يطلق العساكر الفرنسيون البنادق على القواد البروسيين الذين بعث بهم الملك غليوم الى الامبراطور نابوليون حاملين الجواب على مکتوبه وقد قال مكاتب من مكاتبي الجرائد في سيدان عند ما تكلم عن الامور الخفيفة التي حدثت في المدينة في ذلك الوقت بواسطة دخول عساكر الفرنسيين اليها ان جهنم حلت في سيدان

اما الامبراطور نابوليون فجلس ينتظر جواب ملك بروسيا في ساحة منزل الحكومة في سيدان وكان غائصاً في بحر من الحزن وعلى وجهه تلوح لوائح الياس وتبين للناظرين اليه ان الاضطراب والحزن تغلبا عليه . ووقف بجانبه قواد جيشه وأعوانه مكدرين بسبب سوء حظ مولاهم وعدم توفيقهم وكان الحزن متغللاً على كثيرين منهم ولما ورد جواب ملك بروسيا القاسي تردد الامبراطور عن قبول شروطه الشديدة وكثيرون من قواده حاولوا أن يثبتوه في عزمه فأنهم ظنوا كما ظن هو أنهم يقدرون ان يحصلوا من الاعداء شروطاً أخف اما الجنرال ويمبفن فامتاز بالشجاعة والصبر والثبات فقال للامبراطور لو كنت أنا جلاتكم لفضلت الموت على قبول هذه الشروط الميينة غير ان القواد الآخرين الذين كانوا يعرفون البلاد أحسن منه ويعرفون عدد مدافع الالمان وجيوشهم وضعف الجيش الفرنسي وعدم انتظامه أكثر مما كان يعرفها الجنرال ويمبفن الذي كان قد أتى فرنسا من الجزائر واستلم قيادة الجيش بدون أن يعرف أحواله ولذلك أشاروا على الامبراطور ان يسلم حالا بدون شروط وأتوا برسوم يثبت سوء مركز الفرنسيين فاقنع الجنرال النشيط والتزم أن يغير رأيه وعند ذلك قرروا شروط التسليم هذا ولا يلزم ان ننسى ان الجنرال ويمبفن كان قد أتى من افريقيا وتقلد قيادة جيش مكسور نصف كسرة ومفسود كل الفساد . فعندما أمضى الشروط المذكورة قال

بكدر لا مزيد عليه ان اسمي سيبقى متصلاً بشرط تسليم مذلة الى الابد . وعند ما بلغ باريز هذا الخبر أخذ الفرنسيون يطعنون في الامبراطور الذي ولئن كانت أغلاله كثيرة كان قد نفع فرنسا نفسها لم يسبقه اليه قبله أحد من ملوكها منذ أيام شارلمان وسموه رجل سيدان وذلك ليسخروا به وقالوا انه جبان مع ان أعداءه كانوا يقولون انه ابان من الشجاعة ما كان متجاوزاً لحدود الاعتدال والظاهر انه حاول ان يموت موت العسكري موتاً شريفاً ولكن بدون ان يصادف مقصده والدليل على ذلك ما قاله في تحريره للملك بروسيا

واشهر حوادث ذلك النهار المشهور هو حرق البافاريين قرية بازيل بالقرب من سيدان وقد حاول الالمان كل المحاولة أن يرفعوا عنهم عار هذا العمل ولكن بدون نتيجة وليس ذلك العمل الدموي الخالي من الشفقة العمل الوحيد الذي عمله البافاريون الذين قد تبين من منظرهم وتصرفهم انهم أشد خشونة من جميع الالمانين . وقد قال ان الاهالي الفرنسيين أطلقوا عليهم البنادق من البيوت مع أنه من واجباتهم المقررة في القوانين الدولية أن يحافظوا كل المحافظة على الحياد واذا قادهم حب الوطن الى الاشتراك في الحرب يمرضون أنفسهم للقصاص المعين لذلك أما الاهالي المذكورون فينكرون اطلاقهم النار على الالمانين ومعاملتهم الجرحى منهم بالقساوة التي اتهموا بها أما الحقيقة فستبقى مجهولة الى الابد غير ان الظاهر انه بعد أن قاتل البافاريون قتالاً شديداً جداً في شوارع تلك القرية الكبيرة فازوا على أعدائهم وتمكنوا من أن يقوموا بشارهم ومن الانتقام من الذين قتلوا كثيرين من اخوانهم في العسكرية وضايقوا عليهم كل المضايقة أحرقوا القرية وأحرقوا فيها اكثر الاهالي رجالاً ونساءً وأولاداً حتى ان الالمان أنفسهم يلتزمون أن يسلموا ان البافاريين تعدوا على حقوق الانسانية في أعمالهم الوحشية وسيحكم التاريخ بأن هذا العمل هو اكثر توحشاً من كل الأعمال الحربية التي تقررت في تواريخ القرون المتأخرة .

وقد لام الفرنسيون بازين كل اللوم لأنه تأخر عن أن ينجد الجنرال ويمبفن وحقيقة الأمر لم تظهر بعد غير أنه إذا ثبت أن بازين كان قادراً أن يخرج جيشه من ميتس بدون أن تضعف قوة ميتس بحيث يتمكن الألمان من الدخول إليها يكون قد قصر تقصيرات أتت فرنسا بها كثير المصائب التي وقعت عليها . هذا ولا نعلم ماذا حمل المرشال مكاهون والامبراطور نابوليون على أن ينتخباً محلاً كسيدان ليكون ملجأهما الوحيد حال كونهما يعلمان أنه ما من ملجأ لهما فيها والظاهر أن النحس كان قد رافق الفرنسيين في كل أعمالهم وأن السعد الذي كان يخدم جنودهم منذ إقامة الجمهورية كان قد فارقتهم .

أما الملك غليوم وكل قواده الذين حضروا المعارك فكانوا يعرفون أن الجيش الفرنسي والامبراطور باتوا في ضيق شديد وأنه بواسطة تسليم الامبراطور الذي كان بالاسم قائد الجيوش الفرنسية ستنتهي هذه الحرب التي كانت دموية ولئن كانت قصيرة وكانوا يظنون أن الامبراطور نابوليون الثالث كان لا يزال يتعاطى الأمور السياسية وإن عقد الصلح لا يتم إلا بواسطة ذلك طلبوا إليه أن يسلم بلا شروط . وقد قلنا أن الفرنسيين استصعبوا جداً أن يسلموا للألمان بالشروط المذكورة ولكن بعد التفكير رأوا أنه ما من فرج لهم إلا بالتسليم وعلى الخصوص بعد أن أخبرهم رسل ملك بروسيا أن مولاهم كان عازماً على أن يحدد إطلاق المدافع على سيدان إذا لم يصير تقرير شروط التسليم قبل الظهر من ذلك النهار وهو اليوم الثاني من آب (اغسطس) سنة ١٨٧٠ وكان الذين كانوا على الاسوار يرون أن جنود الألمان كانت نازلة في كل محل حول المدينة وأنهم إذا لم يسلموا يهلكون جميعاً ظانين أنهم إذا أظهروا استعدادهم للتسليم يتمكنون من اقناع الملك ووزيره الأول من أن يخفف الشروط .

وفي الساعة الخامسة أفرنجيه من صباح اليوم الثاني من آب (اغسطس) ركب الامبراطور نابوليون من كبته وسار معه بعض أعوانه قاصداً مدينة دونشري وهي المكان

الذي عين لاقامة المخبرات عن التسليم فسأل الامبراطور بعض الالمان أين البرنس بسمارك فأجابه انه في دونشري فسار اليها وقبل أن نهض البرنس بسمارك من فراشه دخل عليه ضابط وقال له ان الامبراطور نابوليون قد وصل الى هنا وان حضرته يرغب أن يرى الملك فلبس بسمارك بكل سرعة ملابسه العادية وخرج ليقابل الامبراطور نابوليون فلما دنا البرنس بسمارك من المركبة خرج منها الامبراطور نابوليون فكشف البرنس رأسه ووقف وقوف احترام ورأسه مكشوف فطلب اليه الامبراطور نابوليون الساقط أن يلبس برنيطته فاجابه يا مولاي اني مقابل حضرتك كملك كما أقابل حضرة مولاي . وعند ذلك رجع الامبراطور الى مركبته وركب البرنس بسمارك جواده وسار بجانب المركبة وعند ما وصلوا الى خارج المدينة طلب الامبراطور نابوليون الى البرنس أن يقف عند باب بيت صغير فيه عائلة حائك فخرج أيضاً الامبراطور من المركبة ودخل البيت المذكور هو والبرنس فجلسا على كرسيين داخل البيت أما أعوان الامبراطور فبقوا خارجه . وكان الامبراطور نابوليون لابساً ملابس جنرال فرنساوي وكانت تلوح على وجهه لوائح الهم غير ان صحته كانت جيدة فقال للبرنس بسمارك انه كان قد أتى ليسلم نفسه للملك غليوم وطلب اليه أن يواجهه ولما تكلم معه البرنس عن نهاية الحرب أجابه نابوليون انه يسلم نفسه ويسلم الجيش في سيدان غير انه لا يقدر أن يعقد عهداً ربما كانت لا توافق استعدادات الحكومة في باريز اذ أنه كان مع الجيش كمتطوع وان كل ذلك في يد الامبراطورة الوكيكة ووزرائها ثم طلب الى البرنس بسمارك أن يجمعه بالملك فاجابه بسمارك انه لا بد من عقد شروط التسليم قبل وأن الملك يحب أن يخبر بذلك الجنرالية الفرنسيين وأنه لا بد من أن يكون التسليم تاماً لان الفرنسيين لم يكونوا قادرين أن يثبتوا لغير الشروط .

هذا وقد وقع خلاف بين كتاب الجرائد في الكلام الذي جرى بين الامبراطور نابوليون وبين البرنس بسمارك عند ما تقابلا حتى ان الظاهر ان نفس البرنس المشار اليه

قد أخطأ في مكان أو أكثر في نفس تقريره الرسمي عن هذه المقابلة فإنه قد قال انه قابل الامبراطور في الساعة العاشرة . أما كتاب الجرائد فقد قالوا انهما تقابلان الساعة السابعة والثامنة أفرنجية قبل الظهر والظاهر ان كتاب الجرائد قرروا الواقع بتدقيق يفوق تدقيق البرنس بسمارك والبرهان خروج الامبراطور من سيدان الساعة الخامسة من الصباح وذهابه رأساً الى دونشيري والبرهان الآخر الذي يسمف في اظهار صحة تقارير كتاب الجرائد عن زمان مواجهتهما هو وصول الامبراطور قبل خروج البرنس بسمارك من فراشه وقد قال البرنس ان المقابلة جرت في الخمدع وليس في فسحته . وكان هناك أي في مكان اجتماعهما مراسلا جريدين ورأياهما بدون أن يسمعا حديثهما وقد قرر أحدهما أنه أقيم حديث داخل الخمدع قبل خروج الامبراطور والبرنس فهذا يبين لنا ان الانسان لا يقدر أن يحمي نفسه من الغلط وعلى الخصوص في التقارير التاريخية وإذا كان قد حدث ما قد حدث من الغلط في هذه الايام التي قد كثرت فيها وسائط الخبرات والانتقال فإذا ياترى كان يحدث منه في الزمان التي لم يكن فيها من وسائط بلوغ الاخبار الصحيحة ما في هذه الايام . وبما أن هذه الحادثة هي من أهم حوادث الحرب قد ترجمنا التقرير الرسمي الذي قدمه البرنس بسمارك الى ملك بروسيا بهذا الشأن وهو ما يأتي :

انني اجتمعت بالامبراطور هنا في مخدع صغير من منزل حائك فيه مائدة واحدة وكريسيان وحدثته نحو ساعة . وكان يجب أن يحصل على شروط أسهل من الشروط التي طلبناها بخصوص تسليم الجيش . أما أنا فتمنعت عن المفاوضة بهذا الخصوص اذ أنه من الامور الحربية المحضة التي تجري المفاوضة بخصوصها بين الجنرال مولتك والجنرال ويمبفن وسألت حضرة الامبراطور هل يميل الى اقامة الخبرات بعقد الصلح فاجاب أنه لا يقدر أن يقوم بذلك اذ أنه قد بات أسيراً فسألت حضرة قائلاً في يد من تظن قوة فرنسا الاجرائية قد أمست فقال لي في يد الحكومة في باريز وبعد الوقوف على هذا الامر الذي لا تقدر

حضرتكم أن تقفوا عليه من التحرير الذي بعث به اليكم الامبراطور أمس قالت الامبراطور
 ان المركز اليوم هو كالمركز أمس أي أنه يتعلق بامور حرية محضة ولذلك ينبغي لحضرتكم
 أن من واجباتنا الاولية الحصول بواسطة تسليم سيدان على كفالة مادية تكفل دوام
 النتائج الحرة التي بلغناها . وفي مساء أمس تفاوضت مع الجنرال مولتك في امكان
 تحقيق الشروط المطالبة بدون ان نخسر بالصالح الالمانية وبعد التبصر اللازم وجدنا
 انه لا بد لنا من ان نحكم باننا لا نقدر ان نخفف تلك الشروط . وعند ما ذهب الجنرال
 مولتك الى حضرتكم بعد ان كان قد أتى من المدينة ليبلغ جلالتهكم نطلب الامبراطور
 لم يكن قاصداً ان يعرض ذلك الطالب وهذا مما لا يخفى حضرتكم . وبعد ذلك خرج
 الامبراطور الى الخارج وطلب الي أن أجلس بجانبه امام باب البيت (كما ترى في هذه
 الصورة) وسألني هل يمكن أن يصير السماح للجيش الفرنسي ان يقطع حدود الباليك
 ليصير أخذ سلاحه منه ؟ وفي المساء السابق كنت قد تخبرت مع الجنرال مولتك بهذا الشأن
 ولم تتحدث في المركز السياسي غير ان الامبراطور أظهر كدره من المصائب الحرة
 التي طرأت عليه وقال بتأكيده لم يكن راغباً في الحرب ولكنه التزم أن يدخل فيها لما
 رآه من ميل الامة اليها

وقد قال مكاتب جريدة الديلي نيوز الانكليزية الذي رأى الامبراطور والبرنس
 يتكلمان انه كان يسمع صوت البرنس عند ما كان يرفعه ليشدد تبليغ بعض العبارات
 وكان ينظر الرجل الساكن في المنزل الملاصق الذي اجتمعا فيه اليهما وهما يتكلمان
 من النافذة وقد قال هذا الرجل ان البرنس بسمارك شرع يتكلم باللغة الفرنسية
 فقال له الامبراطور سمعت انك لا تعرف حق المعرفة اللغة الفرنسية ولذلك أطلب
 اليك أن تكلمني باللغة الالمانية . وقد قال المكاتب المذكور ان الامبراطور قصد
 أن يتهكم على البرنس اذ ان الميسونديتي سفير فرنسا في برلين كان قد أخبره بانه التزم
 أن يكتب بيده المعاهدة السرية المشهورة التي كدرت كل دول أوروبا لان البرنس
 بسمارك كان لا يعرف ان يكتبها باللغة الفرنسية .



الامبراطور نابوليون الثالث والبرنس سمارك بيده السيف

وبعد ان انتهت هذه المقاتلة سار البرنس بشارك قاصداً ان يقرر لذلك ما جرى بينه وبين الامبراطور الذي سار راجعاً الى جنراليتيه . وظهر ان الجيش في سيدان في كل هذا الوقت كان هائلاً ولا يجب ان يسلم . غير ان الالمان كانوا قد أحاطوا بسيدان بمدافع حسنة وكثيرة حتى أنهم كانوا قادرين ان يطلتوها عليها وفي زمان قصير جدا ان يخربوا كل ابنتها حال كون مدافع سيدان كانت صغيرة وقديمة ولا تقدر ان تدافع دقيقة واحدة . ولو تمنع الفرنسيون عن التسليم لمسكن الالمان من قل أكثر أهالى سيدان والجيش بكرامتهم بدون أن يتمكن الفرنسيون من التسليم ولذلك اتفق القوم على شروط التسليم وأضوها في قرية صغيرة اسمها فرنوا وهي قريبة من دو نشري . اما شروط التسليم فكانت خمسة بنود ومضية بأهضاء فون مولتك وومبفن وما يأتي هو ترجمة ما لها :

بما ان الجيش الفرنسي اسمى محاطاً بجيش يفوقه بعدده قد سلم نفسه اسير حرب وانه بما ان الجيش الفرنسي دافع عن نفسه مدافعة الابطال فشكل القواد والضباط الفرنسيين لا يسندون أسلحتهم وأمتعتهم اذا تعبدوا بالشرف كتابة بأنهم لا يتقلدون أسلحة ليحاربوا ألمانيا ولا يفتلون ما يضاد صواب تلك البلاد مادامت الحرب الجارية مثبته . اما كل الاسلحة والرايات والمهمات وغيرها فيصير تسليمها في سيدان الى لجنة حرية تقام لذلك . وان يصير تسليم مدينة سيدان وقلعتها لغاية ٦ ايلول (سبتمبر) . اما القواد والضباط الذين لا يقبلون الشروط المقررة اعلاه فيصير اخراجهم مع البند المأخوذة منها أسلحتهم الى المقاطعات الواقعة عند الموز بالقرب من أجز ليصير تسليمهم بواسطة قوادهم الى المأمورين الالمان . ولا يبقى وراء الجيش غير رؤساء الجراحين لطبوا المرحوحين

و بعد اهضاء هذه الشروط نشر الجنرال ومبفن اعلاناً على الجيش الفرنسي قال لهم فيه أنهم قاتلوا من أول النهار الى الليل جيشاً يزيدهم عدداً بشجاعة لا مزيد

عليها وانهم أطلقوا أكثر رصاصهم وبادروهم قبل أن سلموا وبما أنهم تعبوا كل التعب بهذا القتال لم يقدرُوا أن يجيبوا طلب قوادهم بمحاولة الوصول إلى طريق مونتيميدي لينضموا إلى المارشال بازين وبما أن القواد باتوا غير قادرين على الخروج من المدينة وعلى الدفاع عنها التزموا أن يقوموا بعمل مكدر وهو أن يخابروا العدو . ولما كان هذا العدو يتهددهم باطلاق المدافع على المدينة التزموا أن يقبلوا الشروط التي طلب اليهم أن يقبلوها بعد التخلص من العادات الحربية التي تجعل القواد في ظروف كهذه الظروف وهكذا قد صار تخليص كثيرين من هلاك لا ينتفع منه أحد وقد صار حفظ الجنود لينفخوا بلادهم في وقت مستقبل . فهذا هو ترجمة ملخص الاعلان الذي نشره الجنرال ومبفن وامضاه كقائمقام جيش سيدان العمومي في وقت التسليم

وكان ملك بروسيا ينتظر في فندري ليري هل يقبل الفرنسيون شروط التسليم أو يرفضونها وطال عليه زمان الانتظار فركب مركبته وسار إلى ميدان الحرب فالتقى بالجنرال مولتك فأنخبره بان الامبراطور كان قد خرج من سيدان في صباح ذلك اليوم الساعة الخامسة وانه يرغب في ان يجتمع به . فعين الملك مكانا لاجتماعهما في فرنوا واسم ذلك المكان شاتو بلفو وأتى الملك هذا المكان وقت الظهر ومعه ولي عهده وحشمه وفرقة من الفرسان لتحرسه . فوصل الامبراطور إلى المكان المذكور بعد ذلك بمدة قصيرة ومعه حشمه وأعوانه واجتمع الامبراطور والملك في مكان من ذلك المنزل والمكان الذي اجتمعا فيه ذو منظر بهج فانه يري منه الوادي ومدينة سيدان

وبعث ملك بروسيا بتلغراف إلى امرأته الملكة أوغوستا قال فيه ان نابوليون منكسر الجانب ولكن لوائح الجلال لا تزال تلوح على وجهه وكذلك لوائح تسليم أمره إلى نصيبه . وقال الملك المشار اليه في تحرير آخر بعث به إلى الملكة انا (أي الامبراطور نابوليون والكاتب وهو ملك بروسيا) حزنا جداً عند ما قابل بعضنا البعض الآخر في الظروف الحالية . اتى كنت قد رأيت نابوليون قبل هذه المرة منذ ثلاث سنين

فقط وكان في أعلي معالي عظمته ولذلك لا اقدر أن أصف الحاسيات التي شعرت بها عند ما اجتمعنا الآن

وقد تقرر في افادة اخرى ان الامبراطور كان غير مضطرب في أول الكلام الذي جرى بينه وبين الملك وانه قابل ملك بروسيا باحترام كثير وكله برهة قصيرة في قاعة خارجية ثم ذهب الى مخدع آخر واغلقا الباب واجتمعا نحو ربع ساعة . وعند ما خرجا ظهرت على الامبراطور نابوليون لوائح الكدر وتكلم مع ولي عهد ملك بروسيا وقال له ان الملك عامله معاملة خنوشديد وكرم اخلاق . ومسح الدموع عن عينيه بقفاز احدي يديه الذي كان في يده الاخرى وظهر اضطرابه مدة ثوان كثيرة وظهر عند ذلك ان الملك كان قد عين قصر وللممشوه لاقامته وهو في كاسل وكان قد أقام في هذا القصر عم الامبراطور نابوليون الملك جروم بونا بارت من وستفاليا وكان اسمه حينئذ قصر بابوليونشوه . فطلب الامبراطور أن لا يصير الذهاب به الى ذلك المكان على مرأى من جيوشه وقال انه يحب مجانية المرور في البلاد الفرنسية على قدر الامكان وأن يكون مسيره سرياً فصارت اجابة هذه المطالبات حالا بدون تردد . وسمح له بان يأخذ معه امتعته الخصوصية وحشمه ومركباته وبعض موظفي قصره . وعين الجنرال نويان البروسياني والبرنس سينار الذي كان كاتم أسرار سفارة بروسيا في باريز ليكونا معاونين لحضرة الامبراطور نابوليون

وقد كتب الدكتور روسل مكاتب التيمس الى هذه الجريدة تفاصيل الكلام الذي جرى بين الامبراطور والملك عند ما اجتمعا

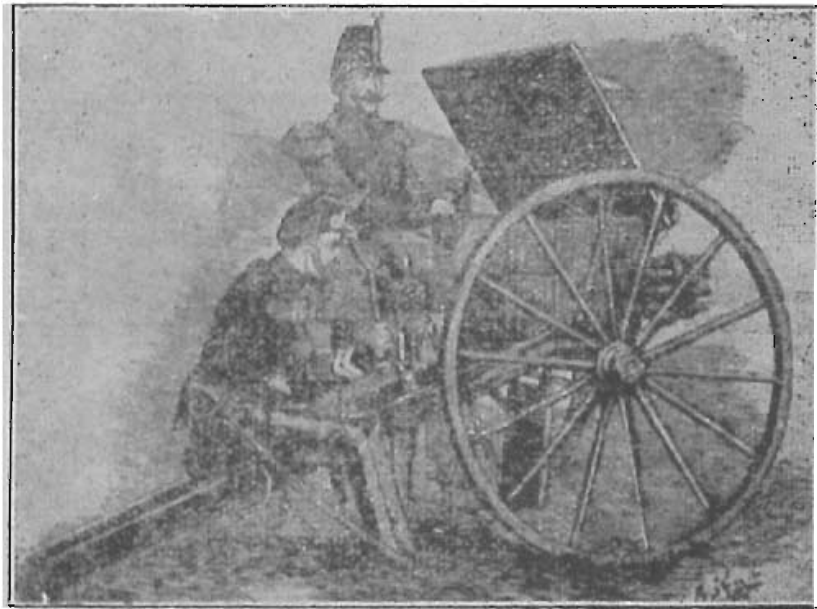
هذا ولا يخفى ان البرنس بسمارك قال ان هذا الكلام هو كذب غير انه عند ما سئل بعد ذلك عن هذا الكلام قال انه لم يكذبه ولذلك نظن ان ما قرره الدكتور روسل الموما اليه هو مطابق للحقيقة غير اننا لا نعلم كيف تمكن من أن يعرف هذا الكلام معرفة مفصلة وما يأتي هو ترجمة ما قرره :

انه عند ما اجتمع الامبراطور بالملك ابتداء الملك في الكلام وقال ان الله قد نصرني في حرب اشهرت ضدي . فقال الامبراطور اني لم أكن راغباً في فتح هذه الحرب ولكنني التزمت ان افتحها قياماً بحق ميل الامة وارادتها فقال الملك اني عالم بان فتح الحرب لم يكن ناتجاً عن ميالك الى فتحها وهذا مؤكد عندي ولسكنك فتحها قياماً بحق ميل الامة غير ان وزراء حضرتك هم الذين جعلوا الامة تميل الميل الذي أتى بهذه الحرب . و بعد أن صمت الملك برهة قصيرة قال ان الجيوش الفرنسية قاتلت قتال الابطال والشجيمان . فاجاب الامبراطور هذا صحيح غير ان جيوش حضرتك منتظمة نظاماً مصدره الانقياد حال كون جيوشي خالية من ذلك النظام خلواً يحملني على التأسف . فقال الملك ان جيوش بروسيا كانت تهجنى المنافع من جميع الوسائل الحرية الجديدة فانها كانت لا تنفك عن اقتباس الاكتشافات ونظامات غيرها من الدول قبل سنة ١٨٦٦ و بعدها

فقال الامبراطور ان مدافعكم مكنتكم من الفوز فان مدافع بروسيا هي أحسن مدافع الدنيا . فانحني الملك قليلاً شاكراً الامبراطور وقال له اننا سنعين في سبيل الاتفاف من اختبارات غيرنا . فقال الامبراطور ان البرنس فردريك شارل مكنتكم من الفوز في هذا اليوم فانه هو الذي استولي على مواقفنا فاجاب الملك متعجباً هل قلت البرنس فردريك شارل اني لم افهم المقصود من كلام حضرتك فان جيش ابني هو الذي اقام القتال في سيدان . فقال الامبراطور ان كان ابن حضرتك قد أقام بالقتال أمس فاين ياتري البرنس فردريك شارل فاجاب الملك انه هو وسبع فرق من الجيش في ظاهر متس . فلما سمع الامبراطور ذلك أجفل ورجع الى الوراء كمن قد اصابته داهية غير انه رجع حالاً الى نفسه وأخذ في التكلم . فقال له الملك هل ترغب حضرتكم في عرض شروط . فاجاب لافاتي بلا سلطان اذ اني اسير فقال الملك هل تسمح لي ن اسألك أين هي حكومة فرنسا التي اقدر ان اقيم المخابرات معها فقال الامبراطور



البرنس فريدريك ابن امبراطور ألمانيا



مدفع المتراليوز

انها في باريز فان الامبراطورة والوزراء هم وحدهم الذين يقدر و ان يقيموا المخبرات
اما أنا فامسيت بلا سلطان ولا اقدر ان اصدر الاوامر ولا ان اقرر الشروط . وهذا
نهاية حديث الامبراطور والملك وبعد ذلك خرجا من المتدع . انتهى كلام مكاتب
التيمس .

اما الامبراطور نابوليون فنام في تلك الليلة في شاتو (قصر) بلفو وقد قال مكاتب
جريدة الديلي نيوز الذي نام في الليسل الثاني في نفس المتدع والسرير الظاهر ان
الامبراطور اشتغل في قراءة كتاب اللورد تون المسمى نهاية البارون وهو في الفراش
فانه رأي الكتاب المذكور مفتوحاً وموضوعاً على مائدة صغيرة موضوعة عند وسادة
السريير وظاهره الى فوق . وكان الشاتو (قصر صغير) لا يزال غير مخرب بأيدي الجنود
الالمانية . غير انه في ٤ ايلول (سبتمبر) دخلته فرقة من البافاريين واضربوا به ضرباً
كبيراً وذلك بحسب عاداتهم الخشنة . وهذا الشاتو هو للمسيو أمور الفرنسي وهو
تاجر خمر وكان خارج المكان هو وعائلته في الوقت المذكور ولما دخله البافاريون شرعوا
يدققون التفتيش فيه طلباً للخمر فوجدوا كمية وافرة منها ولا يخفي انه بعد ان وجدوا
المطلوب شربوا منه الى أن سكروا

وفي صباح اليوم الثالث من (ايلول) سبتمبر سار الامبراطور قاصداً وللمشوه بعد
ان اخرج من شوارع دونفري المركبات والناس لكي لا يعاق مسير المركبات الامبراطورية
التي كان يسير امامها فرسان من الهنار الالمان لابسين ملابس رسمية كاملة النقوش
وكان الامبراطور راكباً مركبة ولا بسا لباس نائب جنرال غير انه لم يكن كامل النقش
وقد قيل انه كانت تلوح على وجهه الاخضر لوائح الهم غير انه كان معتصماً بالصبر
الجميل وكان يرد سلام القليلين الذين صادفهم في شوارع المدينة الصغيرة بدون تردد
اما اهالي المدن فلبث كانوا يشتركون في الاحزان مع امبراطورهم الساقط كانوا يخافون
اظهار ميلهم له على مرأي من الحراس الالمان الذين كانوا يسيرون امام المركبات الكثيرة

المتناسقة وراءها علي انه قد قيل ان أهل القرى الذين طالما أحبوا الامبراطورية حباً
لا مزيد عليه وعضدوها كل العضد كانوا سيكون و يصرخون قائلين فليعيش الامبراطور
وكان كثيرون منهم يقبلون صورته التي كانت معهم وهو مار من امام أبواب بيوتهم
وكان الامبراطور يحب ان يتجنب المرور في البلاد الفرنسية فطلب هو وملك
بروسيا الى حكومة باجيك ان تسمح الامبراطور أن يمر في بلاد الباجيك في طريق كاسل
فاجابت طلبهما على الفور . وفي محطة جنيل اجتمع الامبراطور برهة قصيرة بابن
عمه البرنس بيار بونا بارت الذي اشتهر بمحاكمته وتخليصه بعد قتل مدير جريدة كان قد
كتب ما أهانه و بعد ذلك تهدده . وقد كتب بعض الكتاب شيئاً عن السكر
الذي خامرها عند ما اجتمعا غير اننا لا نظن ان الامبراطور وابن عمه كانا متوادين ولا
نظن ان أحدهما أظهر امارات السكر للآخر . وقد قال البرنس بيار انه لم يحدث شيء
من ذلك عند اجتماعهما . واجتمع في مدينة لييج قوم في محطة الطريق الحديدية
ليشاهدوا الامبراطور الساقط ومع أن أهالي باجيك يحبون الفرنسيين لم يظهر واحد ذلك
شيئاً يدل على ميلهم وحُبهم . وقد قيل ان الامبراطور لم يتأثر من ذلك ولكنه أزاح
ستار نافذة المركبة وأخذ ينظر الى المتفرجين وهو يدخل . ونام في فرفيه في منزل
المسافرين في المركبات البخارية ثم سار بدون أن يقيم في مكان أكثر من دقائق قليلة
وفي يوم الاثنين الواقع في ٥ ايلول (سبتمبر) وصل الى ولهمشوه واستقبله الاماز في المكان
المذكور استقبالا لا يقام الا لا كابر الملوك . فانهم أقاموا فرقة من الجنود في القصر
المذكور ليستقبلوه . وضربت الموسيقى العسكرية نغمة الزافتسترخ (وهي نغمة لا
تضرب الا عند استقبال أحد الغيال الملكية) وسلم عليه بكل احترام حاكم كاسل
وضباط الفرقة وغيرهم عند ما خرج من المركبة . وعند ما مر بين الجنود المقامة لاستقباله
سامت عليه فسار بين صفوفهم الى أن دخل قاعة القصر الفاخرة وكان استقباله استقبال
ضيف من اكرم الضيوف وليس استقبال أسير . أما عدد أعوان الامبراطور فكان

٤٠ رجلاً وكان معه خدام كثيرون فانزلوا جميعاً في القصر وقام الالمان بضيافتهم قياماً يحاكي ضيافة الملوك وادخلوا الافراس التي آتى بها الامبراطور وعددها ٧٥ الى اسطبلات الخيل في القصر وادخلوا المركبات ورتبوا كل شيء ترتيباً يسر الامبراطور ويرى به . وكان الظاهر انه حر لان يذهب حيثما شاء فكان يركب المركبات ويسير حول القصر أو الى القرى المجاورة والمقصود ان الالمان لم يحرسوه ظاهراً ولا نعلم هل كانوا يحرسونه خفية أولاً .

هذا وقد ذكرنا ان حالة سيدان كانت بئس الحال عند اقامة شروط التسليم فان الجنود الفرنسيين المكسورين كانوا في هيجان مخيف وبحسب العادة شرعوا يصرخون ويقولون قد خانونا وكانوا يلعنون الامبراطور وقواده وجميع ضباطهم ويلعنون البروسيين ويحلفون بأنه لا بد من أن ينتقموا منهم فمنهم من بكى بصوت مرتفع ومنهم من كسر أسلحته وداسها تحت رجله ووقف بعيداً متفكراً كمن بات في يأس . ومنهم من حملتهم أحزانهم وجهلهم على أن يقولوا بانهم يفضلون الموت على التسليم ومنهم من حاول الحصول على الفرج بالسكرك وأخذ يسير في الشوارع مسيراً معيماً جداً . وحدث ما كان يكاد ينتج عنه نزاع كثير فان جندياً فرنسائياً رمى جندياً بافارياً بقنينة فأراد الالمان أن يقوموا بثار رفيقتهم فأنهم قالوا ان الفرنسيين أهانه اهانة لا يجريها الا من كان جباناً وعند ذلك تقدم ضباط فرنسائيون ووبخوا الفرنسيين توبيخاً شديداً على ما كانوا يفعلونه ثم نظروا الى البافاريين وطلبوا اليهم أن يمسكروهم وعند ذلك كثر التقييل وهز الايدي والبكاء وهكذا خمد النزاع الذي كان يكاد يحدث . وقد حرر عضو انكليزي من أعضاء المجلس العالي الى جريدة التيمس ما يأتي بخصوص حالة سيدان فانه كان فيها في ذلك الزمان :

اتني أقصر عن القيام بوصف الاضطراب والارتباك الواقع فان الجنود قد خسرت كل نظامها واثقيادها وقد اختلطت كل الفرق الفرنسية فترى الفرسان والمشاة

والمدفعين مجتمعين معاً والافراس المشرفة على الموت جوعاً تملأ الفضاء بصراخها المحزن والمخيف واذا خرجت الى الشوارع ترى فيها جثث الخيل الميتة وترى المجروحة منها وغير المجروحة تسير من مكان الى مكان بدون معارض وترى أفراساً كثيرة لا تزال مؤثوقة الى المركبات والمدافع وقد فعل فيها الجوع وحملها على أن تهيج هيجاناً مخيفاً وان تحاول جهودها للتخلص من رباطاتها ولكن بدون الوصول الى النتيجة . أما الشتاء فمطل غزيراً في الليل، التابع يوم التسليم وكانت العساكر تجلس منفردة أو أفواجاً أفواجاً في الشوارع وفي النوافذ وفي مداخل الابواب وتحت القناطر . أما أنا فحصلت باذن عجوز عرجاء على كرسي في بيتها فجلست عليه الليل بطوله . انتهى .

وقد قال غير هذا الانسان ان السيوف والبنادق والغدارات والرماح والحوذ والدروع والمدافع الراشدة المكسرة كانت ترى في كل مكان من الشوارع وسقط من هذه الاسلحة في نهر الموز قدر كثير حتى انها سدت مجراه بعض السد فطاف فعلا أما الوحول في الشوارع فكانت سوداء من البارود وكانت قطع الكرات ملقاة في جميع جهات المدينة . والذي زاد تلك المناظر شناعة الجوع الذي تمكن من الجميع فان الجنود التزمت أن تأكل لحوم الافراس الميتة . أما أهالي المدينة ففرحوا بنهاية الحرب عندهم ولذلك استقبلوا المنتصرين أحسن استقبال وعادوهم باللطف فان اطلاق الكرات على المدينة كان قد أضر بهم جداً وكان قد احترق بعض بيوتهم وقتل كثيرون منهم . وكانت جثث القتلى من الاهالي ومن الجنود ملقاة في الشوارع والساحات عند مداخل الالمان المدينة . وبعد أن تقررت شروط التسليم في ٢ أيلول (سبتمبر) قطع سبعة الاف فرنساوي حدود البلجيك ومعهم مدافع كثيرة وسلموا أسلحتهم وفي اليوم الثاني تبعهم ١٢ ألفاً منهم وسلموا تسليمهم وقطع تلك الحدود ثلثمائة من الفرنسيين الجرحى والتجأوا إلى البلجيك ليتخلصوا من التسليم للالمان .

أما الجرحى فرنساويون والبروسيانون فإرسلوا بالأسوة الى المستشفى العسكري

في نامور وكان البلجيكيون قد سلموا هذا المستشفى لمناظرة مأهولي الصحة وكانت حكومة بلجيكا قد قبلت بأن تسمح بتنفيذ معاهدة جرت بين المتحاربين مآلها أن يصير الاعتناء بجرحى وأسرى الفريقين في بلاد بلجيكا بلا تمييز . وصارت إقامة الجنود الفرنسيين بين الغير المحرورين في نامور أما الضباط الفرنسيون فصار إطلاق سبيلهم بعد أن تعهدوا بأنهم لا يخرجون من بلاد البلجيك وصار إرسال الألمان إلى بروكسل . وفي صباح اليوم الثالث من أيلول (سبتمبر) استولى الألمان على مدينة سيدان وصار إخراج الجيش المأسور على الفور وفضل كثير من الضباط الفرنسيين أن يذهبوا مع جنودهم إلى الأسر على أن يتعهدوا بأنهم لا يحاربون ألمانيا ولا يضرون بها مادامت هذه الحرب منتشرة . وكان وقت ابتداء خروجهم وقتاً صعباً ولولا اجتهد القواد الفرنسيين وجدهم لهاجت الجنود الفرنسية وأجرت تعديلات كثيرة لتضاد شروط التسليم غير أن القواد الفرنسيين كانوا ثابتين وشديدي العزم .

وكان الألمان يتجنبون أن يظهروا أنفسهم للفرنسيين ولذلك لم يهرق دم في غضون التسليم . ولم يتمكن الجيش المأسور من الخروج من سيدان إلا بعد مرور زمان طويل فان عدده كان ٩٥ ألف جندي خلا عدد غفير من الخيل والمدافع والمهمات وغيرها وصار إرسال الفرنسيين إلى ألمانيا فرقاً فرقة كل يوم فرقة عددها عشرة آلاف جندي . أما الفلاحون الألمان فكانوا يعاملون الفرنسيين بكل لطف ورقة وكانوا يخدمونهم في أمور كثيرة وهم مارون في قراهم وبهذه الوسطة خدعهم الفرنسيين وضعفت حاسيات الكره التي كانوا يشعرون بها قبل أن صادفوا معاملة حسنة في قرى الفلاحين وكانت النساء الألمانيات يطبخن لحسن طعاماً ويقدمونهن لهم أينما وقفوا عن المسير وبعد مدة قصيرة اتفق الأسرى والمأسرون وعاشوا معا بلحب

وقد وصف مكاتب جريدة الديلي نيوز ميدان الحرب في تحرير بعث به إلى الجريدة المذكورة وما يأتي هو ترجمته

ان الاساكن الكثيرة الخضراء والاشجار في جوانب الجبل ملانة بجثث خيل
مخلوط بعضها ببعض الآخر وجثث الجنود المدرعين فاز الفرسان المدرعين حاولوا بكل
جد وشجاعة أن ينفقوا صفوف الالمان ولكنهم هلكوا برصاص البنادق البروسانية .
هذا ويصعب على الانسان الذي ليس له اختبار في الأمور الحربية أن يعرف من آثار
ميدان الحرب في غدا المعركة الاعمال والحوادث التي يشير اليها كل من تلك الآثار فان
رأيت في مكان جثث افراس ميتة مما ومعبا خوذة أو خوذة تان و ١٠ أو ١٢ درعاً وطبلاً
صغيراً مكسوراً وجثث ثلاثة فرسان مدرعين فاعرف ان القتال اشتد في ذلك المكان وعند
ما ترى الأرض مصبوغة بلون مسود فاعرف انه كان عليها مجروح انصب مقدار من دمه ثم
نقل الى المستشفى واذا رأيت سيوفاً كثيرة في مكان واحد فاعرف ان جمهوراً من الفرسان
التي قتلت خيلها التزم أن يسلم في ذلك المكان . واذا انتقلت الى حيث ترى الخوذ البروسانية
المداسة والمكسرة ترى بعضها مثقوباً بالكرات أو بالرصاص وعليها دم فاعرف ان الفرقة
التي حاربت هناك قتل منها قوم واذا رأيت خوذاً غير مثقوبه وليس عليها أثر الدم
فاعرف انها خوذة جرحى أو خوذة جنود خلسوا وخوذهم وهم يقاتلون ليتمكنوا من سرعة
السير . واذا رأيت الأرض ممهدة وحولها خرج جندي وبنادق وجبة واسعة وانهاء
للطبخ فاعرف ان هذا مكان جريح جرحاً بليلاً فبادر رفاقه الى أن يريحوه
بالنوم على قدر الامكان . وكثيراً ما ترى مظلة صغيرة حقيرة من ورق الاشجار
والاغصان وهي تحمي الجريح وهو مطروح في ميدان الحرب من حرارة الشمس . وترى
منسوجاً مرفوعاً على بندقيتين والخرج وسادة وتحت هذا المنسوج جثة فاعرف انه
توفي بعد ان حصل على اعتاء صديق صادق صادف أو التزم أن يبعد عنه

وأفضل الاعمال عمل الذين ياتون ميادين الحرب ليعتقوا بالجرحى فان علامة
مهمتهم هي تمزيق واية تعزية لذلك الجريح المنكود الحظ الذي بات مطروحاً بعيداً عن
أهله وأقاربه وأحسن هؤلاء الفاضلين الذين أتوا ميدان الحرب اخوان الرحمة والجراحون

الذين انتظموا في سلك جمعيات مساعدة الجرحى فانهم مملوؤن غيرة وشفقة ومن هؤلاء القوم من هم من أحسن الميل الألمانية ومنهم من هم من الجانب الذين أتوا للمساعدة في ماتسبهم اليه الانسانية

ولا بد من ان نشي عليهم كل الشاء لان نقل الجرحى الى القرى المجاورة أو الى مظلات مرفقة كان جاريا بسرعة كافية حتي انه لم يبق منهم غير قليلين في ميدان الحرب الى اليوم الثاني صباحا . اما المجاريح فكانوا يثنون ويصرخون صراخ الالم عند ما يصير نقلهم فتنسأل الله أن يساعدهم ويصبرهم . اما جانب التل في الجهة الشمالية الغربية من سيدان فكان مغطى بجثث القتلى من الرجال والخييل . فالشاسور الفرسان وشاسور افريقية من الجنود الفرنسية كانوا قد هجموا وهم مستترون بعض الاستتار بفبار خيلهم وأرجلهم ولكنهم هلكوا قبل الوصول الى مرغوبهم فكنا نربي في هذا المكان الفارس الغير المدرع متمرغا على الأرض وثوبه الرسمي اللامع مضرجا بدمه وافراسا كثيرة من الخيل السكريمة مقتولة بكرات البروسيين . ولما أتينا هذا المكان كان قد مات أكثر الجرحى من الرجال والخييل فرأينا قليلين من المجاريح يتمرغون متوجمين ومعهم حلقات بيضاء مربوطة بعيدان وذلك لينبهوا بها الجراح عند ما يمر بالقرب منهم ويمكن من أن يهتم بهم بسد الاهتمام باخوتهم في الاوجاع . انتهى كلام مكاتب الديلي نيوز

وبعث الالمان بعشرة آلاف أو بعشرين ألف أسير من جيش سيدان الى المانيا دفعة واحدة على انهم لم يرسلوا معهم حراسا كثيرين غير ان الحراس كانوا متقلدين أسلحة كاملة اما الاسري فكانوا بلا أسلحة . وقد قيل ان لوائح الحزن كانت تلوح على أوجه القواد على ان الجنود كانوا يضحكون ويتكلمون فرحين والظاهر انهم سررو بالنجاة بلا جرح وبالحلاص من اخطار القتل والجرح في المواقع الآتية وكان القتال منتشبا في سيدان والمرشال بازين في ميتس ينتظر بفروغ صبر وصول

المرشال مكهاون ليخلصه من مركزه الرديء . وفي ٣١ آب (اغسطس) رأي المرشال بازين انه لم يحصل على المرغوب ولم يتمكن من الوقوف على خبر من جهة مكهاون فهاجم الالمان مهاجمة شديدة جدا محاولا خرق صفوفهم اذ انه كان يظن انهم قد قتلوا لانهم أرسلوا جيشا منهم ليعارض المرشال مكهاون في مسيره . فهاجم الفرقة الاولى من البروسيانين وهي فرقة الجنرال كومار والفرقة الرابعة من اللاندوهر الواقعة في الجهة الشرقية من ميتس وهاجم هاتين الفرقتين بجيشه جميعه فدامت المعركة النهار والليل بطولهما غير ان النتيجة كانت ارتداد الفرنسيين الى المدينة من كل المواقف فان الالمان كانوا قد تمكنوا من أن يتمكنوا مواقفهم وان ينظموا حالتهم حتى انه كان لا أمل من نجاح المرشال بازين بمهاجمتهم . وكان يظن بازين بانه هاجمهم في أضعف جهاتهم وأصاب في ذلك غير ان الاسلاك البرقية البروسانية كانت منظمة نظاما متقنا جدا حتي انه كان يقدر الالمان أن يقوا جهاتهم الضعيفة بالنجدة قبل ان يتمكن الفرنسيين من مهاجمتها .

وكان الالمان يقومون بحصر ستراسبرج بنشاط لا مزيد عليه وكان المحصورون يدافعون عن أنفسهم دفاع الأبطال الباسلين حتي ان دفاعهم أدهش العالم قاطبة . فخرجوا لمهاجمة المحاصرين في ١ و ٢ ايلول ليلاً غير انهم التزموا أن يرتدوا بعد أن تمكنوا من الوصول الى الدائرة الثانية من دوائر المحاصرين وقتل كثيرون من الفريقين لان القتال كان شديداً غير ان الفرنسيين لم يكسبوا شيئا ينسبهم الذين قتلوا في سبيل هذا القتال . هذا وتمكنوا من أخذ محطة الطريق الحديدية واستولوا عليها برهة قصيرة ثم التزموا ان يتركوها بعد قتال شديد

وبما انه لم يرد اسعاف ولا نجدة للمدينة الجميلة امست في ضيق شديد فان الاهالي التزموا أن يبقوا في البيوت القوية السقوف غير انهم التزموا فيما بعد ان يخرجوا منها بواسطة طوفان نهر الرين الذي دخل هذه البيوت ورطب ارضها . والتزم الذين هدمت

بيوتهم ان يلتجئوا الى الكنائس وكانوا يقبرون الموتى في المقابر خارج الاسوار فاترموا
 أن يقبروها في جنات النبات داخل اسوار القلعة وفرغ الغاز من المدينة فامر الحاكم
 ان تضاء المدينة بتعليق مصابيح امام أبواب المنازل وخربت السكرات البروسانية
 المكتبة العمومية والهيكل نوف وهو أكبر كنيسة بروتستانتية في المدينة ذات الارغن
 المشهور والنقوش الجميلة ومكان الآثار وغيرها من أجل منازل المدينة والكنيسة المشهورة
 في كل الدنيا امست خربة تنوح على رونقها

وفي ٣ ايلول (سبتمبر) أمر الملك غليوم الالمان الذين كانوا يوجهون مدافعهم الى الابنية
 العمومية والمنازل الخصوصية ان يمتنعوا عن اطلاق السكرات على غير القلاع والحصون
 غير ان ورود هذا الامر كان بعد ان وقع ضرر عظيم على المدينة . ومع ذلك كان
 يظهر ان ستراسبرج ستثبت في الدفاع مدة طويلة وربما كانت شدة الصدام قد حملت
 الالمان الذين كانوا يقطعون الامل من فتح المدينة على أن يضرروا بمنارها الخصوصية
 وكانت هذه الحوادث تحدث في الاماكن المذكورة وباريز في اضطراب غريب
 فان الحكومة كانت تشيع اخباراً عن انتصار فرنسا ويين انتصارات عظيمة لان
 جهلها كان يحملها على الظن بان هذا يمكنها من التسلط على الشعب ويمنعه عن الهيجان
 والظاهر انها نسيت انه لا بد من ظهور الحقيقة وان ظهورها بعد ان تتأكد الامة انها
 كانت مخدوعة يحملها على ان تضطرب .

اما الحكومة الفرنسية فلم تتمكن الا هالي من الوقوف على حقيقة اخبار الفشل الذي
 لحق بجيوشها قبل أول ايلول (سبتمبر) وعند اعلان الكيفية لم تقرر الحق ولكنها أخفت
 كثيراً منه وقررت ان مصدر الاخبار الواردة عن التسليم في سيدان وحصر ميتس
 انما هو مصدر غير رسمي ولا يركن الى صحته ومع انها قالت ان الافادات الواردة تبين
 ان الجيوش الفرنسية صادفت ويلات كثيرة لم تقل ان هذه الافادات وردت اليها
 ولكنها قررت انها افادات بروسانية لا تصدقها وما ياتي هو ختام الاعلان الذي أعلنته

الحكومة الفرنسية بهذا الشأن وهوان الحكومة لا تقدر ان تكفل صحة هذه الاخبار بواسطة نشرها امام مصائبنا فتكدرنا فاننا لا نقدر ان نري مارأيانا من الشجاعة واحتمال المشقات يذهب سدي بدون أن نحزن جداً على ان هذه الامور لا تقلل نشاطنا ولكنها تزيد وتضاعفه . هذا ولا يخفي ان الوزارة الحالية قد أجرت لفرنسا كل ماتسمح لها استعداداتها ان تجريه ولا تزال استعدادات فرنسا قوية فبالنشاط والانضمام الى الامة تمكثنا من الفوز وبناء على ذلك نؤمل اننا بحوله تعالى سنتمكن من طرد العدو من فرنسا . انتهى .

وهكذا أمست الامة مخدوعة بواسطة حمق وشر الذين كان من واجباتهم ان يبينوا لها حقيقة الخطر الذي يتهدها ولذلك لا نعجب متى سمعنا انه عند ما وقفت الامة على الحقيقة وعرفت ان حكومتها خدعتها باتت لا تركز الى تلك الحكومة التي غشتها عمداً . على ان الحكومة كانت تخاف من سوء العواقب ولذلك شرعت في تحصين باريز بكل اجتهاد وفي الاستعداد اللازم لدفع المحاصرين الذين كانت عارفة بقدمهم وقرر المجلس القضائي وجوب مبادرة كل الاهالي المذكور المتزوجين والعزاب الذين سنهم بين العشرين والخمس والثلاثين الى الانتظام في سلك العسكرية وفوض الحكومة الاجرائية ان تستخدم كل الضباط الاولين والثانويين حتى الذين بلغوا من السن الستين . اما الجنرال باليكو فكان يخذع مجلس النواب بكم حقيقة الخبر عند ما خطب فيه بهذا الخصوص كما خدعت الحكومة الامة ومع انه لا بد من أن تكون الحكومة قد عرفت الحقيقة قبل ان خطب الخطاب المذكور لم يتردد عن ان يقول لاعضاء المجلس القضائي ما ياتي وهو : قد حدثت حوادث مكبرة (هذا كلام عمومي صحيح غير انه قال بعد ذلك) ومن واجباتي ان اخبركم انه حدثت معركة بين مزار وسيدان فصادفنا فيها نجاحاً وفشلاً فاننا كسرنا البروسيانين في أول الامر وطردهم الى الموز ولكننا التزمنا في نهاية الامر ان نتقهقر لان عدد جنود أعدائنا كان

أكثر من عدد جنودنا . والنتيجة أنه لم يتمكن المرشال مكاهون والمرشال بازين من أن يجتمعا بجيوشهما قبل مضي مدة وقد شاعت اخبار غير هذه وعلى الخصوص عن جرح المرشال مكاهون غير أن هذه الاخبار غير صادرة من ينبوع موكد ومع ذلك قد أسيذا في مركز صعب فلا يجب أن ننقسم . انتهى .

غير أن الوزارة الامبراطورية المذكورة لم تقدر أن تخدع الامة زماناً طويلاً فان الاخبار الحقيقية انتشرت في باريز ولما عرف الاهالي انهم كانوا مخدوعين وان جيوش فرنسا منذ أول القتال الى زمان ورود الاخبار اليهم لم تصادف غير كسر وويل ولم تفز الا في معركة ساربروك التي لا تستحق الذكر صرخوا صرخا واحدا متضجرين من الدولة الامبراطورية فقال الموسيوجول فافر في المجلس القضائي قد خدعت الامة وأنه لما كان قد تأكد أنه لا يمكن اجتماع المرشال مكاهون والمرشال بازين كان لا بد له من أن يقيم الحجة على دوام الدولة الامبراطورية وطلب في أول الامر الى الجنرال تروشوان يقبض على زمام الاحكام ولكن بما ان الامبراطور نابوليون كان قد أقامه رئيساً للجنود ووالياً على باريز وذلك في ١٧ آب (أغسطس) أجابه بأنه لا يقدر أن يحمل مسؤولية اجابة ذلك الطالب . وعند ذلك صرخ القوم قائلين « فليتنح الامبراطور » وأتي تروشو جمهور قيل كان عدده عشرة ألف رجل وطلبوا اليه أن يقبض على زمام الامور فاجابهم كما أجاب الذين سبقوهم . فاجتمعت المجالس العالية في نصف الليل وكان القوم خائفين ومضطربين وأتى بالجنود لتدافع عن الاعضاء والتزم الفرسان ان يصدمو الجمهور مرات كثيرة وفي هذا الاجتماع قال الجنرال باليكا والمجلس القضائي ان جيش مكاهون سلم وان الامبراطور نابوليون سلم نفسه أسير حرب الى ملك بروسيا فاشتد الهيجان حتي التزم المجلس أن يمتنع عن المفاوضة وطلب الى المجلس أن يجتمع في اليوم الثاني ليتبصر في النتائج المضرة التي ربما كانت تعقب ويلا كذلك الويل وقال الموسيوجول فافران الامبراطور وعائلته قد خسروا كل الحقوق التي تقررت لهم نظاما وطلب أن يصير اقامة

عمدة مجلسية لتدبير الاعمال الحربية وتثبيت الجنرال تروشوف في مركزه والياً على باريز
فعارض الموسيو بيكار الموسيو جول فافر وعند ذلك ابتدأت أنواء الثورة التي أتت بنتائج
مهلكة .

أما الذين كانوا يحبون أن يحافظوا على الاحوال المعتدلة فامسوا لا يقدرّون أن
ينفذوا غاياتهم الحسنة لان المكان الذي يقيم فيه ألوف من الفقراء والاوباش الذين
يكادون يموتون جوعاً لا يمكن أن يصير المحافظة فيه على الراحة في ظروف كهذه
الظروف لان أولئك القوم يمتقدون ان الثورات تأتيهم بنفع بواسطة حصولهم على نهب
وسلب لا يقدرّون أن يحصلوا عليها في أيام الضبط والراحة ولذلك كانت باريز مستعدة
أن تقيم ثورة لاية علة كانت .

وكان كثيرون من العامة يتذمرون من الدولة الامبراطور يغيران يد الامبراطور القوية
كانت تصدهم عن تنفيذ غاياتهم التي كانوا يرغبون في تنفيذها قبل معركة سيدان بزمان
ليس بقصير على انه لما كان الامبراطور قد أمسى أسيراً وبات غير قادر أن يخدم نيران
الثوره بالقوة أو بالملاطفة أو بغير ذلك من الوسائط السياسية التي لم يتمكن أحد من
ملوك فرنسا من تنفيذها مثله منذ الثورة الكبيرة التي حدثت سنة ١٧٩٠ هاج الشر
الذي كان خامداً بتلك الوسائط واضطرت نيران الثورة المنحصرة . أما الاصطلاحات
التي قررها الامبراطور نابوليون في أواخر سنة ١٨٦٩ فارضت الذين يحبون الراحة من
الامة فانه كان قد قرر حكومة منتظمة وقبل أن يسوس فرنسا سياسة تشبه السياسة
المفيدة وقبل شوب نيران تلك الحرب التي أتت فرنسا بالاضرار المعلومة بمدة قصيرة
أصبحت فرنسا في هدو وسكينة لم تصبح فيها منذ سنين كثيرة .

ولما وقف الباريزيون على حقيقة أخبار ويلات سيدان غضبوا ولاموا الامبراطور
نابوليون وهكذا تمكن أعداء الامبراطور وأعداء الراحة من اغتنام فرصة مناسبة لهم
في زمان أمست فيه الامة في خطر ميين وفي احتياج شديد الى الاتحاد في مساعدة



المسيو تيريس

هو أول رئيس للجمهورية الفرنسية بعد سقوط الامبراطورية الثالثة ولد سنة ١٧٩٧ وانتخب رئيساً للجمهورية في ٣٠ آب (أغسطس) سنة ١٨٧١ وتنازل عنها في ٣٠ كانون الثاني (يناير) سنة ١٨٧٣ وتوفي سنة ١٨٧٧



الجنرال باليكو

الحكومة وهكذا كانوا يزيدون ارتباطا كات البلاد وويلاتها ويسمفون الأعداء بطلب اسقاط الدولة السائدة ومحاولة اقامة جمهورية وذلك بواسطة الشروع في حرب أهلية عند ما كان العدو يقترب من عاصمتهم .

﴿ سقوط الامبراطورية واقامة الجمهورية الفرنسية ﴾

وفي يوم الاحد الواقع في ٤ ايلول (سبتمبر) اجتمع المجلس القضائي لبحث في حالة البلاد بالنظر الى ويلات سيدان المحزنة غير ان اجتماعه كان ليزيد ارتباطا البلاد فان الجنرال باليكا طلب الى المجلس أن يقيم حكومة أعضاؤها خمسة رجال ينتخبهم ذلك المجلس وان يصير انتخابه رئيساً لهذه الحكومة . أما موسيوجول فافر فطلب أن يصير اسقاط حكومة نيابة الامبراطور وان يقام رئيساً للحكومة الجنرال تروشو . أما الموسيو تيرس فطلب ان يقام مجلس ليسوس البلاد ويدافع عن الوطن ويقيم مجلساً لتنظيم عندما تنخلص الحكومة من الارتباكات الجارية فصادق الجنرال باليكا على ما طلبه موسيوتيرس غير انه لم يقر قرار المجلس على شيء فانفض بدون نظام ولم يجتمع بعد ذلك اجتماعاً منظماً . أما وزراء الدولة الامبراطورية فاصدروا اعلانات وغلقوها على جدران المدينة وما لها انه قد لحق بالبلاد ويل عظيم فانه التزمه ٤٠ ألف جندي فرنساوي أن يسلموا بعد أن قاتلوا ثلثمائة ألف من الأعداء ثلاثة أيام قتال الابطال الأشداء وان المرشاه مكماهون جرح جرحاً بليغاً وان الجنرال ويعفن قرر معاهدة تسليم وما يأتي هو ختام الاعلان المذكور : ان باريز قد باتت في حالة الحصار وقد صار الشروع في تنظيم قوات البلاد الحربية وبعد أيام قليلة سيجتمع جيش في ظاهر أسوار باريز وقد صار الشروع في جمع جيش آخر عند شطوط نهر اللوار ولا ريب في ان خلاص فرنسا متوقف على حبكم لوطنكم ونشاطكم واتحادكم . أما الامبراطور فقد بات أسيراً غير ان الحكومة متحدة مع أولياء الامور وشارعة في اتخاذ كل الوسائل التي تقتضيها الحوادث الجارية المهمة . انتهى ولم ينتبه الاهالي حق الانتباه الى هذا الاعلان غير أن باريز كانت في سكونية

غير اعتيادية وهذه هي كالكسكون الذي يسبق غالباً الانواء . هذا ولا يخفى ان يوم الاحد هو يوم سرور وحظ عند الفرنسيين وفي أول اليوم المذكور لم يخرج الى الاسواق غير قليلين من الاهالي وكانت كل الحوانيت مقفلة غير ان هذه الحال تغيرت دفعة واحدة فانه قبل الظهر بزمان قصير سارت فرقة كثيرة العدد من جنود الحرس الوطني في بولفار مونمارترو معها جماهير كثيرة من الاهالي من جميع الاصناف وكانت جنود هذه الفرقة متقلدة سلاحها الكامل وكان يظهر للحاضرين ان الضباط والجنود كانوا يسرون مسير من كان ذا عزم ثابت وكانوا يسرون صامتين غير ان الاهالي الذين كانوا معهم كانوا يصرخون قائلين فلنخلع الاباطورية فلنخلع الاباطورية فلهش فرنسا فلهش الجمهورية وكان أولئك الجنود يسرون بأمر الجنرال ترشوليهما حول مجلس النواب غير انهم عند ما وصلوا الى بلاس دولا كونسكورد صدر الأمر بان يقفوا ويمتنعوا عن قطع الجسر والذي أمرهم بان يقفوا هو قائد فرقة من الحراس الفرسان وهكذا كان يظهر انه سينشب القتال بينهما وأمر قائد الفرسان جنوده أن يجردوا أسلحتهم فجردوها فعند ذلك صرخ الحراس الوطنيون قائلين هاهما تتقدم غير انه بعد ذلك تخبر القائدان وارجع الفرسان سيوفهم الى اغمدتها وقطعت فرقة الحرس الوطني الجسر وهي تصرخ قائلة فلنخلع الجمهورية وسارت ونزلت بالقرب من مجلس النواب مع فرقة من الجيش المنظم العامل وكان المجلس المذكور مجتمعاً . وكان في حديقة قصر التويلري وهو القصر الملوكي فرقة صغيرة من الجيش العامل المنظم وكانت تقوم بحراسة القصر المذكور وظن القوم ان المهاجمين من عامة الاهالي سيدخلون القصر المذكور ويهاجمون الفرقة المذكورة علي ان جندياً من جيش الزواف كان يطرب الجمهور برقص رقصة اسمها عندهم كان كان وهكذا امتنعوا عن الدخول . هذا وكان جمهور العامة محافظاً على الراحة وكان محظوظاً ومكتفياً بان يصرخ قائلاً فلنخلع الجمهورية اخلعوا الاباطور وبان يرقص رقصة الكان كان ويغني اغاني ثورات ويجلس تحت

الاشجار ويضع من أوراقها في برنيطانه وكان كثيرون من النساء الممدوحات السيرة والاولاد يسبرون في وسط هذا الجمهور بلا خوف ومن هؤلاء القوم من نشر رايات حمراء على اعمدة المصاييح والتماثيل وألزم بعض ضابطي باريز المتساحين أن يسلموا عليها غير أنهم سلموا وهم يقيمون الحججة على القوم . ودامت الحال على هذا المنوال الى الساعة الثالثة بعد الظهر وعند ذلك صار تنزيل الراية المثلثة الالوان من قصر التويلري وهذا يدل على ان الامبراطورة خرجت من قصر التويلري . وقبل ذلك بمدة قصيرة جداً وقع نزاع قليل بين بعض جيش الحرس الوطني وبين بعض الجيش العامل المنظم وصادم الجنود المنظمون الحراس الوطنيين بعض الصدام غير أنهم امتنعوا عن ذلك واتحدوا مع جنود الحرس الوطني وعند ذلك وصل كثيرون من الرجال الى مجلس النواب ومنعوا دوام اقامة المفاوضة في أمر الدفاع عن البلاد الذي صار الشروع فيه قبل ذلك بيوم واحد وصعد الجمهور علي المنبر وجلسوا في مجلس النواب وقالوا باسم الجمهورية ان النواب قد أمسوا معزواين من وظائفهم مع أنهم كانوا قد انتخبوا انتخاباً أصولياً .

ولا يخفي ان هذه من الامور المخلطة جداً التي لا توافق روح الاشغال حتى ان كثيرين من رؤساء حزب الجمهوريين منهم الموسيو كامبتا والموسيو اراكو أقاموا الحججة علي الجمهور ومع ذلك أصر على تنفيذ مقاصده ودق جرس الرئيس وتهديد الاعضاء ثم شرع في ان يغني أغنية المارسيلاز وهي أغنية ثورة ثم قال ذلك الجمهور انه قد انتهت جلسة المجلس المذكور ولولا مبادرة بعض الاعضاء الى الهرب لما تمكنوا من الخروج بدون أن يمزق الجمهور ثيابهم وعند ما خرج كل الاعضاء الذين كانوا يحبون المحافظة على الحالة الحاضرة اجتمع المعارضون وهم المعروفون بحزب اليسار وشرعوا في تقرير أسماء قوم كانوا قد صمموا على أن يقيموا حكومة مؤقتة . فعينوا سبعة أو ثمانية رجال فخرج الجمهور وسار قاصداً الاجتماع عند أوتل دي فيل وقرروا هناك

مرة ثانية أسماء رجال عيّنهم ليتقلدوا زمام الحكومة . وعند ذلك صرخ قوم قائلين انه قد أعلن في الشوارع خلع الامبراطور واقامة الجمهورية فلما سمع الجمهور بذلك ضج بأصوات الفرح وخرج الحراس الوطنيون من مواقعهم بالقرب من مجلس النواب وساروا في دوريفولي وكانت الجيوش النظامية العاملة تنضم اليهم وهم سائرون . وكان يظن الناظر ان الاهالي مشغولون في اقامة الافراح بسبب تمكن الجيوش من الانتصار التام على الاعداء ولو رأهم أجنبي يجهل سبب فرحهم لظن انهم قد فازوا في الحرب وطردها الالمان من فرنسا بعد ان شتوا شملهم وما من أحد من الذين يعرفون الواقع يخطر له ببال ان عساكر الامة التي كانت غائصة في بحار الافراح والسرور كانت منكسرة في سيدان حال كون الوف منهم قتلى وجرحى وأمبراطورها ونحو مائة ألف من جنودها أسرى في بلاد أجنبية . واشتد فرح الاهالي حتى انه كان يعانق بعضهم البعض الآخر في الاسواق ويكون فرحا وكثير من النساء الكريمات كن يوقفن مركباتهن عن المسير يأخذن يد الجنود تنشيطا لهم وتمنّته وشرع القوم في أن يهينوا الدولة الامبراطورية فآخذوا في قلب كل تماثيل العائلة المذكورة وفي طرحها في النهر بالاهانة والاحتقار وحاولوا الدخول الى قصر التويلري لينهبوه على ان حراسه كانوا قد أقفلوا الابواب فرجع القوم عنه . ووقع بينهم خلاف في أوتيل دي فيل على انتخاب راية الجمهورية الجديدة ومنهم من قال ان الراية التي هي ذات ثلاثة ألوان انما هي راية بلا أصل ولذلك يجب أن ترجع الراية القديمة البربونية وهي راية بيضاء فيها زهرة زنبق في الوسط ومنهم من قال ان تلك الراية هي راية مدنسة وبعد مجادلات طويلة قرّروا على المحافظة على الراية التي هي ذات ثلاثة ألوان وهي راية الجمهورية والامبراطورية التي خرجت منهم مرتين . وعند اقامة الحكومة الموقّعة قرّروا باطلاق سبيل المسيو هنري دور شيفور الذي كان مسجوناً وهذا المسيو هو محبوب جداً من العامة وهو محرر جريدة فاطلقوا سبيله وأركبوه مركبة واجتمع الرجال وصاروا يحضرونه بها في الشوارع

بسرور وفرح لا مزيد عليهما وعند ما وصل الى أوتيل دي فيل قبل على مرابي من الجمهور المسيو راسيل أحد محرري جريدته ودام الجمهور يسير بها على تلك الحال في أكبر شوارع المدينة الى أن خيم الظلام فعند ذلك أخذ القوم يحملون مصابيح مشتعلة وذلك ليرمزوا الى الجريدة التي كان يحررها ذلك المسيو وكان اسمها لاانترن أي المصباح . ودامت هذه الافراح تلك الليلة الخريفية البهجة بطولها وكان القوم يجلسون ويشربون المسكرات ويدخنون ويتكلمون بفرح ويفنون ويضحكون فرحين بسقوط الدولة الامبراطورية وناسين كسر الجيوش الفرنسية وفوز البروسيين .

وعند ذلك اجتمع المجلس العالي وأقام الحجة على اعمال الاهالي وقال بعض الاعضاء ان أعضاء المجلس القضائي خالفوا يمين الامانة للامبراطورية بواسطة خلعه ثم صرخ المجلس المذكور قائلاً فليعش الامبراطور وقرر الغاء قرار المجلس القضائي لجهة خلع الامبراطور ثم انصرف المجلس العالي ولم يجتمع بعد ذلك وفي اليوم الثاني اجتمع المجلس القضائي اجتماعاً مخصوصاً وكان الموسيو تيرس قائم مقام الرئيس فقرر أن يصير نشر الاعلان الآتية ترجمته .

يا أيها الفرنسيون . ان الاهالي قد أبطأوا سلطة مجلس لم يبادر الى أن يخلص البلاد وهي في خطر وقد طالبوا جمهورية والجمهورية هي التي دفعت المهاجمين سنة ١٧٩٢ ولذلك قد تقررتمت الثورة باسم المحافظة على الحقوق والراحة العمومية . يا أيها الاهالي احرسوا البلاد المسلة اليكم وفي الغد ستقومون أنتم والجيش بحق أخذناار البلاد انتهى .

وامضي هذا الاعلان أعضاء الحكومة الجديدة الموقته وهم الجنرال تروشو الرئيس وله سلطان تام للقيام بحق الدفاع . وموسيو جول فافر وزير الخارجية وموسيو كامبتا وزير الداخلية ومعهم تسعة رجال أقل شهرة منهم . أما موسيو جول فافر فكان رئيس حزب الجمهورية في المجلس القضائي مدة طويلة ولئن كان القوم لا يظنون أنه متقدم تقدما

كافياً في مبادئه ليكون رئيس الجمهورية وكانت مهنته مهنة قانونية فانه كان من علماء
النظامات والقوانين وكان من الذين قلبوا الملك لويس فيليب عن عرش فرنسا سنة
١٨٣٠ وأنشأوا الجمهورية سنة ١٨٤٨ ومما جعله ذا تقدم عند المضادين للامبراطور
هو اتقانه المحاماة عن الكونت أورزيني عندما أقيمت محاكمته لانه حاول قتل
الامبراطور وصار قتل هذا الكونت قصاصاً سنة ١٨٥٨ وهذا هو الذي جعله ذا شهرة
وهو خطيب بليغ غير أنه ليس من رجال السياسة المشهورين بالحدق . أما موسيو كامبتا
فهو أصغر رجال تلك الحكومة ومع ذلك المظنون أنه أحذقهم وهو من أهل المعارف
القانونية والنظامية ومن أهل الغيرة والحماسة . وبما أن الباقيين لم يشتهروا وكانت دولتهم
قصيرة لا يقتضي أن نذكرهم . وصارت اقامة عمدة الدفاع عن الوطن وكان موسيو
هنري دوروسفور من أعضائها ومن واجباته تنظيم حواجز باريز اذا تمكن البروسيانون
من أن يجوزوا الحصون والقلاع ويصلوا الى المدينة وبما أن القوم كانوا مصممين على
أن يدافعوا عن المدينة الى أن يقتل كل الرجال الباريزيين لم يصبر الا تباه الى القيام
بأمورية موسيو روشفور المذكور قياماً يمكنه من اظهار حذقه ومحبته لوطنه .

وبعد ذلك قرر الوزراء فض المجلس القضائي والغاء رئاسة مجالس الشورى والمجلس
العالي وقرروا أنه يسوغ لكل من أراد أن يعمل الاسلحة أن يعملها وعين موسيو
أسين راكو حاكماً لباريز ومعه موسيو فلوكي وموسيو برسون وعين موسيو كيراتري
رئيساً للضابطين . وقررت هذه الوزارة العفو عن جميع الجرائم السياسية فرجع كثيرون
من المنفيين من مشاهير الرجال من أشهرهم موسيو فيكتور هيكو الشاعر العظيم وكاتب
الروايات المشهور وموسيو لدور رولن وليوس بلان وأتوا باريز بعد أن كانوا عائشين
في المنفى مدة طويلة فانهم كانوا يحبون أن يشتركوا في هذه الاعمال الجديدة . وأقاموا
ولاية وحكاماً في الولايات والمدن غير الولاية والحكم الاولين وصار ابطال وظيفة
حراس المدن بدون اقامة من يقوم مقامهم من الضابطين وسموا شوارع المدينة باسماء



المسيو كامبينا

جديدة فانهم كانوا يطلون كل اسم يذكر الاهالي بالامبراطورية أو بالامبراطورين . هذا ولا يخفى ان الامبراطورة أوجيني أمست في مركز مضطرب في وسط الافرح التي أقيمت عند سقوط الامبراطورية . وفي يوم الاحد باكرًا في الصباح قال موسيو دولسبس الذي فتح خليج السويس ان الاوفق لها ان تستعفى بالنيابة عن الامبراطور غير ان الوزراء قالوا انه لا يحق للامبراطورة أن تنوب عن الامبراطور في ذلك وأن هذا الاستعفاء بلا فائدة وثبتت الامبراطورة المنكودة الحظ في سياسة البلاد ثباتا مدموحا في تلك الظروف الصعبة الى أن أمست وحدها فان أكثر مشيريهما كانوا قد تركوها وعند ذلك خرجت من قصر التويلري ماشية ومعها رجال قليلون غير أنها انفصلت عنهم بازدهام القوم في الشارع الذي مرت فيه وعند ما كانت مارة في وسط القوم عرفها ولد واحد فقط وقال هوذا الامبراطورة فلما سمع ذلك الجمهور قال هيا بها الى الكيلوتين وهي آلة الذبح . غير انها كانت من أهل الشجاعة فلم تضعف عن أمها ولم يظهر عليها شيء من لوائح الخوف فدخلت محلا أكثر فيه الازدهام وغابت عن أعين الذين عرفوها وتمكنت من الوصول بسلامة الى بيت صديق من أصدقائها وتخبأت مدة قصيرة هناك وقال لها أصدقاؤها ان الاوفق أن تغلق عن الذهاب الى محطة المركبات البخارية لانه لا ريب في أن القوم يعرفونها وأخيراً خرجت من باريز في مركبة بضاعة خصوصية وذهبت الى كاين وبقيت فيها ثلاثة أيام وليلتين وعندما خرجت منها سارت الى أن وصلت الى تروفييل وركبت باخرة السيرجون برجون . وأما هذا السير فقبلها بسرور لا مزيد عليه في سفينته .

أما أهالي فرنسا ففسروا باقامة الجمهورية فان أهالي الولايات رأوا انه لا سبيل لهم الى التمتع عن قبولها . وعند ذلك شرع موسيوجول فافر في أن يطلب الى دول أوربا أن تعترف بالحكومة الجديدة وقال ان الامبراطورية وقعت من جرى ثقل حمل أغلاطها وان ذلك تم بدون سفك نقطة واحدة من الدم وبدون سلب حرية رجل

واحد وأنه لم يصّر تكدير الراحة دقيقة واحدة وأن أهالي فرنسا الذين تمكنوا من النجاة من سياسة حكومة تبرهن على أنها أهملت كل واجباتها يهتمون بأمرين وهما الحصول على القوة باحترام الحقوق وإخراج الأجانب المحاربين من الأراضي الفرنسية وإن الجيش أظهر من النشاط والشجاعة ما لا مزيد عليه غير أنه بات ضحية عدم أهلية قائده الأول وما يأتي هو ما قاله موسيوجول فافر عن ملك بروسيا وهو أن ملك بروسيا قد قال أنه يحارب الدولة الامبراطورية ولا يحارب فرنسا فقد سقطت هذه الدولة ولذلك قد أنهضت فرنسا نفسها حرة فهل يرغب ملك بروسيا أن يداوم القيام بحرب شريرة تضربه كما تضربنا اذا لم نقل غير ذلك وهل يرغب أن يمكن عالم القرن التاسع عشر من أن يرى أمتين تهلك احدهما الاخرى حال كونهما تنسيان حقوق الانسانية والتعقل والمعارف وتجران قتيلا فوق قتيلا وويلاً فوق ويل • فإن كان يرتضي أن يأخذ على نفسه مسؤولية ذلك وتهديدنا فنحن نقبل تهديداته ونقابلهما بحد السيف ونقول اننا لا نسلم باعطاء فتر واحد من بلادنا ولا باعطاء حجر واحد من حصوننا فإن عقد صلح معيب انما يشير الى حرب قريبة الى الفناء أما نحن فنحب أن نعقد صلحاً دائماً فإن صوالحنا هي صوالح أوروبا والمظنون ان دول أوروبا تقبل ما قد قررناه من أفكارنا بهذا الخصوص واذا أمسينا وحدنا لانخضع فإن جيشنا شديد العزم وقلاعنا فيها مهمات وزاد كثير وفضلاً عن ذلك جميعه قد صمم ثمانئة ألف مقاتل أن يعرضوا صدورهم ل نار العدو الى أن يفنوا عن آخرهم انتهى •

فكذلك خاطب موسيوجول فافر دول أوروبا ولم ترد أجوبتهم حالاً • ونشرت الحكومة الجديدة اعلانات على الجيش والولاة مآلها يقارب مآل التحرير الذي بعث به موسيوجول فافر الى دول أوروبا • وبادرت الدائرة الفرنسية من جمعية الفعلة العمومية الى نشر اعلان على الالمان مآله أنه لما كانت الامبراطورية قد سقطت كان لا بد من أن يدعواهم ليلقوا عنهم أسلحتهم وينضموا كاخوة الى الشعب الفرنسي وهذا



المسيو جول فافر

الاعلان ان الامة الفرنسية هي أخت كل الامم الحرة و متحدة معها وانه لا دخل لها في
أحوال غير أمم وانه عند ما يعبر الالمان الرين الى جهة المانيا تمد يديها لمصافحة الالمان
وتنسى الذنوب التي جعلها الملوك الظالمون ترتكبها الى أن قال فيه : ومن واجباتنا أن
نعلم حرية الامم والمساواة بينهم وأخويتهم وان نجعل دول أوروبا دولة واحدة اسمها
الدول المتحدة الاوربية ونصرخ قائلين فلتعش الجمهورية العمومية

وعند ما رجع موسيو فيكتور هيغو كاتب الروايات والشاعر المشهور من منفاه
استحسن أن ينشر اعلاناً تحت اسمه فنشره وقال فيه ان الجمهورية قد اقيمت وانه
قام بحق كلامه الى ان قال كلاماً مصدره الغلو الذي لولاه لكادت تكون كتاباته
بلا عيب : ان تخليص باريز انما هو عبارة عن أكثر من تخليص فرنسا فانه تخليص العالم
لان باريز انما هي عاصمة التمدن ومركز الانسانية ومدينة كهذه المدينة لا تسمى مفتوحة
بحرب وحشية . وكذلك أتى غاريالدى في فرنسا وقال للفرنساويين الجمهوريين انهم
مقدمة الذين يقبلون ظلم الممالك . وحرصهم على أن يحموا من الكدر الحكومة التي بادروا
الى اقامتها بعد ان كانت ساقطة .

وفي ٨ ايلول (سبتمبر) بعد قيام الجمهورية الفرنسية بثمانية أيام عرفت اذ دولة امريكا
وايطاليا واسبانيا وسويسرا وبورغال اما انكلترا فتمنعت عن ذلك منعاً كدرا صاحب
الصناعة والمفلة في انكلترا وقد قال مستر غلادستون وزير انكلترا الاول بهذا
الخصوص انه لا يجب أن نعترف باقامة الجمهورية الفرنسية الا بعد أن تقرها الامة
الفرنساوية بالا انتخاب العمومي . وبعد الانتهاء من نشر كتابات التباهي بقيام الحكومة
الجمهورية في فرنسا ونشر الاعلانات بهذا الشأن شرعت الحكومة الفرنسية الموقفة
في القيام بالاعمال اللازمة قياماً مستنداً الى الاجتهاد والسكند . وفي ٥ ايلول (سبتمبر) اقام
الجنرال تروشو في قصر التويلري الذي كانت قد أخلته الامبراطورية الفرنسية وصارت
المبادرة الى ارسال عمدة من قبل الحكومة المذكورة الى مدينة طور لتقوم بالاعمال

اللازمة اذا أمست باريز محصورة وباتت الحكومة المقيمة فيها غير قادرة على ادارة الاعمال في خارجها .

وعند ما عرف امراء فرنسا المنفيون في انكلترا منذ مدة طويلة بان الدولة الامبراطورية قد سقطت بادروا الى المجيء الى باريز وطلبوا ان ينتظموا في سلك خدمة البلاد ليتمكنوا من الذب عن وطنهم ودفع الفاتحين ولو كانت الخدمة التي يمكنهم ان يحصلوا عليها من أدنى الخدمات وهؤلاء الامراء هم الدوق دومال والدوق دوشارتر والبرنس دوجوانفيل وهم من العائلة البوربونيه الاورليانية التي ملكت في فرنسا مدة غير ان الحكومة الفرنسية كانت تعتقد ان وجودهم في باريز يكدر الجمهوريين ويحملهم على أن لا يركنوا اليها ولذلك طلبت اليهم باعتبار ان يخرجوا من المدينة فخرجوا بدون تردد وأتوا كالس وأقاموا فيها اقامة مؤقتة .

ولما سمع الجمهوريون في مدينة ليون وتولوز ومرسيليا انه قد صارت اقامة الحكومة الجمهورية في باريز فرحوا فرحاً متجاوزاً حدود الاعتدال . وعند ما سمع اهالي مرسيليا بويلات سيدان اجتمع قوم من عامتهم وهجموا على قاعة المالية البلدية وقطعوا رأس تمثال الامبراطور نابوليون ودحرجوه في الشوارع وهم يدوسونه بارجلهم وطرحوا النسر وهو علامة الدولة الامبراطورية في البحر وكسروا كل العلامات الامبراطورية التي كانوا يصادفونها .

وفي ٨ ايلول (سبتمبر) تحقق الجنرال تروشوانه لا بد من أن يأتي الالمانيون باريز فامر ولاية الولايات المجاورة لباريز أن يبادروا الى انشاء التنظيمات اللازمة للدفاع . ودخل الخوف قلوب كثيرين من أهالي فرنسا ولذلك هرب كثيرون منهم الى بلجيكيا وانكلترا و بقيت مراكز الطرق الحديدية في باريز أياماً كثيرة محلاً لازدحام اقدام الطالين الفرار ولا متعتهم اما الذين هربوا فهم الجبناء الذين لا يحبون وطنهم محبة صحيحة . واجتهدت الحكومة المؤقتة كل الاجتهاد في جمع كل ما تقدر أن تجمع من الزاد وحيوانات الذبح

داخل باريز خوفاً من الاحتياج الى ذلك في مدة اقامة الحصار فلأت غابة بولون وهي من الاماكن الجميلة المعينة للتنزه في باريز بالمواشي التي خربت كل حواجزها وأكلت مزروعاتها والنباتات الكثيرة الجميلة الموجودة فيها لان الحصول على مايقوم باود القوم عند ماينحصرون هواهم كثيراً من المحافظة على جمال ذلك المكان البهيج وبعد ذلك بمدة قصيرة قطعت أشجاره وبان ذلك المكان الذي كان جميلاً جداً كانه قفر جذب .

وهكذا انفتحت أبواب جديدة للحرب لان الالمان تمنعوا عن عقد الصلح فانه كان قد قال البرنس بسمارك الذي لايجب الجمهوريات ولم يكن يعتقد بان الذين تقلدوا سياسة فرنسا كانوا أهلاً لذلك :انه مصمم على أن يأخذ من فرنسا ولاية الالزاس وولاية اللورين فانهما كانتا ولايتين المائيتين ودخلتا في يد الفرنسيين بالفتح قبل ذلك بنحو مائتي سنة وان الالمان لم يرغبوا في الحصول على الولايتين المذكورتين لانهم كانوا راعبين في توسيع املاكهم ولكن لانه كان من اللازم تقوية الالمان عند حدودهم واضعاف الفرنسيين في المكان المذكور واجتمع البرنس المذكور بمراسل من مراسلي الجرئد وقال له انه من الموافق ان نجعل الالزاس واللورين مملكة مستقلة واقعة بين لكزيمبورج الى سويسرا وهذا يمكننا ان نحصى كل الحدود الشرقية من فرنسا ولكن من ياتري يكفل قيام هذه المملكة على الحياد فان الالهالي يرغبون على الدوام ان ينضموا الى فرنسا لانها المملكة التي كانوا منضمين اليها منذ زمان طويل اما نحن فلا بد من أن نحصن بلادنا لنحميها من مهاجمات الفرنسيين . ومادامت ستراسبرج في يدها نكون نحن هدفاً لتعدياتها فانه ليس لنا قلاع في البلاد الواقعة بين الحدود وبين قلعة إلم المختصة بنا ولذلك اذا انتصرنا لا بد من أن نأخذ ستراسبرج وميتس ومنجمل ستراسبرج قلعة للدفاع كما جعلت انكلترا قلعة جبل طارق لها وسيتذكر الفرنسيون هذا عند ما نأخذ قلعتين من أحسن قلاعهم ولكن لما كان مؤكداً انهم

لايسامحونا بعد ان كسرهاهم ذلك الكسر الشديد كان لابد من أن نجتهد في الحصول علي الضمانات المادية التي تخميننا من تعدياتهم في المستقبل .

و بعد ذلك اجتمع البرنس بسمارك بمكاتب جريدة المستاندارد الانكليزية وقال له في أثناء الحديث اننا لانحب أن نزيد بلادنا لمجرد الحصول علي الزيادة فان وجود قوم يتكلمون اللغة الفرنسية (معناه أصحاب ميل فرنساوي) بين رعايا المانيا هو من الامور المتعبة والمكروهة علي ان هذه الحرب هي تنمة الخس والعشرين حرباً التي فتحتها فرنسا علي المانيا في مائة سنة . اما الآن فما ان الله قد ساعدنا في عملنا ومكنتنا من شفاء مرض الانشقاق الذي كان يضعفنا تمكنا من أن نذلها أشد الذل ويفلظ كل من يؤمل بان يمحمد غضبها ويرضيها .

و بعد ان نجح الالمان ذلك النجاح العجيب في سيدان بادروا بنشاطهم الاعتيادي وسرعتهم الشديدة الي القيام بمقتضيات الحال وسارت طليعة الجيش الذي كان في ظاهرا قلعة المسامة في ٣ ايلول (سبتمبر) قاصدة باريز و بعد ذلك بايام قليلة تبعها فرق من الجيش الثالث والرابع تاركين وراءهم قلعة ستراسبرج وميتس وتيونفيل ومنيار ولونكفي ومونيمدي وفردون وتول وسواسون . وسار ولي عهد ملك بروسيا في جيشه في وادي المارن وولي عهد ملك ساكسونيا في مونميرل وشارن و بري كونت روبر وقطع الجيش الثالث والرابع الطريق أي كل منهما قطع طريقا واحدة الي جهة مخالفة في ريمز وفي ٥ ايلول (سبتمبر) نزل المنصورون في عاصمة ولاية شامبين الجميلة .

وفي ذلك اليوم بعد الظهر يهرهه قصيرة دخل أربعة فرسان بروسيايون المدينة المذكورة ووقفوا امام حانوت رجل يبيع مأكولات وطلبوا شيئا من الخبز فاعطاهم اياه صاحب الحانوت وقبض الثمن .

وكان جندي فرنساوي واقفا فطرح نفسه علي الجندي البروسياني من هؤلاء الجنود وحلف بأنه لايسمح له أن يأكل ما اشترى فضرب الجندي الفرنسي بطرف

غدارته واسكن لما رأى أنه لم يتركه أطلق عليه الرصاص وجرحه وعند ذلك خرج الجنود راكضين وشرع قتي يطلق عليهم الرصاص . وبعد الظهر ثلاث ساعات رجعوا مع فرقهم فخرج حاكم المدينة واستقبلها وسامهم المدينة تسليماً رسمياً . وبعد ذلك بمدة قصيرة وصل قلب الجيش الألماني وكان عدده خمسة وعشرين ألف رجل وكان ملك بروسيا يسير في مقدمتهم . أما رمز فكانت غير قادرة أن تدفع هجوم جيش فاتح ولذلك دخلها الألمان وجعلوها نهاية المرحلة الأولى من مسيرهم إلى باريز وبعد أن ارتاحوا برهة ساروا قاصدين باريز بدون أن يصادفوا مصادمة تستحق الذكر غير أن الفرنسيين كانوا يهدمون الجسور والألمانيون كانوا يقيمون ما يقطعون الأنهر عليه بدون صعوبة . وفي ١٠ أيلول (سبتمبر) وصل الألمان إلى كرسبي وكومبيان وهما بلدتان من ولاية اللوار التي تبعد عن باريز نحو ثلاثين ميلاً إلى الجهة الشرقية الشمالية وفي ١٩ من الشهر المذكور حصر الألمان باريز حصراً كاملاً وفي اليوم الثاني نزل ولي عهد ملك بروسيا هو وأركان حربه في مدينة فرساليا وكان معه الجيش الثالث وكان نزوله فيها بعد أن أسر ألفي جندي من جنود الحرس المتنقل الذين كانوا يحرسون المدينة . وعقد الألمان وأولياء أمور المحل المذكور الشروط الآتية وهي . أولاً أن لا يصير تعد على الأشخاص والأموال والامتنعة ولا إلحاق ضرر بالأعمال الصناعية الموجودة في ذلك المكان . ثانياً أن ينزل الجنود الألمان في منازل العساكر أما الأهالي فلزمون أن يفرغوا محلات للضباط وللجنود الذين لا يجدون محلاً كافياً في منازل العساكر ثالثاً أن يصير السماح للجنود المحليين وهم من غير الجيش العامل أن يتقلدوا أسلحتهم ولمنفعة جميع الذين في المدينة صار تركهم يضبطوها . رابعاً أن لا يطلب الألمان من الأهالي أن يدفعوا لهم أموالاً وأنهم من واجبات المدينة أن تقدم كل ما يلزم للألمان لسد احتياجات الجنود الألمانية التي تقيم في المكان المذكور والتي تمر به وذلك بالأسعار الاعتيادية

وفي ١٧ و ١٨ و ١٩ ايلول (سبتمبر) المذكور انتشب قتال شديد بين الالمان وبين جيش الجنرال دكر والذي كان نازلاً في تلال حول جيوف في الجهة الجنوبية من باريز وكان ممتداً قليلاً الى الجهة الغربية ومع ان الفرنسيين كانوا قد أوقفوا اضراراً كثيرة باعدائهم بالقتل التزموا في نهاية الامر ان يتقهقروا . اما بعض الحيوش الفرنسية وعلى الخصوص جنود الحرس المتنقل فاقاموا للقتال في المواقع المذكورة كالأبطال وثبتوا في مواقعهم ثباتاً عجيباً غير ان الفرقة الاولى من الزواف طلبت الفرار بدون ترتيب وذلك قبل ان تطلق بنادقها اطلاقاً يسوغ أن يدعي اطلاق بنادق فرقة منظمة ودخلت باريز وفرائضها ترتعد خوفاً وأهالى باريز يسخرون بها ويوبخونها وصار القاء القبض على كثيرين من جنود هذه الفرقة الجبناء وصار قتلهم تأديباً لغيرهم من الذين ربما كانوا يهربون مثلهم . فقللت هذه الكسرة جسارة أهالى باريز ولكنه لم يطل ذلك فانهم تشددوا وجدوا في سبيل القيام بما يلزم فانهم كانوا يؤملون أنهم سيتمكنون من قهر العدو بواسطة الثبات والبسالة وكان الفرنسيون قد خربوا كل الاماكن المجاورة للمدينة لكي لا يجد الالمان محلات تقيمهم من البرد فخرّبوا كل الاماكن والمنازل والابنية الواقعة بين باب نولي وبين باب ترن خلا الكنيسة المبنية ذكرى للدوق دورليان أكبر أولاد لويس فيليب المذكور وأحرقوا الاحراش وجنات التنزه الواقعة بالقرب من المدينة ولم يمتنعوا عن احراق وهدم كل شئ كانوا يظنون ان هدمه واحرقه يضر بالالمان ولو كان ثميناً وجميلاً جداً . وقد كتب مكاتب إحدى الجرائد الانكليزية بهذا الشأن ما يأتي وهو اني وقفت على سطح البيت الذي أنا فيه فرأيت احراش ميسونس ومونمورتي وسان بري وسان كراسيون تحترق ومع ان الهواء يهب من الشرق والمطر يهطل غزيراً نشم رائحة النار المذكورة ونحن بعيدون عنها مسافة أميال كثيرة حتي اننا نكاد نختنق من رائحتها وقد رأينا بواسطة النظارة المكبرة بيوتاً كثيرة ومنازل جميلة صيفية تحترق بالنار التي تصل اليها وقد استخدم القوم الزيت

الامريكانى المعدني والقطران ليمكنوا من احراق الاشجار المبلولة بماء المطر * أما أهالي بوندي فأوا حرشهم وهو في حالة مخيفة جدا فان الاشجار كانت ناشفة ولذلك فعل فيها بسرعة الزيت المعدني والقطران واضطربت النار اضطرابا مخيفاً وتكاثف الدخان في أقل من نصف ساعة واجتمع بعضه الى البعض الآخر حتي أنه صار عموداً أسود وأحمر يحيطه أميال كثيرة وهو كأنه ينطح السماء في وسط ليل مخيف *

وامتدت النار فوق الحفر التي حفرت بسرعة لدفن الذين قتلوا في المعارك التي حدثت في ظاهر المدينة وكانوا قد دفنوا في كل منها ٣ أو ٤ مئة جثة ولم يضعوا فوقها تراباً كثيراً ولذلك انتشرت رائحة جثث الموتى المحترقة الى مسافة أميال كثيرة فانه احترقت مئات منها ولم يبق منها غير رمادها ولو قررنا ما حدث كما سمعناه من الذين عاينوه لاقشعرت أبدان مطالعيه فانه مما لا يحتمل الانسان أن يسمع وصفه بدون انزعاج شديد * ومع ذلك أخذ الفرنسيون يتكلمون عن ذلك ضاحكين بعد أن رأوا مارأوه من قبح منظره ولا عجب فان الفرنسيين طبعاً يقدرون ان يحولوا كل شئ الى مزاح ومع ان الخبر الوارد عن اقتراب الالمان من العاصمة كان يحمل عموم الاهالى على ان يصمموا كل التصميم على الدفاع عن باريز مهما كلفهم الدفاع عنها كان كثيرون من الاهالى يقولون بلا تردد ان الاوفق بعد ما حدث ما قد حدث عقد الصالح وقد بينت الحوادث التي جرت بعد ذلك انهم كانوا مصيبين لانه ربما كانت فرنسا قررت مع الالمان شروطاً أوفق لها من الشروط التي قررت لها لانه لا يمكنها أن تقرر شروطاً ابدأ من تلك الشروط على ان الاكثرية كانت تطلب الحرب ولم يشتغل الاهالى الا في الكاذم عن تصميم الباريزيين على طرد الالمان ليس فقط من باريز ولكن من كل فرنسا وشرع فيكتور هيكو المشهور بكتابة الروايات ونظم الشعر في أن يكتب كتابات مهيجة جدا ليبيع الفرنسيين وعلى الخصوص الباريزيين للدفاع عن وطنهم والذب عن ذمارهم وليحرك غير الالمان الانكليزية التي

كانت محافظة على الحياد التام حال كون جارتها فرنسا كانت قد باتت في ما باتت فيه واشترك كثيرون غيره من الكتاب في كتابة كتابات مهيجة وما يأتي هو ترجمة خطاب من خطب موسيو فيكتور هيكو المذكور المهيجة وهو منقول عن الترجمة التي قد نشرتها جريدة اللجنة في عدد ٣٠ سنة ١٨٧٠ للميلاد .

ان موسيو هيكو يطلب الى الفرنسيين ان يدفعوا مهاجمات اتهم بها سياسة لا بد لهم فيها . وقال انه من واجبات كل الامم ان تدافع عن باريز ليس لقيام صالح باريز فقط ولكن لقيام صالح العالم قاطبة . وقال بعد ان طلب الى جميع الاهلين ان يتقلدوا الاسلحة التي يمكنهم ان يتقلدوها وأن يدفعوا المهاجمين بالنوع الذي يقدر ان يدفعوا به . فليفعل كل رجل كما فعل كاميل دسمولنز وكل امرأة كما فعلت ثرواجن وكل شاب كما فعل بارا افعلوا فعال بونسيونل الاسد الضاري الذي بمساعدة ١٥ رجلا قتل عشرين بروسيانياً وأمسك منهم ٣٠ أسيراً . فلتقتلع شوارع المدينة جيوش الاعداء ولفتح النوافذ مصاريحها بغضب وهيجان . ولتدفع أعالي البيوت ما يمكنها من اللبان ولتطرح المخادع أثامها . ولتأتي غاضبات مسنات النساء ببياض لمها شاهدات على ما قد حدث . فتصرخ القبور صراخ الهيجان . وليكن مؤكداً ان وراء كل سور يوجد سند وهو الامة والله سند الجميع . فلتقذف الارض في كل موضع لهيب النيران وليكن كل نبات كاتون متقد . هلموا وأذيقوهم مرارة الاتعاب . وتسكثروا عليهم امسكوا حراس مهماتهم . واقطعوا جبال آثارهم واهدموا الجسور وخربوا الطرقات وافتحوا حفرا في اراضي فرنسا واملاؤها بمغنيات البشر بحيث تصبح حفرة ويل وهوان للبروسيين . البدار البدار الى اضرام نيران الحرب ليلا ونهاراً نيران حروب الجبال والسهل والاحراش . هلموا هلموا لا هدنة لا راحة لا نوم لنا . فان الظلم قد هاجم الحرية . المانيا قد هاجمت فرنسا .

فليذب ذلك الجيش العرمم كما يذوب الثلج في اراضي فرنسا الحارة . هلموا بدون

أن يتأخر أحد أقسام البلاد عن المبادرة الى القيام بحق واجباته * هيا بها نقيم نزال البلاد الخفيف * أما أنتم أيها المقاتلون الطوعيون الفير المنظمين فاسلكوا في ملتقى الغابات، واعبروا الأنهر واغتمموا فرنس الظلمات والنسق * وامشوا قاطعين الاراضي داين وزاحفين وحكموا توجيه بنادقكم وأطلقوها وانحدوا نيران الهجوم * دافسوا عن فرنسا بشجاعة وبأس وخنو * يا محبي الوطن كونوا برد الويل لا تقفوا الا عند ما تمرون بالقرب من كوخ وقفوا لتقبلوا وجنة طفل نائم * هذا الطفل هو المستقبل * والمستقبل هو الجمهورية * قالنا ولأوربا فلتتظر اليها ان كان لها عين تنظر بها * اذا أرادت أن تأتي اليها فلتأت اننا لا نطلب مساعدة * اذا كانت أوربا خائفة فلتبق اننا مستعمل ما ينفع أوربا وهذا كاف ان كانت تحب أوربا أن لا تخرج من بلادها فلتبق فيها * أما عزم فرنسا اذا اغصبتها المانيا أن تعزم على شيء وهو ان فرنسا تكفي فرنسا وباريز تكفي باريز * ان باريز قد أعطت منذ الابتداء أكثر مما أخذت فان دعت الامم الى مساعدتها فهو لخيرهم وليس لخيرها فيفعلوا مهما أرادوا ان باريز لا توسل الى أحد ان التاريخ يتعجب اذا توسلت باريز مع عظمتها * لا يعني أحد سواك * يا أوربا ان كنت عظيمة أو حقيرة * أيها الالمانيون أحرقوا باريز كما أحرقتم ستراسبرج * فان ذلك يوقد نيران الفيظ أكثر مما يشب نيران البيوت المحترقة انتهى *

فهذا هو الخطاب الذي هيج به موسيو فيكتور هيكو الامة الفرنسية الى القتال وكل من طالعه يرى انه خطاب خال من الترتيب الذي لا تخلو منه الافكار المنظمة والظاهر انه لم يخطر ببال موسيو هيكو ولا بال الذين كانوا يحذون حذوه في تهيج أبناء الامة الذين يقدر ان يقوموا بحق ما كانوا يتدبرونهم الى القيام بحقه كانوا قد باتوا في حالة لا تسمح لهم أن يقاتلوا البروسيين القتال المطلوب بدون أن يهلكوا جوعاً حال كون موسيو هيكو وغيره من الكتاب كانوا قادرين أن يعيشوا في مكان آخر * هذا وما من أحد يقدر أن يذم ما يظهر في تلك الكتابات من محبة الوطن والغيرة الجنسية غير

أن الظاهر أنها غير صادرة عن حاسيات مرتبة لأنها متجاوزة حدود الاعتدال . أما الباريزيون فشرعوا في القيام بأعمالهم الدفاعية بهمة ونشاط حتى ان أوروبا كانت تنظر اليهم مندهشة وكانت تثني على هممتهم ومحبتهم لوطنهم هذا ولا يخفى ان باريز هي من أحصن مدن العالم ولا يلزم أن نطيل الكلام في وصف حصونها غير اننا نقول ان حصنها الاساسي هو ذو خمس زوايا وله ٩٣ حائطاً من تراب وغيره لتحصينها والمسافة الواقعة بين الحواجز من الشمال الى الجنوب هي ١٢ ألفاً و ١٥٠ ذراعاً ونحو خمسة أميال والمسافة الواقعة بين الشرق والغرب هي أكثر من هذه المسافة وان في وسط هذا المكان الواقع بين الحواجز طريق حديدية ممتدة حول المدينة لنقل المدافع والاسلحة والمهمات الى محل الاقتضاء في المكان المذكور . أما عدد المدافع التي في قلاع باريز المنفصلة عن الحصن الاساسي فهو ٩٨٢ مدفعاً منها في قلعة نوجي ٥٥ مدفعاً وفي قسن ١١٧ وفي روزني ٥٦ وفي شارتون ٧٠ وفي رومان فل ٤٩ وفي نوازي لوسك ٥٧ وفي أوبر فليار ٦٦ وفي أفري ٧٠ وفي بيستر ٦٠ وفي سان داس ٧٥ وفي لاروبل كرون ٥٦ وفي لا بر بش ٦١ وفي موز فالريان ٧٠ وفي آسي ٦٤ وفي فانفر ٤٥ وفي مون روج ٤٢ هذا ولما تحقق الباريزيون ان الالمان مصممون على حصرهم زادوا عدد هذه المدافع زيادة كثيرة ولا ريب ان الذين كانوا مشغولين في التاهب للدفاع عن المدينة كانوا يتكبدون ويضعف نشاطهم عندما كانوا يرون ان المدن والقلاع والحصون الشرقية كانت قد سلمت للاعداء بعد دفاع قصير المدة فان باريز كانت تفتح أبوابها حيناً بعد حين لدخول بقايا الجيوش الذين كانت البلاد مستندة الى قوتهم وأخذت في استخدامهم لتعليم الجيوش الجديدة وللمساعدة في القيام بالأعمال الحربية غير ان اختلاط البقايا المذكورة بالجيوش لم يشجعها ولا نفعها ولكنه أضر بها لأنها كانت تقص عليهم أخبار الولايات التي صادفوها والمشقات التي احتملوها الى غير ذلك مما يخاف منه الجندي . ومع ذلك لم يظهر ان أهالي باريز كانوا يخافون مهاجمات الالمان لمدينتهم ولما كانت

باريز مشغلة بالتحصين والتأهب أرسلت الحكومة الموقرة الفرنسية موسيو تييرس الى دول أوربا العظيمة ليجمعها تميل الى فرنسا ميلا ينفعها فاتي لوندرة قبل ان آتي غيرها وفي ١٣ ايلول (سبتمبر) اجتمع باللورد كرانفيل فقال له موسيو تييرس انه لم يأت ليطلب الى الدول العظيمة المحافظة على الحياد ان تتدخل مداخلته مستندة الى القوة ولكن ليطلب اليها ان تفرغ قوتها الادبية في سبيل عقد الصلح وقال ان انكلترا عاملة على المحافظة على سياسة التنجي وان هذه السياسة لا توافقها لانها تجعلها تخسر المركز الذي هو لها وهو مركز دولة أولية وانه ولئن كانت انكلترا جزيرة ودولتها دولة بحرية لاتقدر ان تقول انها ليست من دول اوربا وانما بينت في الزمان الماضي اجتهادها في المحافظة على ميزانية اوربا وأظهرت اقتدارها العظيم على اقامة تبعتها في ممالك الخارجة وعلى استخدام قوة كثيرة بحرية وانما لاترغب ان تري فرنسا ذليلة وضعيفة بعد ان كانت حليفها أربعين سنة وحاربت معها في القرم وتمنعت عن ان تنفع من الثورة في الهند . وانه لا يوافق انكلترا ان يصير عقد صلح يأتي فرنسا بالذل والهوان والضعف فتبيت لاتقدر ان تسعفها . وقال في ختام كلامه انه اذا بادرت انكلترا الى أن تتدخل مداخلته أدبية تبادر بقية الدول المحافظة على الحياد الى أن تمدو حذوها وان بروسيا لاتقدر ان تمنع عن الاصغاء لمداخلات أدبية عمومية كهذه المداخلات المبينة على مراعاة حقوق الانسانية والمحافظة على ميزانية القوة في اوربا .

فاجاب اللورد كرانفيل مسيو تييرس قائلا ان انكلترا قد افرغت جبهدها للمحافظة على السلام وانما تجاوزت حدود حقوقها بالالاحاح على اسبانيا بان تقمع عن انتخاب ملكها غير ان الحكومة الفرنسية لم ترض بذلك ولكنها قطعت النظر عن مداخلات انكلترا وأشهرت الحرب ولذلك قررت انكلترا في المجلس العالي انها مصممة على الحياد التام وعلى المحافظة على صداقة فرنسا والمانيا وانما كانت قد اخبرت المتحاربين منذ ابتداء الحرب انها مصممة على عدم المداخله الى أن تتحقق بان

مداخلتها ستكون مقبولة عند الفريقين وانه في ذلك الوقت لم تر ما يحملها على الاعتقاد بان وقت المداخلة اعقد الصلح قد دنا .

وفي ١٨ ايلول (سبتمبر) خرج ميسير تييرس من لندره وسارقاصدا فرنسا بدون أن ينجح في مأموريته على انه قال انه سر بالاستقبال الحسن الذي صادفه عند مستر غلادستون وزير انكلترا الاول وعند اللورد كرانفيل وزير خارجيتها . ثم سارقاصدا فيينا عاصمة امبراطورية النمسا ومنها سارقاصدا بطرسبرج عاصمة امبراطورية روسيا وصادف في العاصمتين المذكورتين مصادفه في انكلترا فان جواب حكومة النمسا وحكومة روسيا كان كجواب حكومة انكلترا . وهكذا لم تنجح الحكومة الفرنسية الموقفة بحمل الدول العظيمة المتحايدة بواسطة الميسير تييرس على المداخلة لمنع دوام الحرب التي كانت تقول ان الامبراطورية هي التي أقامت الحرب وانه لما كانت الامبراطورية قد سقطت كان من الواجب عقد الصلح . ولا ريب ان انكلترا والنمسا وروسيا كانت تسر جداً لو تمكنت من عقد الصلح وخلصت باريز من الولايات المضرة التي حلت فيها علي ان حكومات الدول المذكورة كانت محقة ان الظروف التي كانت جارية كانت تبين انه لا سبيل الى عقد الصلح في ذلك الوقت لان الامتين المتحاربتين كانتا لا تقبلان بالشروط التي تعرضها الامة الاخرى .

وبعد تسليم سيدان نشر البرنس بسمارك اعلانا عن عزم بروسيا على أخذ ميتس وستراسبرج وما ياتي هو ترجمة مقاله في ذلك الاعلان :

انه قد اجتمعت الامة الالمانية على انه من الواجب أن تكون المانيا شحية بمحدود أقوى من حدودها المالية لمنع تكرار حدوث التعديت والمهاجمات التي جعلتها عرضة لها حكومات فرنسا المتتابعة منذ قرون كثيرة . وما دامت وستراسبرج وميتس في يد فرنسا تكون قادرة على مهاجمة المانيا الجنوبية وشاطيء الرين الشمالي اكثر مما نكون نحن قادرين على الحماية عنهما . فان أصبحت ميتس وستراسبرج في يد المانيا تصيران

قلعتين لمجرد الدفاع .

وقد اشتبكت بيننا وبين فرنسا عشرون حرباً ومع ذلك لم نشهر الحرب عليها مرة واحدة والآن لا نطلب الى فرنسا غير أمر واحد وهو أن تسمح لنا أن تمتع بأملنا كنا بالامنية والراحة التي ظالما سلبتها منا وهكذا اذا أقننا صعوبات تؤخر فرنسا عن التعدي على غيرها حال كونها مصدر جميع المشا كل الاوربية نخدم أوروبا كلها لانها محتاجة الى دوام السلام . الى أن قال انه مامن خوف من أن تكون ألمانيا واسطة لتكدير دولة أوربية .

هذا واذا قطعنا النظر عن ثلاثة أمور نقول ان البرنس بسمارك قد قرر الحقائق في اعلانه المذكور وهي أولا قوله فان أصبحت ميتس وستراسبرج في يد المانيا تصيران قلعتين لمجرد الدفاع . فانه لا يخفى ان هذا مردود . ثانيا قوله انها (أي فرنسا) مصدر جميع المشا كل الاوربية وهذا لا يوافق الحقائق التاريخية لان فرنسا ليست مصدر جميع المشا كل الاوربية . ثالثا قوله انه مامن خوف من أن تكون المانيا واسطة لتكدير دولة أوربية وهذا مما لا يقدر أن يسلم به أحد بعد الوقوف على تعديلات بروسيات على الدول الثانية .

وقد لام العالم كل اللوم الامة الفرنسية لانها لم تقطع حربا باتت بلا نفع لها بعد موقعي ورث وديسنبرج وبعد تسليم سيدان . على ان المظنون ان ذلك اللوم لم يكن لوماً عادلا هذا اذا نظرنا الى الظروف التي أمست فيها نظر مراعاة لان فرنسا المغلوبة لم تقدر ان ترى وهي غائصة في بحار الهيجان والاضطراب والغيظ ما رآه الذين كانوا ينظرون اليها بدون أن تؤثر فيهم نائباتها أي انها لم تعرف انها بعد سيدان باتت مغلوبة غلبة تامة ولو فرضنا انها عرفت انها باتت مغلوبة لاستصعبت قبول شروط عدوها والتسليم بسهولة مع انها من الامم العظيمة التي في تواريخها ما يدل على نجاح متصل مجيد مكنها من الوصول الى قمم المجد والسطوة . ومن ياترى ينتظر ان يرى ذلك من

أمة تحب المجد كما تحبه فرنسا ومن لاحظ أعمال الألمان وأقوالهم يرى ان فيها ما يحمل عقد الصلح وتقرير الحال مستصعبين ومن الناس من يقول انه لو قبلت فرنسا بالشروط التي كانت المانيا تبين انها مصممة على ان تطلبها منها بعد تسليم سيدان لتسكدر الملك غليوم ووزيره وقواد جيشه لانهم كانوا يعرفون ان فرنسا يجب اضعافها كما كانوا يعرفون ان تلك الغلبة لا تكفي لتبليغهم غاياتهم من اذلال فرنسا واطعافها فانهم كانوا يعرفون ان فرنسا ذات قوة عظيمة وانها ذات ثروة وجيش جرار وانها ولئن كانت قد التزمت ان تخضع وتسلم ميتس وستراسبرج والالزاس واللورين لاعدائها تقدر بعد مدة قصيرة ان تنهض لاخذ الثار فتلتزم المانيا ان تحمل الاثقال التي كانت قد حملتها وان تعرض نفسها لخطر السكسر مرة ثانية وذلك بعد ان تكون فرنسا قد تعلمت بواسطة الوقوف على الاسباب التي أتتها بالفشل كيف تصلح سقطاتها وهذا ينفعها اكثر من المحافظة على قلعتين وولايتين * ولا ريب ان الملك غليوم ووزيره وقواد جيشه كانوا قد أصابوا بهذه الافكار فان من واجباتهم بعد ان التزمت بلادهم ان تنهض في حرب مهلكة كهذه الحرب ان يقهروا عدوهم بحيث يصير غير قادر على تقدير السلام للقيام بالثار بعد عقده الصلح بزمان قصير * وكان الملك غليوم يعرف ان هذا لا يتم الا بفتح عاصمة فرنسا الحصينة فان فرنسا ويين لا يقرون بانهم قد انكسروا ما لم يصر فتح عاصمتهم * ولما اجتمع الميسوجول فافر وزير خارجية فرنسا بالبرنس بسمارك وأخذ يطلب اليه ان يترك لفرنسا الالزاس واللورين قال له انه اذا سمحت المانيا عن الالزاس واللورين مراعاة لحاسيات الامة الفرنسية يكون سماحها واسطة المحافظة على السلام فانها تقابل بالشكر سماحه ويحملها كرم أخلاقها على مجانبة فتح حرب جديدة * أما البرنس بسمارك فهو من أهل التأني وسعة الصدر والمعرفة ولذلك لم يصدق ما قاله الميسوجول فافر وأجابه بما يأتي: اذا انتقاد مجلس النواب عندكم الى ارادة الامة نلتزم أن نشهر الحرب فنتسبون نتيجة هذه الحرب كما نسيتم نتيجة معركة واترلو وسادوا فانهما لم يؤثرا فيكم ومن المعلوم انكم

كنتم مصممين علي أخذ بلاد المانية اذا فزتم وبما ان ستراسبرج هي مفتاح البيت لا بد من أن تبقى بيد الالمان . وقال البرنس بسمارك لمسيو جول فافر هذا القول مرات كثيرة في اثناء اجتماعهما وما يأتي هو ختام كلام البرنس بسمارك في ذلك الاجتماع: انني لأرى في الكلام فائدة فاننا لا نقدر ان نتفق ولذلك لا بد من فصل هذه المسئلة في زمان مستقبل (أي عند وصول جيش الالمان الى ظاهر باريز) والظاهر أن جول فافر اتفق مع البرنس بسمارك علي أن تسوية الامر لا تتم الا في زمان مستقبل . ومما يبين ان البرنس بسمارك كان معتقداً بأن فرنسا كانت قد انفلتت غلبة تامة وبأنها لا تقدر أن تعوض ما خسرت في تلك الحرب ما كان يقوله للأمورين الفرنسيين الذين كان يجتمع بهم وعند ما اجتمع بهم في (قصر) فريار للتكلم عن عقد هدنة قال لهم ان الهدنة تضر جدا بالجيش اذا عقدت وهو في وسط فوز عظيم وانه اذا كان لا بد من عقد الهدنة لا بد من أن تطلب المانيا الحصول على وسائل سهلة لوصول الزاد اليها من بلادها اذا انها تصير ملتزمة أن تعطيل مدة اقامتها في فرنسا والمقصود ان تستلم ليس فقط ستراسبرج وميتس ولكن تول وكل الاماكن المهمة التي كانت تصعب اقامة اتصالات بين جيش المانيا في فرنسا وبين بلاده وقال لهم انه لا يسلم بعقد الهدنة و باقامة المواصلات بين باريز وبقية البلاد ملهم يعرف انه لا يدخلها زاد يمكن أهاليها من أن يطيلوا مدة احتلالهم الحصر وقال البرنس بسمارك ما قال قبل وصول جيش المانيا الى ظاهر باريز وهذا يدل علي انه كان معتقداً أن فرنسا باتت في يده . وكان مسيو جول فافر يقول ان الذي كان يحمله علي طلب الهدنة بالنيابة عن حكومة فرنسا الموقته هو وجوب اقامة المحادثات لانتخاب مجلس نواب وبعد أن خابر مسيو جول فافر البرنس بسمارك بهذا الشأن مرات كثيرة رجع الى باريز بدون أن يحصل علي الشروط الآتية وهي :

أن يصير عقد هدنة ومدتها أسبوعان أو ثلاثة أسابيع وذلك لتتمكن فرنسا من انتخاب مجلس نواب وما يأتي هو من شروط هذه الهدنة . وهو أولاً ان تبقى الاحوال

الحريه في باريز وفي ظاهرها علي ما كانت عليه . ثانيا ان تبقى الحرب جارية في ميتس وفي ظاهرها ضمن دائرة تقرير تفصيلها . ان تسلم ستراسبج وجيشها وان تخلي الجيوش الفرنسية تول وبتش وترجع عنها بدون ان تسلم .

فهذه هي الشروط التي تمكن مسيو جول فافر ان يحصل عليها من البرنس بسمارك بعد فتح الحرب بشهرين فسار بها مسيو جول فافر ليخبر بشأنها الحكومة الفرنسية الموقته . أما الفرنسيون فكانوا يقطعون النظر عما كانت تقوله أوربا عن حالتهم وكانوا يعتقدون أنه ولئن كانت حالتهم بئس الحال كان لا يزال عندهم من القوة والوسائل ما يحملهم على ان يؤملوا بالفوز ومع ذلك كانت هذه الشروط كالشروط التي يقررها المنتصر بحسب ارادته اذ انه معتقد بان عدوه بات في يده . فان من شأن كل الشروط المذكورة اضعاف فرنسا وتقوية المانيا فانه صار تقرير الشروط التفصيلية عن تسليم تول وبتش وتحديد دائرة الحرب في ميتس تقريراً موافقاً جداً لالمانيا وهذا يبين ان البرنس بسمارك لم يفعل شيئاً من شأنه تقريب الصلح . أما الفرنسيون فلم يقبلوا هذه الشروط ولكنهم التزموا ان يقبلوا شروطاً مثلها بعد ذلك بأشهر قليلة غير ان الاحوال كانت قد أمست تحت سطوة العدو أي انه كان قادراً أن يجول فيها لينفذ ارادته وعند طلب الشروط المذكورة كانت باريز لا تزال قوية وكانت محور أمل فرنسا ولم يكن الفرنسيون يعرفون هل يقدر بازين أن يخرج بجيشه من ميتس أولاً وكذلك كانوا يجهلون اقتدار القلاع المحصورة على الثبات في النزاع ولذلك لا تعجب من تمنع الحكومة الفرنسية الموقته عن قبول شروط تمكن العدو من فتح البلاد بسهولة لا مزيد عليها وبينما كان الالمان يتقدمون قاصدين باريز حدث ما شدد بغض المتحاربين وكره بعضهم للبعض الآخر وهو احتراق الحصن في لاون بعد ان كانت المدينة قد سامت الالمان فانه بعد استلامها دخلتها فرقة المشاة الخامسة الالمانية وبعد ان خرج منها كل الجنود الفرنسية التي كانت فيها اندفعت الى فوق بعنف بواسطة احتراق البارود

واضرت جداً بابنية المدينة . وقتل كثيرون بهذه الحادثة وأكثرهم من الفرنسيين وقد قرر الدوق دوما كنبورج شورين انه قتل من الالمان ضابط وجرح ٨ ضباط وقتل ٣٤ ضابطاً ثانياً وجندياً وجرح ٦٣ منهم ٧ فراس . وقتل وجرح جروحاً باليغة أر بعماثة من الجنود الفرنسية وهلك من الاهالي بين السبعمئة والثمانمئة . ومع ذلك كان يقول الالمان بتأكيد ان ذلك انما كان خيانة فرنساوية وصمموا على الانتقام وقاموا بتصميمهم قياماً وحشياً . هذا والمظنون انه لا ريب في ان فرنساوياً أشعل البارود على انه اضر بيلاده أكثر مما اضر بالالمان والمظنون ان الكدر والغضب حملاه على ان يفعل ما فعل وقتل به قبل الجميع . اما الالمان فقالوا ان ذلك العمل يبين فساد الفرنسيين وتوحشهم فامهم لا يترددون عن ان ينكثوا بعهودهم ليفعلوا افعالا دنيئة يقودهم الى فعلها حب الانتقام وسفك الدماء اما انتقام الالمان من الفرنسيين بسبب هذه الحادثة المكدره فكان في غير محله وعلى الخصوص بعد ان كانوا قد سفكوا دم أعدائهم في بازيل في ظروف تضاد الانسانية وأصول الحرب وجميع هذه الاعمال الوحشية تبين شرور الحرب التي تجعل الذين يفتخرون بتمدنهم يفعلون افعالا وحشية . وقد نشرت جريدة الكوريه دولاسن جملة عن تلك الحادثة وما ياتي هو ترجمتها : انه بعد ان سلم الجنود الفرنسيون الذين كانوا يحرسون الحصون المذكورة وشرعوا في القيام باعمال تقتضيها الظروف سمع صوت مخيف شديد وارتجت الارض ارتجاجاً ترتعد منه الفرائص وصار الالمان والفرنساويون من الجنود والاهالي يندفعون من جهة الى جهة ويسقطون على الارض بعضهم فوق البعض الآخر ثم أخذت المواد التي اندفعت بقوة البارود الى الجو تسقط عليهم وتقتل بعضهم ونجح البعض الآخر حتى انه امسى كثيرون منهم مدفونين تحتها . وسبب ذلك احتراق مخزن البارود في الحصن المذكور وكان فيه ٥٢ قنطاراً من البارود وارتجت الارض ارتجاجاً شديداً حتى ان القوم رأوا ان التل مال من جهة الى جهة اربع مرات وتكسرت أكثر النوافذ

الزجاجية في المدينة واندفع الى الجوارح حجارة واخشاب ولبان محروقة واقسام كثيرة من الابنية المجاورة واجساد بشرية مقطعة ثم سقطت في مكان يبعد من ثمانمائة الى ألف متر وكانت جثث الذين قتلوا وأعضاء أجسادهم المقطعة مطروحة في الشوارع وملاً التراب والحجارة المندفعة البساتين واستأصلت أشجار كثيرة واندفعت الى أماكن بعيدة أو قطعت كأنها مقطوعة بالقوس . وبعد ذلك أتى الوالي مع ضابط من ضباط دوق ماكنبورج الى الحصن المهديم وأخذ في الاعتناء بالمجاريح وكان منظر ذلك الحصن مخيفاً فان أعضاء اجساد القتلى والجرحى كانت تملأ ذلك المكان وكانت الطريق بينه وبين أو تيل ديو مزرعة بدماء الجرحى الكثيرين الذين لم يتمكنوا من نقلهم جميعاً الى ذلك المكان باقل من يومين انتهى .

ومع ان هذه الحادثة هي من الحوادث الخفيفة التي لا يقدر الانسان ان يفتخربها كان كثيرون من أهالي باريز يظهرون فرحهم بما يجري لأنهم كانوا يعتقدون ان ذلك دليل على شدة محبة الفرنسيين لوطنهم وهذا يبين كيف ان القوم يبيتون فاقدين كل حاسيات الانسانية عند ما يقطعون الامل من النجاح بالحروب التي تأتتهم بالكسر والويل .

اما حصار ستراسبرج فكان لا يزال مستمداً فان جنودها كانوا لا يزالون مضممين على الدفاع ولئن كانت قد سلمت سيدان وامبراطورهم وفي ٤ و ٥ ايلول (سبتمبر) أخذ الالمان يطلقون الكرات المشوة والقطع الحديدية على المدينة المذكورة وكانوا يطلقون عليها من ١٥ الى ٢٠ طلقة في الدقيقة بدون انقطاع وبعد ذلك ضعفت المدافع الفرنسية حتى انها لم تقدر ان تدافع دفاعاً فعالاً وكانت كراتها لا تضر العدو ضرراً يستحق الذكر ومع ذلك تمكن مائة من الاهالي من ان يخرجوا من المدينة ويلتجئوا الى بيوت الفلاحين خارجها وكان أكثرهم يكادون يهلكون من الجوع والتمب والخوف فاشاعوا بان المدينة امست في حالة لا يمكنها من الدفاع وان كثيرين

من الاهالى المحاربين كانوا قد هلكوا بكرات المحاصرين وان كثيراً من منازل أكثر الشوارع كانت قد باتت خربة والاهالى تخبثوا في السرايب ومع ذلك كانت المحصورون الذين لا يفنى ذكر شجاعتهم وثباتهم يكثرون المحاصرين على الدوام بالخروج من المدينة ومهاجمتهم خارجاً . على أنهم كانوا ضغفاء بالنسبة الى أعدائهم وكانت وسائلهم قليلة جداً وضعيفة بالنسبة الى وسائل المحاصرين ولذلك لم يقدروا ان يضروهم ضرراً ينفعهم ولذلك تيقن الجميع بان بعد مدة قصيرة لابد من تسليم ستراسبرج ومع أن أهالي ستراسبرج اشتهروا في هذا الحصار لا تقدر ان تقول انهم جميعاً يستحقون المدح لان كثيرين منهم كانوا يحبون أن يساموا للأعداء قبل ان أقيم الحصار رسمياً ولم ينحصر ذلك في الاهالى لان بعض الجنود رغبوا في التسليم عند ابتداء الحصار . فبلغ ذلك الحاكم فكسدر وحاول تنشيط الاهالى والجنود باشاعات لأصل لها ونجح في ذلك نجاحاً تاماً . فانه ادعى انه وردت اليه رسالة برقية مآلها ان الفرنسيين انتصروا انتصاراً عظيماً على البروسيين وان المنتظر وصول ثلاثين ألف اسير من البروسيين الى ستراسبرج فنشر الحاكم هذا الاعلان ولصقته على حيطان الشوارع بعد ان كتب في ذيله انه لما كان كثيرون من الاهالى من أصل الماني كان لابد من ان يعاملوا أولئك الاسري باللطف والمحاسنة . وكان الاهالى قد اتخبوا متمدنين وأرسلوهم الى الحاكم ليطالبوا اليه بالنياية عنهم ان يخبر العدو بشأن التسليم بدون تأخير غير انه لما رأى المعتدون المذكورون ذلك الاعلان اقلعوا عن قصدهم ورجعوا الى منازلهم ليقيموا الاستعدادات اللازمة ليقابلوا الاسرى بمقاولة قوم متمدنين عندهم من اللطف ورقة الجانب الما يزيد عليه . هذا ولا يخفى ان الاسري المذكورين لم يدخلوا ستراسبرج مطلقاً على ان الحاكم نفذ غايته فان الاهالى والجنود تشجعوا وثبتوا في الدفاع حتي قطعوا الامل من نفع الثبات وقد حصل تصرفهم اهالى فرنسا على ان يثبوا عليهم ويمدحهم فانهم بعد الابتداء في دفاع المحاصرين لم يخطر التسليم لهم ببال حتي بات أكثر مدينتهم

خراباً وفي ٤ و ٥ ايلول (سبتمبر) أطلق الالمان مدافع كثيرة على المدينة المذكورة واحرقوا بيوتاً كثيرة من بيوت الاهالي المبنية في انحاء مختلفة منها . وفي صباح اليوم السادس من الشهر المذكور هدموا بكرات مدافعهم باب المدينة وهو الباب الواقع بينها وبين القلعة في جهة كل وانتشبت نار شديدة من وراء الحواجز وفي قاعة التمثيل وهلك في تلك القاعة أكثر من مائتي نسمة أكثرهم من النساء اللواتي دخلن القاعة المذكورة للالتجاء فيها وفي ذلك الوقت انتشبت النار في منازل كثيرة مبنية في انحاء مختلفة من المدينة وهلك فيها كثيرون من الرجال والنساء والاولاد والاطفال قبل ان تمكن القوم من المبادرة الى اسعافهم . والذين لم يتركوا ليدافعوا عن المدينة من الرجال كانوا مشغولين على الدوام في الاعتناء بتخليص عيالهم من ويلات النار والكرات المندفعة عليهم . اما الذين كانوا من أهالي المروءة الغير المشغولين بامور عيالهم فكانوا في حيرة دائمة لان القوم كانوا يعرفون انهم يقومون بمساعدة المصابين وعلي الخصوص النساء اللواتي لا يقدن ان يخلصن انفسهن من الويلات التي يقعن فيها وكانوا يطلبون اليهم أن يذهبوا الى محلات كثيرة في وقت واحد لان الكرات كانت تشب النار في انحاء مختلفة في وقت واحد وهلك كثيرون من هؤلاء الرجال لانهم كانوا يقتحمون المخاطر بدون مبالاة ليخلصوا غيرهم . وكان الصراخ يرتفع من كل جهات المدينة وكثر البكاء والنوح . وفي أوائل شهر ايلول (سبتمبر) ابتداء الحر وكانت النار والدخان تزيد انه وكان الاهالي يكادون يخنقون من الاحتياج الى الهواء الموافق وعلي الخصوص الذين كانوا يسرون في الشوارع للقيام بخدمة ضرورية أو لاسعاف المصابين المنكودي الحظ فان الحر والاحتياج الى الهواء الموافق والتعب والكدر كانت تزيد ويلهم وضيقاتهم ومشقاتهم وكانوا على الدوام في خطر من وقوع حيطان الابنية المحترقة أو غير ذلك مما يسقط في أحوال كهذا الاحوال وقد كتب المؤلف المشهور برتولد اورباش رسالات كثيرة عما رآه من اعمال الحصار في ستراسبرج وقد صار نشر هذه الرسالات

وما يأتي هو ترجمة ملخص بعضها : ان ستراسبج آخذة في الاحتراق وهذا الكلام يدل على كل ويلات الليلة الماضية وضيقاتها ومخاوفها ومشقاتها فان عيني لا تزالان تتألمان من أنوار النيران التي رأتها ويدي لا تزالان ترتجفان . وهذه الليلة هي كليلة سان بارتلمي (ليلة قتل فيها الكاثوليك كثيرين من البروتستانت في فرنسا) فانها ستقرر في التاريخ تقريراً يدل علي ويلاتها وشرها علي ان الملام لا يقع علينا . فانه من الواجب أن نلوم الذين يرغبون في أن يكالوا رؤوسهم بالمجد فان الملامة تقع عليهم . فان أشد الأضرار التي يقدر العدو أن يلحقها بالإنسان أو بالامة انما تكون بواسطة حملهم على فعل ما يكرهون ان يفعلوه ويتجنبوه فاننا كرجل يتمنع عن القيام بالمبارزة ومع ذلك يلتزم ان يقتل خصمه وبناء علي ذلك نقول انه لسوء الحظ لامفر من ذلك . فاننا أرسلنا امس وخبرنا قائد ستراسبج وطلبنا اليه أن يخرج الينا او ان يرسل ضابطاً من الذين يركن اليهم ليرى مواقفنا ويقنع نفسه بانه لا ينتفع من الدفاع فاجاب ان القوم يقولون اذا رأوني أفحص مواقفكم ان ذلك انما هو صعود الدرجة الاولى من السلم الذي يصل بنا الى التسليم مع اني مصمم علي ان ادافع الى أن يهلك جميع رجالي وتفرغ كل مهماتهم . وبعد وصول هذا الجواب سكت الحال عندنا الى المساء وعند ذلك شرعنا في اطلاق المدافع فكانت القلعة الفرنسية تطلق علينا مدافعها قدر ما كنا نطلق عليها مدافعنا . وبعد برهة انتشبت النار في القلعة وعند ما أخذ الظلام يخيم صرنا نرى النيران المنتشرة ونرى الكرات ترتفع الى الجو ثم تسقط في ستراسبج . وبعد ذلك بمدة قصيرة انتشبت النار في الكنيسة والظاهر ان الكرة المحشوة سقطت في مواد سريعة الاشتعال فانه عند ما سقطت انتشبت اللهب . ومن ياترى يقدر ان يقوم بوصف ما نراه فاننا نرى النار منتشرة في اماكن واتصلت بين مكانين منها ومنظرها كجبل يحترق وهو يدمدم . اما الهواء فيهب من الجهة الغربية ويشدد انتشاب النار ومن ياترى يقدر ان ينظر اليها بدون أن يؤثر فيه منظرها تأثيراً محزناً وخيفاً فان لسان حالها

يمسح انما تهدد الذين سبوا انتسابها وتوبخهم لانهم رجال يرمي بعضهم البعض وكان القوم يقولون نطلب الى الله ان يحمي تلك الكنيسة الجميلة من النار وكنا نتصور حاسيات اهالي تلك المدينة المنكودي الحظ الذين أمسوا في السرايب تحت الارض وهم يسمعون صوت السكرات المدفوعة والمدافع المطلقة والنيران المشوبة التي لم يكونوا يعرفون اما كن شوبها حال كونها ربما كانت تحرق بيوتهم وأمتعتهم وأقاربهم . أما نيران الشوارع فكانت تشب بدون أن يتمكن أحد من اخمادها لانه من ياترى يقدر أن يشتغل باخمادها والكرة المحشوة كانت لا تزال تسقط فيها باتصال وتزيد قوتها وأضرارها ولم من انسان كان يبكي لفقدان ولد عزيز أو أخ أو أخت ويأخذ يجول في تلك المدينة التي باتت كآتون من النار في طلب المفقود ويمر بالقرب من منزله الذي بات لا يعرفه لان شرور الحرب قد غيرت هيئته ومنظره ومن ياترى يقدر أن يصف ويل الاهالي وخوفهم ولو كان اقلوبهم من القوة ما المدافع لسمعنا لحفقاتها صوتا أعلى من صوت اطلاق المدافع التي كانت ترسل النور المهلك في ذلك الليل المكدر وعند نصف الليل كان كل منا يرى الآخر بواسطة النار المضطربة في المدينة التي كانت بعيدة عنا كما يراه في ليلة البدر وكنا نرى السكروم والحقول وكنيسة ماندلزهم ومحاجر قبورها البيضاء . وبعد ذلك ببرهة قصيرة اشتد النور دفعة واحدة وعرض اللهب واشتد هيجانه . وكان يصعب على الناظر أن يميل نظره عن ذلك المنظر الخيف . وكان أهالي القرى الذين كانوا معنا يدعون بأنهم يعرفون الاحياء التي كانت النار مشوبة فيها وكنا نحسب أن نصدق ما قالوه وهو ان الكنيسة القليلة النظير ستنجو من النار على اننا رأينا ان النار كانت تشب في سطحها وبعدها ان النظرتين انها لا تزال سالمة وان مارأيناها كان في مكان آخر . فأخذنا نسير قاصدين منازلنا بنور النار التي كانت تحرق ستراسبرج وكان الجو غطي بما يحاكي الغيوم المصبوغة بلون أحمر قان والمظنون ان أهالي البلاد الواقعة وراء الرين حتي أهالي الحرش المسمى بالحرش الأسود (ترجمة الاسم) كانوا يرون تلك النار الاكلتها

وقد قال الجنرال يولك قائد جيوش ستراسبج الفرنسية أنه حضر معارك كثيرة وأنه كان في القوم وشاهد النيران التي كانت تدفعها أسلحة جيوش دول أوربا المتحدة في محاربة روسيا على سبستبول وأن القائد الروسي كان يسميها نار جهنم ومع ذلك لم تكن قدر النار التي دفعها الألمان إلى ستراسبج . هذا ولا ريب أن الجنرال الموما .
إليه كان يعلم قبل شوبب النار في المدينة أنه لا أمل له برفع الحصر عن المدينة وقد قال الألمان أنه يدافع نعم الدفاع ولكن بئس النتيجة . ومع ذلك لا تقدر أن تضرب صفحاً عن مدح جسارته ونشاطه وحبه لوطنه الذي حمله على الثبات إلى أن رأى الجميع أنه ليس من الممكن إطالة زمان الدفاع وأن أطالته إنما تكون واسطة لاهلاك كثيرين من المنكودي الحظ وربما كان مقالته الألمان أن من الصواب تسليم الضعيف للقوي يوافق المنتصر صاحب السلطان والاعتدال غير أنه لا يوافق الأمم ولا الأقوام ولا الأفراد أنه إذا شرع الضعيف في العالم أن يسلم نفسه إلى الذي هو أقدر منه قوة مادية أو أدبية بدون دفاع يبيت العالم في وقت قصير في يد الأقوياء الذين يصيرون يحصلون على مرغوباتهم بدون تعب وبدون أن يصادفوا ممانعة ولو كانت مرغوباتهم صادرة عن شر وطمع .

وفي أواخر أيلول (سبتمبر) تعطلت أكثر المدافع الفرنسية وفتحت كرات الألمان نوافذ في حيطان القاعة . وفي ٢٠ الشهر المذكور بعد الظهر استلم المحاصرون الحصن الأول من القاعة وكان الألمان مقد وضعوا باروداً تحت الأرض وأشعلوه وملاؤا أكثر مجاري المياه بالتراب وبعد ذلك أخذوا يطرحون فيه أكياساً من الرمل والتراب وغير ذلك وفي مدة قصيرة أقاموا جسراً ليقطعوا عليه ويدخلون ذلك المكان ثم أنزلوا قارباً وركبه جنود وساءروا فقتل اثنان منهم حالاً أما الباقون فتقدموا إلى أن قطعوا الخندق ووقفوا سالمين في الجهة الثانية ودخلوا بواسطة النافذة التي كانوا قد فتحوها في الحيطان . وهكذا تمكنوا من استلام جهة السور الأصلي ومن هذا تبين أنه لا بد

من التسليم ولم يهلك كثيرون من الالمان في القيام بالاعمال المذكورة ومع ان عدد المحاصرين كان ٦٠ ألف جندي لم يقتل منهم في أواخر الحصار أكثر من ٣٠ جندياً كل يوم وعدد الذين قتلوا منهم منذ الابتداء كان قليلاً جداً حتى انه في فرق كثيرة لم يقتل رجل واحد فان الفرنسيين كانوا يطلقون مدافعهم اطلاقاً ضعيفاً وقد قيل انهم كانوا يطلقون مدفعاً واحداً كلما أطلق الالمان مائة مدفع . وعند ذلك تمكن الفرنسيون خارج ستراسبج من أن يبلغوا أهاليها بوساطة سرية * لم يقدر الالمان ان يقطعوها مع انهم اجتهدوا أن يقطعوها بضبط الحصر . انه كان قد صارت اقامة الحكومة الجمهورية في باريز وكان أهالي ستراسبج يخبرون مراراً كثيرة أهالي فرنسا بتلك الوساطة السرية وقيل ان الحكومة أرسلت والياً جديداً الى ستراسبج وانه تمكن من الدخول الى المدينة بقطع النهر الجاري في شمال القلعة ساجحاً أما كتاب الجرائد فكانوا ينظرون الى أكثر أعمال الالمان والفرنسيين من التلال الواقعة وراء أوفنبرج فانهم كانوا يرون أكثر المدينة منها .

هذا وكان كثيرون من السياح يأتون تلك التلال ليشاهدوا ستراسبج وكانوا يجلسون في كرومها كثيرين من الجرحى الالمان الذين كانوا يأتونها بعد الشفاء للتمتع وكانوا يأكلون من عنبها ليقوموا أجسامهم . وقد قال قوم ما يخالف كلام الكاتب الالماني المشهور الذي ترجمنا عنه ما قد نشرناه أعلاه وهو ولئن كان القوم يحاولون أن يروا ما كان يحدث في ستراسبج في زمان حصرها كانوا لا يقدرُونَ أن يروا شيئاً يستحق الذكر لان الدخان كان على الدوام يغطي الحصون والمنازل ولم يظهر تحتها غير أعلى الكنيسة المذكورة وظهوره كان نادراً وانهم كانوا أحياناً يرون الالمان يرتفع بغتة والجنود تخرج لتقاتل المحاصرين وهذا نادراً لان الدخان كان يحجبهم عنهم . هذا وقد ذكرنا ان الالمان كانوا يطلقون المدافع بدون انقطاع في أواخر الحصار . وفي ٢٦ ايلول (سبتمبر) ليلاً كان الالمان يطلقون كرات محشوة باتصال وكان بعضها

كبيراً جداً لان وزن الكرة منها كان نحو ١٥٠ ليبرا وكان عليها مادة محترقة فكانت تحرق الكرة المدفوعة وتجعلها تنفجر عندما تسقط الى الارض فتخرج منها المواد المذكورة المحترقة . وكان المحصورون يرونها وهي مدفوعة ولذلك كانوا يقدرّون أن يملأوا عنها على انها كانت تقع على السطوح وتضربها وتجرق بعضها وكان سقوطها كسقوط حجر ضخّم ثقيل جداً ومنها ما كان ينزل الى السرايب تحت الارض ومنها ما كان يهدم منازل برمتها وكانت تدفع من مدفعين كبيرين جداً صنعهما الالمان للقيام بحصار ستراسبرج وقد قيل انهما دفعا الكرات الى مسافة أبعد مما تدفع سائر المدافع المصنوعة في العالم كراتها اليها .

ولا يخفى اننا لا نتدر أن نعرف عدد الذين قتلوا في ستراسبرج في تلك الليلة الا اننا نعرف أنه قتل كثيرون منهم بانفجار الكرات التي كانت تقذف كثيرين في وقت واحد غير ان اكثر الذين قتلوا ماتوا بسقوط البيوت والابنية . وتحقق أهالي ستراسبرج بعد ذلك الليل انهم لا يقدرّون أن يثبتوا في الحصار وبناء على ذلك انتهى حصر ستراسبرج في ٢٧ ايلول (سبتمبر) وكان قد ابتداء في ١٠ آب (اغسطس) . ويوم تسليمها هو نفس اليوم الذي سلمت فيه الملك لويس الرابع عشر الفرنسي قبل تسليمها للالمان بملعة وتسع وثمانين سنة وهكذا رجعت تلك المدينة الحصينة الى أصحابها الاولين .

ولما سمع الفرنسيون بتسليم ستراسبرج حزّنوا حزناً لا مزيد عليه وعلى الخصوص لان أهاليها كانوا قد قاموا بحق الدفاع قياماً يستحق كل المدح والثناء حتى ان أهالي باريز كانوا يظنون انها أحصن مكان في فرنسا وان الالمان لا يقدرّون أن يفتحوها ولو أفرغوا في حصرها كل قوتهم لان الباريزيين كانوا يجهلون حقيقة مركز فرنسا وجيشها أكثر مما كان يجهله غيرهم . هذا والظاهر ان الشقاق كان قد وقع بين أهالي ستراسبرج في ابتداء الحصار لان بعضهم كانوا يحبّون أن يتفقوا مع الاعداء ولولا غلبة الاكثرية وابتداء المباينة بغتة لتسكنوا من تنفيذ غاياتهم . ومع ان الظاهر ان جميعهم

كانوا يقومون بحق الدفاع قياماً حسناً تبين عند التسليم أن منهم من كاد يموت حزناً ومنهم من كان ينظر إلى الأمر بعدم المبالاة ومن الأمور الغريبة أننا إذا لاحظنا أسماء الذين أظهروا أنهم يكرهون الألمان كرهاً لا مزيد عليه نرى أن أكثرهم من أصل ألماني أما حاكم المدينة موسيو كوس وهو الذي وقع عليه الانتخاب بعد إقامة الجمهورية في باريز فتوفى بعد تسليم المدينة بزمان قصير حزناً وكدرًا من جراء انضمام الألمان إلى ألمانيا وهي وطن أجداده ولما دخل الألمان الكنيسة وضعوا قوانين شديدة على الأهالي فأنهم عينوا القوانين الخريبة ليسوسوهم بها وتهددوهم بقصاصات شديدة إذا حاولوا مقاومة الحكومة الألمانية وجمعوا أسلحتهم وأبطالوا نشر الجرائد وأمروا القوم أن يتقلوا المواضع العمومية الساعة التاسعة أفريقية من المساء وقالوا لهم أن الذي نراه بعد ذلك خارج بيته بلا مصباح يسمى محلاً للقصاص وظهر أن الخراب الذي لحق بالمدينة كان عظيماً جداً ولا يمكن أن يصير ترميمه إلا في زمان طويل هذا إذا صار قطع النظر عن المصاريف الكثيرة اللازمة لذلك . فانه خرب فيها أكثر من مائتي منزل خلا المنازل العمومية والقاعات وما أشبه ذلك وأمسى ثمانية آلاف نفس بلا مأوى ولحق ضرر بأكثر من مائة منزل . أما الألمان فتمنعوا عن إيقاع الضرر بالكنيسة المشهورة الجميلة على أنهم ربما كانوا غير قادرين أن يمنعوا كل المنع وقوع الضرر عليها . ومع أن الفرنسيين يقولون أن الألمان كانوا يجتهدون في أن يخرّبوها نقول أنهم كانوا يجتهدون في أن يمنعوا وقوع الضرر عليها لأنهم لو أرادوا أن يضرّوها بها لتمسكوا من ذلك ور بما كانوا قادرين أن يخرّبوها كلها على أنه لم يصيبها غير ضرر قليل فإن الكرات أصابت ما ارتفع منها في مكانين أو ثلاثة أما كن ولوت الصليب المقام في أعلاها وعطلت قليلاً من نقوشها الخارجية غير أنه يسهل تصليحها . أما احتراق المكتبة الثمينة المحتوية على ألوف من المجلدات التي لا يمكن تعويضها فالمظنون أنه ناتج عن إهمال نفس أهالي ستراسبج لأنهم لو أرادوا لسبل عليهم أن ينقلوها إلى حيث لا تتقدر الكرات أن تدركها والمظنون

أنهم كانوا يحبون أن ينسبوا إلى الألمان عملاً قبيحاً كهذا العمل ولولا ذلك لتمكنوا في العشرة أيام الواقعة بين ابتداء الحصر ووقوع الضرر على المكتبة من نقلها وتخفيض تلك السكنوز العامة التي لا يمكن تعويضها من الحريق .

هذا ولا ريب في أن الجنود فرنسا وبين كانوا يقاتلون قتال الأبطال الشجعان على أنهم كثيراً ما كانوا يتصرفون تصرفاً مشيناً بعد الانكسار أو التسليم وعلى الخصوص بعد تسليم ستراسبرج فإن منهم من كانت لوائح الكدر تلوح على وجوههم ولكن كثيرين منهم كانوا يهينون قوادهم ويطرحون أسلحتهم وزادهم وأمتعتهم ويظهرون غضبهم بالخلف والشتائم .

أما شهر ايلول (سبتمبر) فكان شهر إقامة الحصار فانه سلمت فيه الألمان ميتس وستراسبرج وتول وكان الألمان يتهددون باريز بالحصر وهم يحاصرون أويهاجمون مونميدى وتيونفيل وفوردن وفالسبرج وبيتش . هذا ولا يخفى أنه لم يتقرر في تواريخ العالم ذكر حصر قلاع ومدن كثيرة كحصر المدن والقلاع المذكورة في وقت قصير كالوقت المذكور لأنه لم يسبق أحد الألمان في سرعة انتصاراتهم . أما حصار تول فابتدأ في ١٤ آب (أغسطس) على أن فرنسا وبين دافعوا دفاعاً شديداً عنها وفي ٢٣ ايلول (سبتمبر) أطلق الألمان المدافع بكثرة عليها ودام إطلاقها النهار بطوله وكان الفرنسيون يطلقون مدافعهم عليهم على أن يران الألمان كانت أقوى وأفضل وقبل أن خيم الظلام تشبث النار في المدينة في ٢٣ مكاناً وعند ذلك تبين أنه لا أمل في إطالة زمان الحصار وأخذ الألمان يطلبون بالخاح إلى الحاكم أن يسلم فطلب إلى الألمان أن يقبلوا تسليمه فأجابوا طلبه . وفي الساعة السابعة مساءً دخل الألمان تول بعد أن تقررت شروط التسليم بحسب الشروط التي عقدت عند تسليم ميتس ومن الأمور التي تستحق الذكر والمستغربة أنه واثق كانت تول قد تمكنت من أن تدافع عن نفسها بنجاح ستة أسابيع لم يجد الألمان عند دخولها جندياً واحداً من جنود المدافع وقد قيل أن الألمان تكبدوا جداً عند ما رأوا أن خمسةائة جندي من

الاحتياطية أي من الاهالي الذين تعلموا قليلا من متعلقات اطلاق المدافع في اثناء اقامة الحصار تمكنوا من أن يمنعهم عن فتح المدينة ستة أسابيع ولم يقطعوا المواصلات التي كانت جارية بينهم وبين باريس . أما فتح تول فكان من الامور المهمة عند الالمان لانها متسلطة على الطريق الحديدية الباريزية وبدونها تسمي الجنود امام باريس في خطر من أن تبيت بلا زاد بواسطة قطعه . وقد خربت كرات الالمان كثيرا من المدينة وهدمت أكبر كنيسة قوطية قديمة فانها بنيت سنة ٨١٤ الميلاد وأسر الالمان من تول ٢٣٤٩ أسيراً و ١٢٠ حصاناً و ١٩٧ مدفعاً وراية ونحو ستة آلاف بندقية وغدادة وغيرها من الذروع والمهمات والذاد وغيرها . ومع ان اهالي تول دافعوا عن أنفسهم وعن مدينتهم دفاعاً حسناً جداً تمكنوا به من أن يحفظوا الترتيب فيها اثناء الحصار ولم يجرح منهم غير قليلين قابلوا الالمان بمقاولة حسنة فانهم كانوا يعرفون انهم دافعوا حق الدفاع وكانوا يقرون بأنهم غلبوا وبما أنهم كانوا قد أفرغوا جهدهم في القيام بواجباتهم كانوا يحبون أن يستريحوا من الاتعاب الكثيرة التي لحقت بهم وهكذا كانت هذه المدينة قدوة حسنة للمدن الاخرى فانهم امتزجوا بعد زمان قصير مع المنتصرين وارتضوا بأن يصرفوا وقتهم معهم بالخط لمفاوضة على أنفسهم الخسارة التي لحقت بهم باثقال الحصر .

أما في باريس فأخذت مبادي الحر والسكون (الثوريين) تظهر شيئاً فشيئاً وفي ليون وهي مدينة المعامل أخذ أصحاب تلك المبادي يظهرون عدوانهم للحكومة الموقفة . وصارت اقامة اجتماعات سياسية في باريس وتقررت فيها امور معجبة ومخيفة منها أن يصير اصدار نقود من ورق مكفولة بارزاق وامتعة الذين خرجوا من باريس خوفاً من الخطر . وقال رجل من المجتمعين في احدي جمعيات باريس المذكرة انه من الواجب ان نمنع الباعة عن رفع اسعار الماء كولات عندهم فان الفقراء يمسون غير قادرين ان يشتروا منها . وقال جندي شيخ حامل علامات امتياز في الشجاعة انه من الواجب ان يصير ابطال كل الامتيازات . ثم طرح علامة الامتياز التي كان حاملاً

اياها ليعين للتوم انه يطلب ابطال ذلك حياً بخير الجمهور . وطلب رجل آخر ان يصير
 قطع معاشات جميع الذين كانوا متوظفين في الدولة الامبراطورية وتنصيب غيرهم . غير
 ان هؤلاء القوم الذين هم من أهل الثورة الحراء لم يتمكنوا من تنفيذ غايتهم فان
 أكثر اهالي المدينة كانوا عارفين بانه لانجاة لهم الا بالاتحاد للدفاع والاقلاع عن كل
 شقاق وخلاف . على ان (ليون) ملجأ الاشقياء والمشاعين احتملت تعديات أولئك الحر
 فانهم أثاروا فتنة ولو لم يكن للحاكم تفويض تام في استخدام كل القوة المدنية والعسكرية
 لما تمكن من كبحهم بالقوة وبالتسليم لهم ببعض مطلوباتهم .

وكان قد ظهر ان الالمان كانوا قد صمموا على ان يحاربوا الى ان يبلغوا الغاية
 بواسطة قطع النظر عن كل شئ خلا الانتصار اي ان يستخدموا كل الوسائل التي
 تمكنهم من المرغوب ولئن كانت وحشية وكان ملك بروسيا مصمماً على ان يفتح
 عاصمة فرنسا وان يضم الى بلاده بلاداً من أحسن البلدان الفرنسية وأنفعا وعلى
 ان لا يغير هذا العزم لانه مامن شئ غيره يرضيه ولذلك اجتهد الفرنسيون كل الاجتهاد
 في الدفاع والتأهب لانهم كانوا يؤملون بانهم سوف يتمكنون من أن يطردوا عدوهم
 من بلادهم .

فاخذ الجنرال تروشو وغيره يحركون الغيرة الوطنية في صدور اهالي باريز وكانت
 تتحرك حالاً فيهم واذا رأى العالم في اعلاناتهم وخطبهم من الكلام ما لا يناسب ذوقه
 فعليه أن يعرف ان لكل أمة عادات وان الكلام المبيج والطيش وغير ذلك من هذا
 القبيل ليس هو محصوراً في الفرنسيين ولكنه من خصوصيات كل جنس السلت
 (منهم في فرنسا واسبانيا وشمالي ايطاليا وغيرها) وان الفرنسيين لا يقدر ان يعيشوا
 الا في وسط الفخفخات والتملقات وبناء على ذلك صار استخدام كل الوسائل المبيجة
 لتحريك الامة واظهار حالة الخطر التي امست فيها . حتي انه صار استخدام التعصب
 الديني يهيج الجبالا مهيجاً لا مزيد عليه وفي ٢٢ ايلول (سبتمبر) سنة ١٨٧٠ للميلاد

صار نشر الاعلان الآتي :

قد اصبح العدو في وسط فرنسا وهو قاس وثابت وخيف . وفي كل يوم يتقدم فيها ولذلك هلموا نهض لندافع عن وطننا ونسائنا واولادنا واجعلوا كل اجتهاداتكم مصروفة في سبيل حمايتهم فسير وامستندين الى مريم المقدسة ومحتمين بها . ان آباءنا كانوا ابطالا وناضلوا عن الايمان فن واجباتنا ان نقمدي بهم بالشجاعة والغيرة فانهم قدماءوا ولبسوا أكليل المجد لانهم انتصروا وحافظوا على ايمانهم ولذلك ستحيا أسماؤهم المحيدة الى الابد فهبوا يا اولادهم لتستحقوا ان تنسبوا اليهم فان فرنسا قد امست في الويل وهي في احتياج اليكم وتلتجى اليكم لتقوموا بحق ناموسها ومجدها فاصرخوا قائلين « الله وفرنسا » وجائزتكم تكون النصر . انتهى .

وبعد ذلك صار نشر الاعلان الآتية ترجمته على الفنديانيين من الفرنسيين :
يا ايها الفنديانيون اصغوا فان زمر المانيا الاراتيكية الوحشية قد هاجمت فرنسا المقدسة .
وبعد مدة قصيرة ستدخل ولاياتكم ١٢٠ فرقة من جيوش الالهان الالمانية تاهين رائحة الدم التي يشمونها لينذهبوا بانفسهم الى الالهانة والسلب والهلاك . اما محييتهم اليكم فهو ليثموا اعراض نسائكم وفتياتكم وليذبجوا الأبرياء منكم أي اولادكم الصغار الذين لا يقدرون أن يدافعوا عن أنفسهم وليطلقوا الرصاص بلا شفقة على الشيوخ منكم وليبعثوا شبانكم الاقوياء والنشيطين الى السجون البحرية والبرية وليخربوا بيوتكم وليحرقوا قراكم وليهدموا كنائسكم وليكسروا بالالهانة المعيبة تمثال العذراء المقدسة فان هذه هي الحروب التي يقيمها الالمان المتوحشون

يا ايها الفنديانيون هلموا وتقلدوا اسلحتكم بحيث لا ينقص أحد منكم عند ما يصير الاجتماع اما المجتمع فهو وراء الالوار فان ذلك المكان هو المكان الذي يجب ان تجتمع فيه صفوفكم القادرة وان تهجم فيه على العدو عند ما يظهر في ميدان القتال فتذكروا ان في احراشكم دام ناموس فرنسا سالما في الايام القديمة اما اولادكم فيحاربون عند اسوار

باريز فخاربوا أنتم في احراشكم وفي الاودية وفي البراري وفي جوانب تلال وطنكم المحبوب وذلك باسم الله وباسم فرنسا . يا أيها الكهنة قودوا رعاياكم الى القتال ويا أيها الامهات قلدن رجالكم بالاسلحة فانهم والدو بنيكن الباسلين وذلك ليقوموا بحق ثار الذين هلكوا في اراضى الانزاس واللورين المنحضة بالدماء .

فلتقل النساء ان الذين يحاولون مجانبة الاشتراك في المدافعة عن الوطن هم ملعونون . يا أهالي الولايات الغربية هبوا وبادروا الى تقلد اسلحتكم فاحملوا بنادقكم وتقلدوا سيوفكم فان لم تجدوا منهما عندكم فتقلدوا عوضاً عنها المجارف والمعاول والقؤوس ومهما وجدتموه عندكم واصنعوا الكرات الرصاصية والبارود وانضموا الى بقية أبناء وطنكم لتشبوا نيران الحروب على أعدائكم بدون انقطاع وبدون رحمة . يا أيها الفنديانيون ان اجدادكم وهم الشوان الابطال يدعونكم من قبورهم لتحاربوا باسم الله باسم بلادكم الواقعة في الاخطار باسم أولادكم وباسم دياتكم المبانة فافهموا اننا سنجتمع في نوار في ٢٥ ايلول (سبتمبر) ولذلك من واجبات كل منكم ان ياتي ذلك المكان في الوقت المعين هذا واننا نطلب الى الله الجواد العظيم ان يحمي فرنسا ويصونها .

تحريراً في مجتمع جيش فنديان في نوار من لدن رئيس الجنود الفنديانية الآخذة في الاجتماع . (الامضاء) دولبوجهن

هذا ولا يخفى ان خطاباً كهذا الخطاب يؤثر تأثيراً شديداً ونافعاً جداً للمصلحة في جنس كاثوليكي باسل نشيط متقن بسيط القلب ذي خرافات ومع ذلك لا تقدر ان تضرب صفحاً عن تنبيه المطالع الى الخداع الذي استخدمه الذين كتبوا هذا الاعلان فانهم هيجوا امة كاثوليكية وهي الامة الفنديانية الى أن تبادر الى طرد الهراطقة البروتستانت من بلادهم مع ان الجنود الالمانية الجنوبية كانت من الكاثوليكين الذين ربما كان يريد تعصبتهم على تعصب نفس الفنديانيين ومن المعلوم ان البافاريين فعلوا افعالا كثيرة تجاوزوا فيها حدود الانسانية في هذه الحرب تجاوزاً حمل فرنسا ويين على الغيظ

وهكذا يكون الكاثوليكي متعمداً على الكاثوليكي كما كان يتعمد عليه البروتستاني ولذلك نقول ان الذين رغبوا ان يجهلوا هذه الحرب حرباً دينية كانوا يخذعون الجبناء المتعصبين للدين .

ولما تحقق الباريزون ان الالمان مصممون على حصر باريز أخذوا في أن يقيحوا جميع الاستعدادات التي كانوا قادرين ان يقوموا بها فاقاموا ثلثمائة ألف رجل متقلدين أسلحة كاملة ومتعدين فن الحرب تعليماً حسناً بالنسبة الى الزمان القصير الذي تعلموه فيه في حواجز باريز ووراء اسوارها وتمددل ان سبعين ألفاً من هذا الجيش تقدر ان تكون على الدوام مشغولة بالدفاع وبما ان جميع اهالي باريز كانوا مهيجين بالغيرة الوطنية الشديدة وكانوا يعلمون ان عندهم من الزاد مايكفيهم اشهرًا وان الالمان سيصادفون مشقات كثيرة وبردا واحتياجاً الى الزاد فذلك كانوا يؤملون بان الالمان سيأقرومون أن يرجعوا عن حصر باريز وان يقرروا شر وطاً موافقة لفرنسا وبناء على ذلك كانوا ينتظرون بهدوء قدوم الالمان لقيام حصر عاصمة فرنسا العظيمة .

— تسليم ميتس وحصار باريس —

ومع ان الالمان كانوا متيقظين كل التيقظ كان الباريزيون يتمكنون من اقامة الخبايا بينهم وبين فرنسا غير انه في ٥ ايلول (سبتمبر) سنة ١٨٧١ ميلادية غلقت باريز أبوابها فانقطعت عن بقية العالم وأخذت في الاستعداد للقيام بحصر مخيف وتم ذلك في صباح اليوم المذكور الساعة السادسة ومنذ هذا الوقت منعت الحكومة الخروج من المدينة والدخول اليها بدون اذن مكتوب مخصوص منها . وهكذا باتت تلك المدينة العظيمة جنة العالم وفخره منفردة انفراد المسجون ومنقطعة عن العالم كل الانقطاع وأبوابها مقفلة بدون أن يقدر احد ان يخمن زمان فتحها والظروف التي تمكنها من ذلك . ومع

ان أهل العالم كانوا ينتظرون تحقق حصر باريز كانوا يكادون يكذبون ما يسمونه عن حصارها وانقطاعها عن العالم لأنه كان يصعب عليهم أن يصدقوا ان تلك المدينة العظيمة الجميلة التي كان يدخلها كل يوم ألوف من أهل العالم طلباً للتزود والتفرج ستسبي قفلة الابواب وستحتمل ويلات الحصر وضيقاته . وهذه هي الحادثة الثالثة العظيمة من حوادث هذه الحرب فان الاولى هي انتصار الالمان انتصارا تاما في ورت ووسنبرج والثانية هي تسليم الامبراطور في سيدان . وكان القوم يسمعون بذلك بخوف ورعدة لانهم كانوا يتأملون بالضيقات الكثيرة التي كانت مزمنة ان تعرض على اهالي مدينة السرور قبل أن يتمكن المتصرون من أن يفتحوا ابوابها . وكانوا يعرفون ان فيبارجالا كثيرين جداً قادرين على ان يقوموا بالدفاع وعلى الخصوص بمد ان سمعوا بان الجنرال تروشو وغيره كانوا قد قالوا انهم هم وكل سكان المدينة يفضاون ان يهلكوا عن آخرهم دون التسليم . ومع ان كثيرين كانوا يعتقدون بان الحصر سيكون طويلا وصعبا كانت الاكثريّة لا تعتقد بان الجنرال تروشو وقومه كانوا مصممين على ان ينفذوا ما قالوه . وكان الخيرون في فنون الحرب يقولون انه ولئن كان الباريزيون محصنين وكثيرين لا يقدرّون ان يدفعوا جيش الاعداء الجرار لانهم لم يكونوا من المعتادين القتال وكان عدد الجنود داخل باريز في ابتداء الحصر ١٢٠ ألف جندي من الجنود المنظمة ونحو ثلثمائة ألف جندي من جنود الحرس الوطني و ١٢٠ ألف جندي من الاهالي الذين تعلموا الحركات العسكرية للقيام بالحصر وغيرهم كثيرون من الملاحين الذين كان قد صار ارسالهم الى باريز ليطلقوا المدافع الكبيرة . ومن يتأمل في ان أكثر هذه الجنود حتى الجنود المنظمة كانت تبجل فنون الحرب وحركاته فان كثيرين من ١٢٠ ألف جندي المنظمة كانت جنوداً جديدة جمعت في أثناء الحرب وقبل اجتماعها في باريز باقل من شهرين كانت تشتغل في الحقول في الولايات يقول انه لو نجح الباريزيون في دفاع الاعداء لكان سبب نجاحهم شدة غيرتهم وحبهم لوطنهم وليس اختبارهم

المسكري ومعارفهم الحرية .

ولا يخفى ان في ايام لويس فيليب ملك فرنسا كان حول باريز سور وكان جميع الذين يدخلونها أو يخرجون منها يلتزمون ان يمشوا في أبواب محروسة بالجنود غير ان الامبراطور نابليون الثالث كان قد هدمها للقيام بالاصلاحات السكينة التي أجراها . ولأنك كانت حصون باريز في وقت هذا الحصر قلاعاً كثيرة مبنية خارج المدينة . ومنذ عشر سنين أو اثني عشرة سنة كانت حصون باريز من الحصون التي لا تفتح . غير ان الآلات الحربية قد تغيرت جداً وتحسنت حتى ان كل الحصون القديمة في الداخلية وعند الشواطئ باتت ضعيفة بالنسبة الى المدافع العظيمة الجديدة حتى ان اصحابها باتوا ملتزمين ان يجددوا بناءها بنوع يوافق مقتضيات الحال . وبناء على ذلك لم تكن حصون باريز قادرة ان تقوم حق القيام بالدفاع بحيث يبيت الالمان غير قادرين ان يطلقوا مدافعهم عليها ويضايقوها . وهذا وكان الباريزيون قد عرفوا قبل وصول الالمان الى عاصمتهم بانهم مصممون على حصرها فشيّدوا حواجز وحصوناً كثيرة كانوا يعتقدون بانها قادرة ان تمنع المحاصرين عن ان ينزلوا بهم ضرراً . ومع ذلك باتت محلات كثيرة حول المدينة غير محصنة لان القلاع كانت بعيدة ولا تقدر ان تحميها وسرعة سير الالمان بسبب عدم مصادمتهم دفاعاً منع الباريزيين على ان يتحصنوا تحصناً تاماً ومع ذلك لم يقصروا عن اجراء كلما يمكن اجراؤه في زمان قصير فانهم أقاموا الحواجز الترابية وغيرها في الاماكن المفتقرة الى التحصين حتى انهم اغمروا ان يتركوا بعضها قبل ان اكلوها لان مسير العدو كان سريعاً . وكانوا قد تمكنوا من اقامة الحواجز في نهر السن الذي يمر في باريز ويمر حول بعضها واقاموا فيه جسوراً عامة وحصوناً ومراكب صغيرة مدرعة في كل منها مدفع واحد وأغرقوا فيه باروداً موضوعاً في ما يمنع دخول الماء اليه ليحرقوا به المراكب التي ربما كان الالمان يأتون بها ليستعينوا بها في حصر المدينة . وكان المحاصرون في اول الامر أقل كثيراً من المحصورين علي ان الجنود الالمانية كانت كلها

مجربة ومختبرة وعارفة فنون الحرب وأبوابها وحالها وصل الالمان الى ظاهر باريز أخذوا في النزول في المحلات المقابلة للاماكن الضعيفة والمناسبة وهذا مما يبين ان قوادهم كانوا يعرفون حق المعرفة أحوال باريز وقوتها ومواقعها ولم يتأخروا لحظة واحدة عن اقامة الاعمال التي تضعف المحصورين وتكدرهم غير انه مضى زمان طويل قبل أن هجموا عليهم . فابتدأوا بتحويل مياه ترعة أورك فحسر الباريزيون الانتفاع بمائها وقوى الالمان مواقعهم بتحويله وأقاموا حاجزاً بالقرب من سرو مقابل غاب بولون وبعد أن هدموا حصن فلحوييف في جنوبي باريز استولوا عليه وأقاموا جسراً فوق نهر السن في بوجينفال وهكذا تمكنت فرق الجيش الكثيرة من أن يقيم بعضها المخابرات مع البعض الآخر ونزل أكثر الجيش الالماني في التلال الواقعة بين بيون وشاتيليون ممتداً من الجهة الشمالية الغربية من باريز الى الجهة الجنوبية الغربية وأقاموا مركز مدافع في مودون في الجهة الغربية وأقاموا مدافع كثيرة في تلال سان كلو .

وفي ٢٣ ايلول (سبتمبر) فتح الالمان مدينة سان كلو المذكورة ونزلوا فيها بعد أن قتل منهم رجل واحد وجرح ١٢ رجلاً فرجع الفرنسيون الى الجهة الاخرى من السين ثم فتح الالمان قلعة مونترتبو وحصن جانفيليه ونزلوا فيها عندما خلاها الفرنسيون والمظنون ان الجيش الالماني الذي حل في ظاهر باريز في اليوم الاول من الحصر لم يكن أكثر من مائة ألف جندي غير انه كان يزيد يوماً فيوماً بوصول جنود المانية جديدة فانهم كلما كانوا يفتحون قلعة من التي كانت في الطريق الواقعة بين باريز والحدود كانت الجنود التي فتحتها تنضم الى جيوش حصر باريز . فعند ما سالت تولي وستراسبرج انضم الى جيش باريز الالماني عشرة آلاف جندي من جيشهما . وأما بقية الجنود فارسلت الى محلات أخرى لتقيم الاعمال الحربية في الولايات لان الالمان كانوا لا ينفكون عن التقدم فيها حال كونهم كانوا مشتغلين بحصر باريز ودامت الحال على هذا المنوال الى أن صار جيش حصر باريز ٢٢٥ أو ٢٥٠ ألف جندي .

هذا ومع انه لم يحدث قتال عظيم بين الالمان والفرنساويين عند ما كانوا آتين من معارك سيدان وغيرها الى باريز ولم يتمكنوا من الوصول الى ظاهر العاصمة بدون مصادفة صعوبات وموانع كثيرة فان الطريق الحديدية بين نانسي وباريز كانت عرضة لمدافع قلعة تول الفرنسية وذلك بين شالون وبارني فان الالمان كانوا ملازمين أن يوقفوا المركبات البخارية قبل الوصول الى مقابل تول وان يخرجوا منها الزاد والمهمات ويسيروا بها في طريق طويلة متعبة بعيدة عن القلعة المذكورة وان يرجعوها الى المركبات البخارية في الجهة الغربية وكذلك كانت الطريق المستقيمة الواقعة بين ميتس وباريز وهي التي تمر بروم وسواسون عرضة لمدافع قلعة فيردون الفرنسية وكانت مدافع قلاع تيونفيل ولونسكوي ومونميدى وميزير تتمكن من اصابة طرق أخرى حال كون الالمان كانوا ملازمين أن يبقوا في قلعة ميتس وفالسبرج جنوداً كثيرين للمحافظة وكان ذلك جميعه يسبق اجراءات الالمان وينضمهم عن جمع جيش جرار في ظاهر باريز في وقت قصير . وقد قررت جريدة الكواترلي ريفو ما يأتي عن مرا كز الالمان ووسائل اقامة المخبرات بين جيوشهم عند اقامة حصر باريز وهو أن صدور المخبرات كان من أمكنة واقعة بين سار بروك في الشمال وبين بازل في الجنوب وكان في هذه الاماكن كل القلاع المنيعة خلا ستراسبورج منها ميتس وتول وفردون وتيونفيل وغيرها وكان الالمان يقومون بحصر هذه القلاع عند ما فتحوا سيدان . وكانت الجهة الجنوبية من الاماكن المذكورة مركزاً لحركات الجنود التي كانت تقوم بحصر ستراسبورج والتي قامت بعد ذلك بحصر شلستاد ونوبريزاش وبلفور وغيرها وبالحركات الحربية في جهات بيزانسون . وكان للجيش الذي كان يقوم بحصر باريز مركز آخر لحركات الجنود التي كانت تمتد الى جهة اورليان وشارتر ودررو وافر وواميان وسان كاتين وغيرها وكان المقصود من استخدام هذه الجنود في الاماكن المجاورة لمركزها أو

التي هي أقرب اليها من غيرها جمع الزاد للجيش المركزي ومنع هجوم الجيوش
الفرنساوية التي كانت الامة شارعة في اقامتها في أما كن كثيرة اه
هذا ولا يخفى ان تلك الاحتياطات الالمانية تبين ان الجيش الالمانى الذي كان
في ظاهر باريز كان عرضة لهجوم غير الباريزيين عليه ولذلك كان قوادهم متيقظين
على الدوام لمصادمة كبسات الاعداء وان الالمان كانوا يركزون الى قوتهم كما انهم
كانوا يعرفون ان للفرنساويين قوة عظيمة قادرة على أن توقع الارتباك في جيوشهم
غير أن الفرنسيين أهملوا اغتنام الفرص المناسبة ليس لانهم كانوا مفتقرين الى الشجاعة
ولكن لانهم كانوا مفتقرين الى الاتحاد والتكاتف التام في سبيل تخلص وطنهم
وعند وصول الالمان الى ظاهر باريز شرع المحصورون في اطلاق المدافع عليهم
غير أن ذلك كان يجعلهم يخسرون المهمات التي لم يكونوا قادرين على الحصول على
غيرها بدون أن يوقعوا ضرراً عظيماً في المدو الذي كان مستنداً الى قلاعهم المسلحة
ولعل الذي حملهم على ذلك تنشيط المحصورين وحشهم على الخدمة بفعل ما يدل على
انهم مشغولون بالدفاع بدون انقطاع لانه يصعب على القواد والرؤساء أن يحفظوا نظام
رجال محصورين لان محافظة الانسان على ذلك واعتصامه بالصبر الجميل إنما يكون
عندما يرى انه قادر أن يقيم الحركات التي تقتضيها ظروف حاله وانه يأتيه في غده ما يعوض
عليه خسارة أمسه من الرجال والزاد والمهمات وانه اذا دارت عليه الدوائر يقدر أن
يتقهقر بالاستناد الى ما يحميه الى أن يخرج من دائرة المخاطر . أما الفرنسيون فلم
يكن عندهم شيء من ذلك عندما باتوا محصورين في باريز مع ان الالمان كانوا حاصلين
عليه جميعه ولذلك المظنون انه لولا مداومة اطلاق المدافع وتشغيل الرجال بالاستعداد
للخروج لمصادمة الاعداء ومحاربتهم لمضى أهالي باريز الحكومة وكدروا نظام
الدفاع وراحة العاصمة . ولا يخفى ان اطلاق المدافع لم يأت بنتيجة وكذلك نتيجة
خروج الجنود ومصادمتهم للالمان في ظاهر المدينة كانت قليلة الاهمية .

ولا يخفى ان الالمان كانوا يعتقدون بانهم كانوا قادرين أن يخضعوا الباريزيين بالجموع وان صرف الوقت للحصول على النتيجة هو أوفق من اهراق الدم وعلى الخصوص لان الفرنسيين كانوا مازمين أن يقوموا بالمصاريف اللازمة وكان كثيرون من أهالي باريس ومن أهالي القرى المجاورة لها الذين كانوا قد التجأوا اليها وباتوا محصورين فيها يطلبون الى الالمان بالحاح أن يسمحوا لهم أن يخرجوا من المدينة غير أنهم لم يسمحوا لهم بذلك لانهم كانوا يعلمون انه كلما كثرت عدد المحصورين يقصر زمان الحصار لان زادهم ينفذ في وقت قصير . وقد قيل ان قواد الالمان كانوا يوصون الجنود بالامتناع عن أسر الفرنسيين الذين يرون انهم قادرون أن يأسروهم عند ردهم الى العاصمة بعد القتال خارجها لئلا يقل عدد الذين يأكلون فيها وبناء على ذلك تقول انه ربما كان قد تمكن مئات من الجنود الفرنسية اذا لم تقل الوف منهم من النجاة من الاسر ليقعوا في ضيق الحصر . هذا ويخطئ من يقول ان الفرنسيين كانوا يرجعون بالفشل على الدوام عن الجيش الذي كان يحاصر عاصمتهم عند ما كانوا يخرجون ليقا تلوه في ظاهر باريس فانه في ٢٧ ايلول (سبتمبر) صدمت فرقة فرنسية من جيش الحرس ثلثة بروسيا في مكان يبعد قليلا عن الجهة الشمالية من باريس اسمه كلرمون وكسرتهم على ان عدد الفرنسيين حينئذ كان أكثر من البروسيين . أما الالمان فكانوا يبادرون الى الانتقام من الفرنسيين عند ما كانوا يتمكنون من قهرهم في الخروج من باريس ففي تلك المرة رجع البروسيون بعد ان انكسروا وأتوا بمدافع واطلقوها على اطراف قرى كثيرة ثم فتحوا قرية كلرمون وأحرقوها . وفي شهر ايلول (سبتمبر) عرض الالمان على الفرنسيين التسليم مرات كثيرة وطلبوا اليهم ان يسلموا القلاع التي كانوا لا يزالون غير متمكنين من فتحها . أما الفرنسيون فكانوا يجيبون اننا لا نسلم مادام عندنا رجل واحد فيه روح

وفي ٢٧ ايلول (سبتمبر) وجد الالمان الاسلاك البرقية التي كانت جارية بين باريس

وبين جنوبي فرنسا تحت الارض وقطعوها وهكذا امست باريز منفصلة عن البلاد الفرنسية وفي ذلك اليوم قطع الالمان طريق نهر السين فوق نانت في مكان في غربي باريز يبعد عنها نحو ثلاثين ميلا وهذا اضربها جداً . وفي ٣٠ من الشهر المذكور خرجت الجنود الفرنسية من المدينة خروجاً عظيماً من مكانين وكان خروجهم عند شوازي لوروا . وعند مورون وكان الجنرال فينوا قائد الجيش في المكانين والذين خرجواهم فرقان من الجنود المنظمة وكثيرون من الحرس الوطني والعسكر الاحتياطي . واعظم خروجهم كان عند شوازي لوروا فانه قد قيل انهم طردوا الالمان من شفيلى وايلي واستولوا عليهم ما ثم ساروا الى ان وصلوا الى شوازي لوروا . وعند ذلك منعهم الالمان عن التقدم وارجعهم فرجعوا بترتيب وهم يطلقون باجتهاد وسرعة اسلحتهم على فرقة المانية كانت تطلق المدافع عليهم فشكر الجنرال تروشومة اوائك الجنود الفرنسية ومدح كل المدح شجاعتهم وثباتهم وخصص بالمدح الجنود الاحتياطية التي لم يكن لها اختبار في فنون الحرب . وقد قال الالمان ان اشد هجوم الفرنسيين كان على الفرقة الخامسة والسادسة من جنودهم وعند اشتداد ذلك الهجوم هجمت فرقة فرنساوية على فرقة ولي عهد ملك بروسيا وهي الفرقة الحادية عشرة فبقى ولي العهد المشار اليه مدة القتال بطولها في ميدان الحرب وبعد ان قاتل الفرنسيون قتالاً شديداً ساعتين ارتدوا وملتجئين الى قلاعهم بعد ان قتل كثيرين من الفريقين ولا نعرف من منهما تكبد الخسائر الاشد . اما خروج الفرنسيين عند مورون فلم يصادف النجاح الذي صادفه خروجهم المذكور ومع ذلك قاتل الفرنسيون بنشاط وغيره وكان ذلك واسطة لتنشيط الباريزيين وتشديد أملهم

أما الالمان فجعلوا مركزهم الاول في فرساليا وهي مدينة تبعد عن باريز تسعة أو عشرة أميال . وفي ٢٦ ايلول (سبتمبر) وهب ولي عهد بروسيا صلباً كثيرة حديدية علامة لشجاعة حاملها

وعند مارأي الجنرال مارآه من ثبات المحاصرين وقوتهم وحالة باريز خاب أملاه

من التمكن من ان يدافع عن العاصمة الى ان يضجر الالمان من حصرها ويرجعوا عنها اولى من يطردهم من ظاهرها على أنه من المؤكد ان ذلك الجنرال قرر كيفية للدفاع منذ ابتداء الحصار وحافظ على تنفيذها الى نهايته والمظنون انها أحسن كيفية يمكن تقريرها في تلك الظروف وعدم نجاحها ليس ببرهان على عدم موافقتها . وقبل ابتداء الحصار عرف ان الالمان لا يحاولون منذ البداية ان يفتحوا باريز بالقوة ولذلك صمم على أن يبقى ملتجئاً الى قلاع العاصمة وان يخرج لمهاجمة المحاصرين حيناً بعد حين منتظراً اقامة جنود في داخلية البلاد ليتمكن من ان يتحد معها في العمل بعد أن يكون قد تم تنظيمها وتجهيزها فانها كانت عازمة على أن تهاجم المحاصرين في وقت واحد من جهات كثيرة حال كون المحصورين يهاجمونهم من داخل فيلزموهم ان يرتدوا عن العاصمة . النقص في هذه الكيفية محصور في أمر واحد وهو ان تروشو كان يظن ان عند أهالي أواسط فرنسا وجنوبها من حب الوطن والفيرة أكثر مما ظهر من ذلك منهم عند الامتحان وانهم قادرون على تجهيز جيوش وتعليمها مع ان كل تجهيزاتهم وأعمالهم كانت غير خالية من النقص الذي يأتي بسوء العواقب ولذلك كانت تلك الجنود الجديدة غير قادرة ان تصادم جنود الالمان المجربة والمتعودة القتال والكفاح . وقد قيل ان مهمة الجنرال تروشو كانت دون المطلوب وعلى الخصوص في ابتداء الحصار لانه لم يكن يخرج لمهاجمة المحاصرين مع أنه معلوم أن ذلك يوقعهم في الارتباك اذا لم نقل انه يأتي بنتائج قاطعة اما الباريزيون فكانوا يعتقدون في أول الامر انهم قادرون على الثبات الى أن يلتزم الالمان أن يرجعوا عنهم بدون ان يدخلوا عاصمتهم ولذلك كانت أحوالهم حينئذ تسير كأنهم راتعون في سلام تام . ومع أن قاعات التشخيص باتت مقفلة كان لا يزال فيها من الملاهي ما يقصر القلم عن وصفه فانهم كانوا يقيمون احتفالات وطنية أى يجتمعون ويسرون بالرايات ويخطبون خطباً موضوعها حب الوطن ووجوب بذل الدم في الدفاع عن الزمار وكانوا يسرون اجواقاً اجواقاً في

الاسواق ذكورا واناثا واضعين أيدي بعضهم في أيدي البعض الآخر وسائر ين
بالحب والانشراح في الشوارع . فماذا يترى قال العالم عن باريز وهي في تلك الحال
وماذا قالت بروسيا فانهم كانوا جامعين بين ذلك وبين طلب القاء القبض على
الجواسيس وعلى من كانوا يظنون انهم جواسيس وكانوا يقتلون بعضهم بدون أن
يحملوا انفسهم اثقال البحث هل هم فعلا من الجواسيس أولا هذا خلا الاضطراب
الدائم الذي كان في العاصمة فان تعليم الجنود كان جاريا بلا انقطاع وكذلك ذهاب
القوم الى الاسوار لمشاهدة حركات المحاصرين وغير ذلك بالمسكبرات

وبعد ذلك بمدة قصيرة وجد الباريزيون انه لا بد من الاهتمام بما يمنع فراغ الزاد
فبييت الاهالى في جوع شديد . وكانت الحكومة قد وضعت سعرا للخبز واللحم منذ
أوائل الحصار . ومع ان الاهالى كانوا يتكلمون عن أكل لحم الخيل والكلاب المهررة
والفيران لم يكن احد منهم يظن انهم سيضطرون ان يأكلوا ذلك . وبالجملة تقول
انه عندما امسى أهالى باريز محصورين تجدد عزيمتهم بعد ان كان قد ضعف قبل ذلك
بواسطة انتصارات الالمان مع ان اعداءهم كانوا يفوزون على الدوام وكانوا وهم محصورون
داخل أسوار عاصمتهم يتصورون حلول الرزايا والبلايا والويلات الجديدة على
أعدائهم وان جيوشهم الجرارة القوية أصبحت مشتتة الشمل ومكسورة بحيث
تهلك كلها قبل ان تتمكن من الخروج من فرنسا فتبقى مدفونة فيها . وياليتهم اكتفوا
بذلك فانهم كانوا يعتقدون بانهم سيتمكنون من فتح المانيا ودخول برلين وحينئذ يقررون
الصلح الذي يوافقهم ومع ان اكثرهم كانوا يعتقدون بانهم سيحصلون على ذلك كانوا
يقولون اذالم نفز نموت رجلا فرجلا وامرأة فامرأة ثم ولدا فولدا فانهم كانوا عازمين
اما على الحصول على الفوز واما على الهلاك . فبهذه هي الافكار التي كانت تخطر
لاهلالي باريز وهم في تلك الظروف .

أما فيكتور هيكو الكاتب المشهور الذي ذكرناه فكتب الى الالمان في خطبه

العمومية بان يفعلوا كل ما يتمكنون من فعله وقد قال في خطبة من خطبه ما يأتي :
 لقد وصلتم الى ظاهر أسوارنا وحصوننا ولذلك صارت حربكم حربا ظاهرة تليق
 بالرجال فانكم امسيتم لا تقدرون أن تكسونا ولا أن تكسرونا بالاستتار بظلام الليل
 وبالأحراش الملتفة بحيث تصيرون قادرين على أن مهاجمونا بجيوش يفوق كثيرا عددها
 عدد جيوشنا وهكذا قد امسيتم بالظلام وبالأحراش وبلا حيل ومكر فانكم ستقابلون
 الأسد وجها لوجه فلا يفيدكم المسير شيئا فشيئا فان الموتى يقدرتون أن يسمعوا صوت
 مشيكم فان باريز تراقبكم وفي يدها صواعق الهلاك وسترمى بها جيوشكم الكثيرة وبعد
 برهة قصيرة ستقابلون بطلا وكان اسمه غالبا عند ما كان اسمكم البروسيان البرابرة
 أما الآن فاسمه فرنسا واسمكم فاندال * أما باريز التي عادت بها اقامة الملاهي للبشر فستقيم
 الرعب الآن في قلوبكم وستقف الدنيا دهشة عند ما ترى العظمة التي بها تقدر باريز أن
 تقابل الموت .

هذا ومن طالع هذه الخطب ووقف على تلك الاعمال والاقوال يقول ان الفرنسيين
 أمة شأنها الافتخار بالباطل على ان الذي يمنعنا عن أن نقول ذلك ما نعهده من انها أمة
 باسلة وتحب وطنها . ومن الامور الغريبة ان أهالي باريز كانوا يصدقون ما كان كتابهم
 يسمعونهم اياه من مدحهم حتى ان كلا منهم وهو محصور كان يخيل له انه أصبح
 بطلا فاتكا تهتز الارض عند ذكره وان فرائص الالمان ترتعد كلما سمعوا ذكر اسمه
 ومع انهم كانوا يتصرفون هذه التصرفات الصبائية كانوا جميعهم ذكورا واناثا يقومون
 بما يخص مدينتهم المحبوبة من الخراب والسقوط حتى انهم أفرغوا الجهد في هذا السبيل
 ولذلك استحقوا الثناء على الذي حصلوا عليه . اما الآن فلا بد من أن نتركهم تحت
 الحصار لنقرر أمورا أخرى كانت تجري في تلك الاثناء :

لا يخفى ان الحرب ومسير الالمان في ولايات فرنسا الشمالية الشرقية جعلها أهالي هذه
 الولايات يمسون في أسوأ حال من الحروب وفعل نيرانها وجنودها قذبا توبا في فقر وضيق وشعروا

بفعل الجوع الخفيف فيهم بعد ان كانوا في رخاء ولذلك تحررت تقارير في براية من ولاية الموزل ليصير ارسالها الى كل الامم المحافظة على الحياد والى المانيا وعلى الخصوص الى انكلترا وأميركا وما لها اظهر حال تلك البلاد التي دخلها الالمان وعلى الخصوص أهالي ولاية الموزل والموز والمورث والاردن وطلب بلجاجة وشدة توسل الاسعاف لتخليص النفس وليس لاهلاكها وتقرر فيها ثناء عظيم على الذين يأتون ميدان الحرب لاسعاف الجرحى والمرضى الذين وقعوا في الويل بسبب الاشتراك في الحرب وقالوا بحزن يبين شعورهم بويلهم ان من الاهالي من يحتاج الى المساعدات بدون أن يكون من الجنود فان كثيرين من الاهالي وقعوا في ضيقات وشدائد تفوق ضيقات الحرب وشدائدها فان بساتين ومغروسات وحقولاً كثيرة أمست خربة خالية من كلاً كان فيها ومخازن محصولات كثيرة باتت فارغة فان الجنود نهبتها وقالوا ان بيوتاً كثيرة ومخازن وغيرها أمست مهدمة فان السكرات دخلتها وحرقت بعضها وهدمت البعض الآخر وان الالمان المتصرين أخذوا من بقرهم وخيلهم وغنمهم وخنازيرهم وغيرها وانهم يلزمون كثيرين من الفعلة الفرنسيين ان يشتغلوا أشغالهم ويتركوا نساءهم وأولادهم لموتوا جوعاً وان الاهالي باتوا لا يملكون البذر اللازم لزرع حقولهم في السنة القادمة هذا اذا تمكنوا من زرعها وان أميالا كثيرة من الاراضي أمست لا تصلح للزرع لان أجساد القتلى مدفونة فيها بدون أن يكون فوقها من التراب ما يعطيها وان الجوع أخذ يفعل في الفلاحين المنكودي الحظ وان الظاهر ان الجوع والامراض هي نتيجة الحرب عندهم فان صراخ الاولاد الجياع قد ابتدأ يكدر مسامع والديهم الذين لا يقدرون أن يخلصوهم من فعله وان دموع الارامل والايتام الذين باتوا بلا مأوى قبل الارض التي بات أزواجهم وأبائهم مدفونين تحتها لانهم يحمّلون شدة الجوع فضلاء عن شدة الحزن من جراء قتلهم وكان في هذه التقارير أمور مؤثرة جامعة بين الصحة وطلب المساعدة من الجنس البشري كله وفي ختامه خطاب باسم أهالي انكلترا وأميركا ذكروا فيه انهم يطلبون الى انكلترا

أن تسعفهم لأنه لم يدخلها العدو محارب منذ دخلها وايم النبروجي عند ما غلب هراولد في هيسنز منذ ثمانية قرون والى الاميركان لانهم ولئن كانوا قد خضعوا للاعداء وذاقوا مرارة الحروب منذ برهة قصيرة قد رجعت قوتهم اليهم لان بلادهم واسعة وغنية طبعاً مع أن فرنسا ضيقة وفقيرة طبعاً بالنسبة اليها وقد ختموا هذا الخطاب بطلب المساعدة من جميع العائلة البشرية في كل الدنيا حتى من الالمان المنتصرين فانه قيل في ذلك الخطاب انه لا ريب في ان لالمان لا يرغبون في أن تباد الامة الفرنسية المغلوبة .

وأضى هذا التقرير حاكم برايه وأكثر اكابر أهالي المدن والقرى الفرنسية الواقعة بالقرب من ميتس ونانسي وسيدان وغيرها من الالمان التي حلت بها نوائب الحرب مع خدمة دينهم . وكان كل من يقرأ هذا التقرير يحزن جداً على انه لم يأت في بعض الالمان بمساعدة مادية تستحق الذكر . وأثر جداً في انكلترا واسيركا وعلى الخصوص في انكلترا حتى ان كثيرين من الانكليز بادروا على الفور الى ارسال أموال كثيرة احساناً الى مدير الجريدة الذي طبع هذا التقرير قبل غيره وهذا مصدر المال المسمي بمال اعانة فلاحى فرنسا ومما يسرنا ان نقول ان الذين اشتركوا بهذا الاحسان قد نالوا نتيجة عظيمة فانه بواسطة كرمهم قد خلصوا مئات من العيال المنكوة الحظ من احتمال الضيقات والشدائد التي يصعب على القلم أن يقوم بوصفها وقد خلصوا كثيرين بعناية الله من الموت جوعاً كما انهم منعوا امتداد الويل فانهم مكثوا الفلاح الذي بات بلا بذار من الحصول على البذار الذي هو مصدر ما يقوم باوده وأود كثيرين معه وامتدت هذه المساعدات الى اكثر من أربعين مقاطعة وفضلاً عن ذلك قد صار توزيع خبز ولحم وملابس وآلات وأثاث وأدوية وأجرة بيوت على كثيرين من أولئك الفقراء ودام ذلك ستة أشهر وصرف في سبيل تقديم هذه الامور الثانوية نحو ١٦ ألف ليرا وكان يتوزع كل اسبوع ٣٤ ألف ليرا من الخبز والفاليرا من اللحم على الالهالى والليرا اقل قليلاً من نصف أقة . وفي ١٩ اذار (مارس) سنة ١٨٧١ قرر مجلس البلدية في سيدان انه

يشكر انكلترا على كرمها ومبادرتها الى مساعدة المحتاجين . والمساعدة التي حصل عليها فلاحو فرنسا بواسطة هذه الجمعية لا يجاد البذاروما أشبه ذلك هي خلا المساعدات التي حصلت عليها فرنسا عمومياً من انكلترا في وقت الحرب فان تلك المساعدات وحدها أي الغير المختصة بالسعاف الفلاحين هي اربعمائة ألف ليرا انكليزية وهذا مبلغ عظيم وذلك مع قطع النظر عن المساعدات الكثيرة الانكليزية التي حصلت عليها باريز بعد رفع الحصار فان انكلترا قدمت لها ما كلاً ومشرباً وملابس وادوية واثاثاً وغيرها

وكان ملك بروسيا يحب أن يبقى قسماً من جيشه مشغلاً حال كون بعضه كان مقيماً حول اسوار باريز للقيام بحصرها ولذلك عزم على ان يهاجم مدينة سواسون وقلاعها فحل الألمان في ظاهرها في ٢٨ ايلول (سبتمبر) وبعد ذلك بفترة قصيرة اضرمو النار في البيوت المبنية حولها ومع انه حدثت معارك كثيرة صغيرة في ظاهرها لم يصر الشروع في المهاجمة شروعا صحيحاً الا في ١٢ تشرين الاول (اكتوبر) وفي ١٥ منه دخلها الالمان وكان المقصود من فتح هذه المدينة العلاقات التي كانت بين الالمان كن المجاورة باريز وبين عاصمة البلجيك

اما ميتس فلم تسلم الا في ٢٨ من شهر تشرين الاول (اكتوبر) وقد قال المرشال بارزين ان الذي حمله على الاستسلام انما هو رغبة الالهالي في ذلك لانهم كانوا يكادون يهلكون جوعاً . وكان قد فر مراراً كثيرة بجيشه واقام قتالاً بين اواخر شهر ايلول (سبتمبر) و ٢٨ تشرين الاول (اكتوبر) وتمكن من ان يضر بعض الضرر بالعدو . وقد قال كثيرون انه لو أراد المرشال بارزين لخرج وقاتل الاعداء اكثر مما قاتلهم وأوقع بهم اضراراً لم تلحق بهم وانه لما كان قائداً لما تاف جندي كان يهون عليه ان يخرق صفوف المحاصرين وينجو بجيشه بعد ان يبذل الجيش الذي كان يحاصره فانه لما كانت أعمال الالمان كثيرة في وقت واحد كانوا يلتزمون احياناً عديدة ان يأخذوا من جيش حصر ميتس لمحاربة الفرنسيين في اما كن أخرى ولذلك كان يبيت جيشهم في ظاهرها تلك المدينة ضعفاً هذا وكان أهالي

ميتس يعامون ان داء الاسهال وغيره من الامراض كان يفعل افعالا مهلكة في جيش
الالمان المذكور وانه كان يبيت احيانا في احتياج الى الزاد . ومن اصعب الامور الوقوف
على الحقيقة من كتابات الكتاب الذين كانوا في ميتس فانها متناقضة فيما يتعلق بتصرفات
المرشال بازين وقد تناقضت كتابات الفرنسيين انفسهم بهذا الشأن وهكذا نرى ان
البعض يقول انه خائن شرير والبعض الاخر انه محب لوطنه وذو حكمة ومعارف في
فنون الحرب فانه افرغ كل الجهد في سبيل المحاربة عن المدينة التي حصر فيها ومن الفرنسيين
من يقول انه رجل بوربوني خائن فانه يفضل أن يطرح بلاده في الويل على أن يخدم
حكومة جمهورية وانه جبان فانه كثيرا ما كان يعرض جيوشه لخطر لم يكن يتجاسر أن
يعرض نفسه له وانه على غير ثبات وقليل العزم فانه كان قادرا أن يخرج لمحاربة
الاعداء مرات كثيرة بحيث يجعلهم غير قادرين على الثبات في حصر المدينة ومنهم
من يقول انه ذواهلية واختبار يعتني براحة رجاله ويحافظ عليهم والذي يمنعه عن
الخروج بهم للقتال انما هو لانه كان يعلم أن خروجهم ينقص عددهم ولا ينفع البلاد .
هذا ما قيل عن المرشال بازين ولا بد من تأخير الحكم القطعي بهذا الشأن الى ان يصدر
حكم المجلس الحربي الذي أقيم ليحاكمه (أنظر صفحة ٦٣) على ذلك فان الامة
الفرنساوية أثبتت الا أن تفحص عن صحة التهمات التي وقعت على قائد عظيم من قواد
جيوشها لتبرئه اذا كان بريئا وتعاقبه اذا كان مذنباً بحيث يكون عبرة لغيره من القواد
وفي أواسط ايلول (سبتمبر) أتى رجل فرنساوى اسمه دنيه من هستنز وهو
المكان الذي كانت قد أقامت فيه الامبراطورة اوجيني امرأة الامبراطور نابليون
في انكلترا بعد ان هربت من فرنسا وطلب أن تسمح له بمقابلتها . وبما انها لم تكن
تعرفه تمنعت عن اجابة طلبه فلم يحظ بمقابلتها على ان الرجل المذكور ترصد البرنس
امبريال ابنها واجتمع به وهو يتمشى طلبا للتنزه وأخبره باسمه وأظهر له شدة تعلقه
بالعائلة البونابرتية وبالغ في مودته واحترامه فسر بذلك البرنس حتي انه وهبه صورته



الجنرال بورباكي

بعد ان كتب عليها بخط يده . و بعد ان حصل عليها خرج من هستنزوسار الى أن وصل الى الجيش الالماني النازل في ظاهر ميتس وتمكن من الحصول على اذن ليدخل المدينة المحصورة فدخلها واجتمع بالمرشال بازين وقال له انه رسول الامبراطورة المذكورة وأتى بشهادة على ذلك صورة ابنها البرنس وخط يده عليها وانها أي الامبراطورة تحب أن يذهب اليها المرشال كانروير او الجنرال بورباكي لانها تحب أن تبلغه أموراً مهمة تتوقف نتيجة الحرب عليها وان أهمية ذلك منعها عن أن تخبره برسالة خوفا من وقوعها في أيدي الاعداء . فسار الجنرال بورباكي قاصدا انجلترا وكان يمر في وسط جيوش الاعداء وهو يظن أن المخاطر تحيط به من جميع الجهات مع ان ذلك حدث بمعرفة قائد الجيوش الالمانية . فلما وصل الى انجلترا بلغ الامبراطورة بأنه هرب من ميتس فاجتمعت به وقد تقرر انه عند ما أخبرها بما جرى قالت انه لا علم لها بذلك . وان الظاهر انه قد بات مخدوعا بحيل شريرة ذات مقاصد خبيثة . وقد قال آخرون ان ذلك لم يحدث كما تقرر فان الالمان سمحوا للجنرال بورباكي بأن يخرج من ميتس للقيام بمأمورية سرية متعلقة بصوالح الامبراطور نابوليون وانه لم ينجح فرجع . على انه ولئن كان قد وصل الى أسوار المدينة لم يدخلها فانه تبع الجمهورية وعرض عليها خدماته فقلدته قيادة جيش كانت قد جمعت في أثناء الحرب وهذه هي نهاية هذا الامر السرى الذى كان موضوعا لكلام كثير عند حدوثه ولا يزال موضوعا للتخمين . على انه من المؤكد ان الالمان كانوا يقولون انهم يحبون ان يعقدوا الصلح ولكنهم لم يكونوا يرتضون بعقده مالم يحصلوا على كل ما كانوا يرغبون فى الحصول عليه وان المسيو دنيه المذكور اجتمع بالبرنس بسمارك وقال له انه من الفرنساويين أصحاب الاملاك الذين يقطنون انجلترا وان كلامه مع البرنس بسمارك كان عن ترقية أسباب عقد الصلح وقد قال ان الامبراطورة المذكورة كانت قد فوضته باجراء المخاطرة بهذا الشأن مع انها كانت قد هربت من بلادها وقطعت انجلترا فأجاب البرنس بسمارك المسيو دنيه بما يأتى :

ياسيدي من يا ترى من الفرنسيين يقدر أن يخبرنا عن عقد الصلح أما نحن فقد
 غالبا ولذلك قد صممنا على الارتفاع بما فرنا به بحيث نمنع فرنسا عن أن تخار بنا قبل مضي
 زمان طويل اذا لم نقل اننا نمنعها عن ذلك الى الابد ولذلك لا بد من أن نصر على طلب
 بعض الاملاك الفرنسية وعلى تغيير الحدود . ولا يخفى ان في فرنسا الآن حكومتين
 حكومة قانونية أي حكومة الامبراطور نابليون وكان البرنس بسمارك يعدها الحكومة
 الاصلية لان الامبراطور لم يترك الملك ولكنه خلع عنه . والحكومة الاخرى الحكومة
 الموقته (حكومة طور) وما دامت على هذه الحال لا تقدر أن تخبر احداها بخصوص
 عقد الصلح لان الامبراطورة أوجيني هي وكيلة الامبراطور القانونية وهي خارج فرنسا
 ولا تتدخل في الاعمال والحكومة الموقته لا تقبل بان تعطينا أرضاً . ولكنها تطلب أن
 تستشير فرنسا . أما نحن فنقدر أن نصبر فان لنا في البلاد الفرنسية أربعة ألاف
 رجل وعند ما تسلم ميتس وغيرها من القلاع يصير عندنا فيها للقتال من خمسمائة الى ستمائة
 ألف جندي فيقدرون أن يصرفوا الشتاء فيها وعند ما نرى حكومة أصلية نخبرها بهذا
 الشأن ولا يلزم الآن أن نطلب ما نرغب الحصول عليه من الاراضي لان حكومة طور
 لا تقبل أن تسمع شيئاً عن اعطاء أراضي . وفي نفس ذلك اليوم اجتمع البرنس بسمارك
 بمسيو جول فافر وزير خارجية فرنسا فشكلما بخصوص عقد الصلح بدون الوصول الى نتيجة .
 وفي ٢٣ ايلول (سبتمبر) اجتمع المسيو دنيه المذكور بالمرشال بازين في ميتس فقيل له ان
 القلعة أي ميتس لا تقدر أن تثبت في الحصار الى ما بعد ١٨ تشرين الاول (اكتوبر)
 وثباتها الى ذلك الوقت انما يكون باكل الجنود لحم الخيل ولذلك قال المرشال بازين
 انه مستعد ان يسلم اذا سمح له الالمان بأن يخرج من المدينة بجيشة ومدافعه ومهمات
 بشرط ان لا يحارب الالمان مرة أخرى . فأخبر المسيو دنيه البرنس بسمارك بذلك وعند
 ذلك بعث رسالة برقية الى المرشال بازين يسأله بها هل فوض المسيو دنيه أن يخبره
 عن التسليم فاجاب بازين بأنه لا يقدر ان يجيبه بالاجاب . وهكذا انتهت هذه المداخلة

الخيرية وربما كان لم يخطر ببال أحد قبل موسيو دنيه أن يقيم مخاضرة ذات أهمية حال كونه بلا مأمورية ومن السالكين خارج بلادهم وقد قال انه كان يتداخل من تلقاء نفسه وانه وإن كان يقيم المشابرات باسم الامبراطورة فان ذلك بدون ارادتها ومن المؤكد انه كان يجب أن يرجع الامبراطورية النابوليونية لانه لو تمكن من ذلك لوصل الى درجة عالية من الرفعة والسلطة .

أما الالمان فكانوا يعلمون انه لا بد من أن تسلم ميتس بسبب الاحتياج الى الزاد وبما انهم كانوا يعرفون ان ميتس لا تؤخذ بالهجوم وانهم قادرون ان ينتظروا الى أن تسلم من الجوع أمرهم الملك غيليوم بالامتناع عن اطلاق المدافع على المدينة اطلاقاً يضرب جداً بالمحصورين بدون أن ينفع المحاصرين ولذلك اكتفي باصدار الاوامر باقترب الجيوش من أسوار المدينة لمنع الفرنسيين عن الخروج لمهاجمتهم . وكان من المنتظر أن يكون في ميتس من الزاد ما يكفي جيش باريز الذي كان عدده ١٨٠ ألفاً مدة طويلة . علي ان هذا الجيش اضطر أن يذبح أفراسه ليأكل لحما وكان ابتداء ذلك في أواسط ايلول (سبتمبر) . أما الالمان فكانوا قد تمكنوا من الاقتراب من المدينة وكانوا يتسللون حيناً بعد حين باطلاق مدافع على المدينة المحصورة . وكان زادهم غالباً كافياً حتى الكفاية ولذلك كانوا معتمدين بالصبر الجميل يصرفون أوقاتهم بالسرور والتمتع بأموال أعدائهم فكانوا يقيمون الولائم وماكب الرقص واجتماعات الفناء وغيرها هذا مع انهم كانوا عرضة لأمراض كثيرة منها الاسهال والحمى . وكانت مدافع القلاع الفرنسية تسدحهم في بعض الاحيان غير أنها كانت قليلة الفعل . وكان نزول الجيش الألماني في مكان قريب من الجيش الفرنسي حتى ان كلا من الجيشين كان يسمع صوت الموسيقى التي كانت تصدر عند الجيش الآخر وكثيراً ما كان الضباط يقيمون السلام وهم في طليعة الجيش مثلاً كان الضابط الألماني يرسل رسالة صغيرة مع جندي ألماني فيذهب بها الى القرب من المكان الذي يكون فيه الضابط الفرنسي

ويضعها تحت حجر ومآلها طلب قنينة من الشامبانيا (وهو نوع من النبيذ المكر الفاخر) فيأتي الضابط الفرنسي بالقنينة ويضعها في مكان مناسب مع رسالة أخرى مآلها طلب ملح من الضابط الألماني لانه كان قد قل جداً في ميتس فيبعث اليه به وهكذا . أما مستررو بنسون مكاتب جريدة المانشستر كارديان فالتزم أن يدخل مدينة ميتس هو والجيش الفرنسي الذي كان قد التجأ اليها بعد معركة كرافلوت وهو الذي خطر له ببال أن يرسل مركبة هوائية من ميتس . فآخبر بذلك بعض الضباط فاستحسنوا رأيه وصار عمل المركبة الاولى في ٤ ايلول (سبتمبر) واشعلوا النار فيها بقش خفيف يابس لان الفحم كان قليلا ولذلك لم يقدرُوا ان يستخدموا الغاز فنجح العمل على ان المركبة الهوائية خربت فصنعوا غيرها ووضعوا فيها ثمانية آلاف تحرير وذلك في ١٥ ايلول (سبتمبر) وعلقوا خارجها تحريراً مآله ان الذي يجدها يقبض مائة فرنك اذا أوصلها الى أقرب مركز البوسطة منه فسارت الى الجهة الجنوبية وكانت تقطع نحو ثلاثين ميلا في الساعة و بعد ذلك صنعوا مركبات كثيرة كبيرة من منسوجات قطنية وكانوا يملأونها بالهواء بمنافخ ضخمة وكان في المركبة الثانية ٤٥ ألف مكتوب غير أن الألمان أطلقوا الرصاص عليها وأصابوها فسقطت بين عساكرهم فحجزوا المكاتب على ان غيرها من المركبات نجحت اكثر منها وأرسلوا معها حمام بطاق ليبحثوا معه أجوبة المكاتب على ان البروسيين تمكنوا من الوصول الى المركبة واكل الحمام ولذلك تمنعوا عن ارسال غيرها وفي ٣ تشرين الاول (اكتوبر) أرسلت المركبة الاخيرة وفيها أكثر من ١٥٠ ألف رسالة .

والظاهر ان المرشال بازين خابر القواد الألمان مرات كثيرة بخصوص التسليم . ففي أول الامر طالب اليهم أن يسمحوا له بأن يخرج بجيشه خروج جيش غير مسلم فرفضوا اجابة طلبه . وبعد ذلك طلب أن يسمحوا له بأن يخرج بجيشه بلا أسلحة فاجابوه أنهم لا يقبلون الا بان يسلم اليهم بدون شرط كما سلمت الجيوش في سيدان .

هذا ولا تقدر أن تقول انه لا ريب في انه خابر الالمان مخبرة سرية بخصوص أمور متعلقة بالتسليم وبالامبراطورية * هذا وقد تقرر انه تمكن ستمائة جندي من الفرنسيين من أن يهربوا من ميتس في اثناء الحصار وانهم كانوا يختبئون في الاحراش اثناء يراهم الالمان ثم يسيرون الى ميزير وعند ما بلغ هذا الخبر باريز ظن القوم ان باريز تمكن من الفرار . وفي ٧ ايلول (سبتمبر) بلغ ميتس خبر تسليم سيدان فكذبوا ذلك في أول الامر . على انه في ١١ من الشهر المذكور أدخلت جريدة المانية سرا الى المدينة وانتشرت كل الاخبار المتعلقة بكيفية تسليم سيدان وغير ذلك من الحوادث المكذبة التي كانت قد جرت . ومع ذلك كان الجنود يترددون عن تصديق الخبر مع انهم تمكنوا من قراءة تلك الاخبار في جريدة فرنسوية بعد ذلك بأيام قليلة . على انه لم تطل هذه الحال فان المحصورين رأوا من البراهين ما اكدهم ذلك ولما سمعوا باقامة الجمهورية اشتد اضطرابهم فان الذين يحبون الجمهورية انفصلوا عن غيرهم وقد قال مستر رو بنسون المذكور ان كل جيش باريز تبع الجمهورية خلا جنود الحرس الامبراطوري ولم يسر باريز بنشر خبر اقامة الجمهورية بين الجنود والاهالي لانه من المتحزين كل التحزب للامبراطورية .

وعند ذلك نشر المرشال باريز اعلانا على جيوشه وبين لهم فيه التغيرات التي كانت قد حدثت وقال في ختامه يا قواد جيوش الرين وضباطها وجنودها ان واجباتنا تجاه وطننا الذي بات في خطر لا تزال على ما كانت عليه ولذلك من واجباتنا أن نخدمه بامانة وان نجتهد في طرد الاعداء منه وفي مضادة الاميال الشريرة بنظام الهيئة الاجتماعية . هذا ومن المؤكد عندي ان ما أظهرتموه من حسن السلوك سيتغلب على صعوبة الاحوال فتزيدون مجد فرنسا . اه

هذا ولم يأت هذا الاعلان بالمرغوب ولذلك كثرت الاحزاب في المدينة وكان بعضها يضاد البعض الآخر . وكان أهل ميتس مغتاظين لان باريز لم يبادر الى خرق

صفوف الاعداء بجيشه بحيث يتمكن من الرجوع الى البلاد وكانوا يعتقدون بأنه قادر على ذلك بواسطة القوة التي كانت تحت قيادته . والظاهر من كتاب مستررو بنسون انه كان يعتقد اعتقادهم بهذا الشأن . وكان الجنود والاهالي في ميتس يظنون ان الجيش الذي كان يحاصرهم هو أقل مما هو بالفعل . وهذا ومع ان الظاهر ان بازين كان يفعل ما يجب عليه الا ان كان قادراً أن يكدر الالمان أكثر مما كدرهم المرجح ان كثرة عدد جيش المحاصرين كان يمنعه عن التمكن من خرق صفوفهم ومع ذلك خرج الفرنسيون مرات كثيرة من ميتس وقتلوا الاعداء قتلاً شديداً وبما ان الالمان كانوا لا يعرفون الزمان الذي كان الفرنسيون يقصدون أن يهاجموهم فيه كانوا يلتزمون أن يبقوا على حذر بلا انقطاع حتي انهم التزموا أن يصرفوا ٣٦ ساعة وهم متقلدون الاسلحة بدون أن يرتاحوا أوقاتاً قصيرة جداً للاكل والنوم . واشد تلك المهاجمات تأثيراً المهاجمة التي جرت في ٢١ تشرين الاول (اكتوبر) فان الفرنسيين هجموا بغتة على تيونفيل الواقعة في الجهة الشمالية من ميتس وتظاهروا بانهم عازمون على مهاجمة مرسى لوهو في الجهة الجنوبية الشرقية وكانت قلعة كيلين تطلق المدافع بلا انقطاع على الحاجر الالمانى في كلومبي . وبعد ان قاتل الفرنسيون قتلاً شديداً جداً تقهقروا الى الوراء بعد ان قتل كثيرون منهم ومع ذلك جددوا المهاجمة في اليوم الثانى وساروا الى جهة لاكرانج اوبوا وهي قرية واقعة في الجهة الجنوبية الشرقية من ميتس وكانوا يسرون ومدافع قلعة كيلين تدافع عنهم . أما الالمان فتمكنوا بواسطة الجواسيس من أن يقفوا على مقاصد الفرنسيين وقوفاً واضحاً وبناء على ذلك أقاموا الجنود في المراکز المواقفة وأقاموا الحواجز التي منعت هي والاحراش المجاورة الفرنسيين عن أن يتمكنوا من اقامة الحركات الحرة اللازمة وبعد ان تقابل الجيشان هجمت فرقة من الالمان عددها أكثر من عدد المهاجم عليهم ومراكزها حسنة وأطلقت السلاح على الفرنسيين باتصال مهلك فالتزموا أن



الجنرال شانزي

يتقهقروا ولم يتمكن الالمان من أن يطاردوهم لان مدافع القلاع كانت تصادهم ولذلك رجع الفرنسيون الى المدينة بدون أن يقيموا في ارتباك وبدون أن يقتل كثيرون منهم . ولم يقتل من الالمان غير جندي واحد وجرح ١٥٠ . وفي ٢٤ من الشهر المذكور خرج الفرنسيون بنشاط لا مزيد عليه وجددوا المهاجمة وكانت مدافعهم تسبب المشاة الذين كانوا يتقدمون بترتيب صفوف كثيرة . وكان الالمان قد عرفوا بواسطة السلك البرقي نوايا الفرنسيين المتعلقة بالمهاجمة وجمعوا جيوشا كثيرة في الاحراش التي كانت تسترهم ومع ذلك كانت قلاع كيلين الفرنسيات تطلق عليهم المدافع . وبعد ذلك بمدة قصيرة أخذت قلعة لا بوت في اطلاقها ثم ابتدأت المدافع الراشة الخفيفة ان تطلق كراتها على الاحراش المذكورة . فقتل كثيرون من الالمان وكذلك من الفرنسيين وبعد ذلك ببرهة قصيرة عرف الالمان ان الفرنسيين كانوا يخذعونهم في ذلك فان قصدهم الصحيح هو أن يسيروا الى جهة تيونفيل تحت قيادة المارشال بازين نفسه وكان الالمان يتقهقرون من جميع الجهات على انهم تمكنوا من الرجوع الى مواقعهم بعد الغروب ببرهة قصيرة ومن ارجاع الفرنسيين الى جهة المدينة . فتقهقروا الالمان في احدى الجهات ليخدعوا الفرنسيين وجروهم من مواقعهم ثم طبقوا عليهم من كل الجهات وأحاطوا بهم وسلبوا زادهم وأسروا سبعمائة منهم . وحاول الالمان أن يخذعوه مرة ثانية مقابل ميتس ولكنهم لم يتمكنوا من ذلك لان الاختبار كان قد علمهم وجوب بجانبه الوقوع في مثل ذلك وهكذا تمكنت بقية الجيش من الرجوع الى القلاع في ميتس

وفي اليوم الثاني الواقع في ٢٥ تشرين الاول (اكتوبر) فحص المارشال بازين الحرس الوطني والفرسان المتطوعين في المحل المسمى بلاس دارم من ميتس وفي ٢٧ منه أرسل بضع فرق من المشاة ومعهم مدافع عادية وراشة في مركبة بخارية عن طريق ساربروك الى جهة كريبي . فأسروا منها ١٢٠ بروسيلانيا ولكن بما انه لم يكن لهم ما يمكنهم من

المحافظة على الاسرى أخذوا بنادقهم وأطلقوا سبيلهم ثم هاجموا ديراً كان قد فتحه
الالمان وقتلوا كثيرين من الذين دافعوا عنه وأخذوا قطعاً كثيرة من الثيران والابقار
والغنم وكميات وافرة من السكر والقهوة والتبن والعشب اليابس وغيرها ثم رجعوا
في المركبة البخارية الى ميتس وفي ذلك اليوم بعد الظهر خرج قوم من الفرنسيين بمركبات
فارغة وكانت مدافع قلعة سان جوليان تحامي عنهم وكسوا طليعة الالمان في كولومبي
وملاؤا مركباتهم وعددها ٣٦ مركبة بالفحم الذي أخذوه من مخازن البروسيانيين
وساروا راجعين غير ان البروسيانيين أخذوا يطلقون المدافع عليهم وألزمهم أن
يتركوا كثيراً من المركبات المذكورة في الطريق ومع ذلك تمكنوا من ادخال ١٤
مركبة الى ميتس . وفي نفس ذلك النهار خرجت فرقة ٦٠ و ٩٠ من الجيش الفرنسي
تحت قيادة الجنرال وتورون وهاجموا مرسى لوهو غير ان الالمان صادموهم مصادمة
شديدة فانهم ثقبوا بيتاً كبيراً وأخذوا يطلقون البنادق على الفرنسيين منه ولما رأوا
انهم لا يقدرّون أن يصعدوا اليه لان السلم ضيق حذوا حذو البافاريين في بازيل
باحراق البيت واطلاق البنادق بدون رحمة على جميع الذين كانوا يحاولون الهرب من
نوافذه على انه لم يكن فيه نساء وأولاد ومع ذلك لا تقدر الا أن تقول ان وجودهم فيه
هو من الصدف ولذلك لا نعتذرهم في ما فعلوا وفي ذلك اليوم هاجم الفرنسيون الالمان
في ماكس ولادوشاف في عبر الموزل ولكن بدون نتيجة حسنة لهم فهذه هي أعظم
المهاجمات التي أقامها الجيش الفرنسي وهو محصور في ميتس . واذا نظرنا اليها نظراً
اجمالياً نقول انها من أكبر حروب فرنسا نجاحاً في تلك الحرب .

وبعد حرق ذلك البيت الى نهاية الحصار كان الالمان المحاصرون يحرقون في
أكثر الايام قرية أو بيتاً من بيوت الفلاحين وكذلك كان الفرنسيون لا يتجنبون
تلك الافعال القبيحة غير ان ظروفهم لم تمكنهم مما مكنت منه الالمان ظروفهم .
ويقولون ان من مصلحتهم لمنع اضرار مهاجمات أعدائهم تدمير كل الاماكن التي تمكن

الفرنساويين من الالتجاء اليها وكانوا يحملون ذلك عذرهم في حرق القرى والبيوت . ومن الاعمال الوحشية التي جرت في تلك الاثناء اطلاق الرصاص على الحراس وهم يقومون بواجباتهم الخصوصية وتجاوز الفريقان حدود الاعتدال في ذلك حتى انهما التزما أن يتفقا على منعه . وقد قال الالمان أن فرنساويين نكثوا حالا بعهودهم من هذه القبيل فاجاب فرنساويون انهم لم يشرعوا في ذلك الا بعد أن نشر الاعلان البروسيافي الوحشي بخصوص جواز قتل الجنود المعروفين بالفرانتييرور بدون رحمة باطلاق الرصاص لأنهم اعتبروهم من الخائنين . أما الفرانتييرور فهم من المتطوعين الذين يقدررون أن يحاموا عن وطنهم بحروب غير منتظمة فاغتاظوا جداً هم وكل الامة الفرنسية لان الالمان سوغوا قتل رجال اجتمعوا للدفاع عن وطنهم وتخليصه من يد الاعداء كأنهم قطاع طرق لا يستحقون الرحمة . وفي أثناء الحصار صار القاء القبض على جواسيس كثيرين في ميتس ومنهم من ألقى القبض عليهم بمجرد وقوع الشبهة عليهم على أنهم جميعاً كانوا يصادفون بئس المعاملة ولولا مداخلات الجنود لمزقهم الاهالي أرباباً أرباباً قبل أن يعرفوا هل هم بالحقيقة جواسيس أولا . وقد قال مستر روبنسون ان الالمان تمكنوا من اقامة خدمة منظمة من الجواسيس في ميتس وكانوا يعرفون كل يوم ما كان يحدث فيها بواسطة سيطرتهم ومن هؤلاء الجواسيس رجل اسمه تقولا شل وهو مجري ومن عائلة كريمة وكان ذا معارف على انه كان بلا مبادي ولا آداب لانه كان جاسوساً للفريقين أي للالمان وللفرنساويين وكان يأخذ أجرة من الفريقين وعند ما ألقى القبض عليه وجد في جيبه ألف فرنك فخاكموه امام مجلس حربي فحكم عليه بالقتل فقتلوه .

وعند ما شاع في ميتس خبر سقوط الامبراطورية وقع الاضطراب بين الذين كانوا يدافعون عنها حتى انه أثر في نفس الحرس الامبراطوري . فان الطعام قد قل فكانت كل العامة تلزم أن تكتفي باكل قليل من لحم الخيل والخبز ولم يتمكن الاغنياء من الحصول على غير ذلك كالسمك والطيور الا بدفع اثمان مرتفعة جداً . وفي ١٢ تشرين أول (اكتوبر)

هاجم الالمان فرنسا و بين بعضهم من المدافع فدافعوا عن أنفسهم في أول الامر
بمسالة ونشاط وبعد ذلك ارتدوا و انتجأوا الى قلعة سان جوليان التي أطلقت مدافعها
على الالمان الذين كانوا يتبعون فرنسا و بين و بعد ذلك لم يحدث الا معارك صغيرة
جداً لم يكن لها من النتائج غير تشييل بعض الجنود . ومع ان فرنسا و بين كانوا يداومون
اطلاق المدافع على المحاصرين لينعومهم عن اقامة الحواجز وحفر الخنادق وغير ذلك
تمكنوا من اقامة حواجز حول المدينة من التراب ومن أن يضعوا على كل حاجز عشرة
مدافع و حولها خنادق لتستمر فيها الجنود عند اطلاق البنادق . و بعد ذلك انشأوا منازل
للشواء ثم أخذت الامراض تقل عندهم .

وكان الالمان يحبون أن يروا كل ما كان يجري في المدينة ولذلك أقاموا برجاً مرتفعاً
للمراقبة وذلك على تل مرتفع بالقرب من كورني في الجهة الجنوبية الغربية من المدينة
واسم هذا التل سان بلز وأقاموا فيه حراساً من الضباط لينظروا الى المدينة بنظارة مكبرة
بدون انقطاع . أما الجنود الفرنسية فكانت قد باتت بلا نظام ولذلك كان كثيرون
منها يتركون العسكرية ويأتون جيوش الأعداء . ففي أول الامر قابل الالمان بعض
تلك الجنود مقاتلة حسنة ليتمكنوا بواسطتهم من الوقوف على حالة الجيش المحصور وكية
زاده . على انهم بعد ذلك بمدة ظنوا ان مصدر ذلك انما هو بازين فانه لما رأى انه لا يقدر
ان يرفع الحصار عن المدينة بالقوة جعل جنوده يذهبون الى الأعداء ليقال عددهم في
متس و يصير قادراً على أن يطيل زمان الحصر لانه مادام عدد جيشه كثيراً لا يقدر
أن يثبت بسبب الاحتياج الى الزاد ولذلك كان الالمان يرجعونهم ويقولون لهم انهم
اذا أبطأوا بالرجوع يطلقون الرصاص عليهم . وقد قيل ان كثيرين من الضباط
الفرنساويين كانوا يعرضون أنفسهم للأسر ليقعوا في أيدي الالمان وينجوا من الحصر
ومن الاحتياج الى ما يقوم باودهم حق القيام . وفي ذات يوم خرج جمهور غفير من أهالي
متس رجالاً ونساءً وأولاداً وساروا قاصدين جيش الالمان بعد أن رفعوا منديلاً أبيض

على عمود صغير من خشب وذلك عبارة عن راية السلام . أما الذي كان حاملا هذه الراية فكان يسير في مقدمة طليعة القوم فاطلق الرصاص عليه فمات . فلما رأى الباقون ذلك خافوا خوفاً لا مزيد عليه ووقفوا فاحذ الالمان يطلقون الرصاص باتصال فوق رؤوسهم وعند ذلك رجعوا خلا امرأة واحدة فانها كانت تسير الى جهة الالمان على انفرادها . لما رأت انها باتت وحدها أدبرت ورجعت الى المدينة مع قومها . وهذا ولا يخفى انه مامن أحد يعتقد بان الالمان يسمحون لآلوف من أهالي ميتس أن يخرجوا منها حال كونهم يحاولون فتحها باحتياج أهاليها الى الزاد .

وبعد ان مضى شهر تشرين الثاني (نوفمبر) اشتد الجوع في ميتس وكان الاهالي يرون في كل يوم ما يبين لهم قرب زمان التسليم . فانه كانت قد فرغت ما كل الافراس القليلة الباقية واشتد جوعها حتي ان ذبحها لئلا جوع الجنود كان رحمة لها . ومع ذلك كانت جرائد ميتس تجتهد في أن تشدد عزم الاهالي بنشر اخبار كاذبة علي انه ربما كانت تلك الاخبار من الاشاعات التي كثيرا ما تشيع في المدن المحصورة فكانت تقول ان الحكومة الفرنسية قد هيأت زادا كثيرا جدا لترسله الى المحلات المحتاجة اليه فان الامة كلها قد نهضت بنشاط وعزم لتطرد المهاجمين وانه لا بد من ان تتمكن من ادخال ما يكفيهم من ذلك الزاد الكثير الى مدينتهم وان الالمان لا يتجاسرون ان يسيروا في فرنسا الا في الليل فان الجنود الغير المنظمة (فران تيرون) كانت تقتلهم اقواما اقواما وهم يحاولون الوصول الى بلادهم من طرق جبال الفوج وان دون ذلك صعوبات كثيرة فان الطرق الحديدية الواقعة بين فرنسا والمانيا باتت مقطوعة . وكان اكثر الاهالي يعتقد بهذه الاخبار والمظنون ان كثيرين من الذين كانوا ينشرونها في الجرائد كانوا يعتقدون بها . على انه كان قد ضعف أمل أكثرية الجنود والاهالي حتى ان الظاهر ان الجميع باتوا يرتابون بامانة المرشال بازين وكانوا يحتقرونه خلا قليلين من الذين كان يلتفت اليهم التفاتاً مخصوصاً وكانوا يعضدونه لانه كانت لهم صوايح في ذلك . فانه

قليل انه كان يعيش في مدة الحصر عيشة راحة وتنعم فانه كان متتحيًا عن الجيش ويصرف الزمان بالتدخين و بلعب الورق والبياردو مع اصدقائه الاخصاء بدون أن يحاول تنشيط وتعزية الجنود الذين كانوا تحت قيادته حتى انهم قلما كانوا ينظرونه وكان حيناً بعد حين يبعث برسل الى معسكر المحاصرين وكان القوم يظنون انه كان يرسلهم ليخبروا الاعداء في أمر التسليم وكان ذلك موضوع بحث الاهالي والجنود . وقد قيل انه كان يتجنب الذهاب الى المستشفيات التي كانت جنوده المجروحة والمريضة ملقاة فيها .

أما المجلس الحربي الاول الذي اجتمع في ميتس وبحث جهازا عن التسليم فكان اجتماعه في ١٠ تشرين الثاني (نوفمبر) على انه لم يتقرر شيء فيه . وكان لا يزال القوم ينشرون أخبارا كاذبة عن نجاح الفرنسيين في محاربه الالمان . وكانوا يسألون بازين عن صحتها فكان يقول انه لم يرد اليه ما يثبت صحة تلك الاخبار . وكان يقول للجنود انه مامن سبب يحمله على كتم ما يبلغه عن نجاح فرنسا وتأخرها على انه من واجباتهم أن يقطعوا النظر عن كل شيء متعلق بذلك وان يوجهوا عنايتهم الى شيء واحد ذي أهمية وهو تخليص البلاد . فلم يرض ذلك القوم . ومع اننا نعلم ان لبازين أغلاطاً كثيرة نقول انه بات في الظروف التي يبيت فيها كل من يكون متقلدا منصباً عالياً في فرنسا في أوقات الضيق أي ان الذين يكونون في تلك الظروف يبيتون هدفاً لسهام لوم اقوام من احزاب مختلفة لكل منهم غايات دينئة طفيفة يجعلونها في المحل الاول ويتركون الامور المهمة في المحل الثاني ولذلك يبيت غير قادران ينفذ آراءه اذا كانت مصيبة أو مخطئة ولا ان يرضى أحداً . وكان ذلك شأن أهالي ميتس وهو ديدن الفرنسيين في ظروف كتلك الظروف التي كثيراً ما وقعت بلادهم في ويل باتت تكاد لا تقدر ان تخرج منه .

وفي ١٢ من الشهر المذكور اجتمع جمهور غفير في الشوارع امام أوتل دي فيل حال كون المجلس البلدي كان مجتمعاً فيه . فطلب الاهالي الى حاكم المدينة ان

يطلب الى المرشال بازين ان يسلمهم المدينة والحصون وان ينضم الحرس الوطني الى حراس القلاع . فوعدهم بأنه سيتبصر في الامر بكل جهده .

وبناء على ذلك انفض ذلك الاجتماع . وفي ١٢ منه كادت الاحوال تبلغ درجة نهائية فان عمدة من جنود الحرس الوطني اخبرت الجنرال كوفير ان المدينة في اضطراب شديد لانه قد شاع ان بازين شرع في أن يخاطر الالمان ليسلم القلعة لهم . فاجاب انه من الواجب أن يتعود الاهالي استماع خبر التسليم بدون ان يضطربوا فانه قد فرغ أكثر الزاد ولم يبق الا مايكفيهم ثلاثة أيام . وعند ذلك اشتد هيجانهم وأظهر الاهالي ما يدل على عدم ارتضائهم بذلك وبعد ان خيم الليل قرأ حاكم المدينة الخطاب الآتي وسلمه الى الجنرال المذكور :

أيها الجنرال . ان مافعله ضباط جنود الحرس الوطني هو نتيجة تصميمهم على ان يدافعوا بنشاط عن متس . ولذلك يقدر الحراس الذين يدافعون عن القلاع ان يستندوا الى حمية قوم من أهل الثبات والنشاط عند ما يرون لزوماً لذلك . ولا ريب في ان اجتهادات الحرس الوطني بالاتحاد مع حراس القلاع تحمي الى النهاية أعظم قلعة فرنسا وية وشرف متس فانهما مما نعهه عزيزاً . هذا وان المجلس البلدي بالنيابة عن الاهالي لا يقدر ان يمتنع عن ان يظهر كدره وتعبه من جراء تاخرهم الى اليوم عن اظهار قرب فراغ الزاد . اما الاهالي فيحتملون بنشاط نتيجة ذلك غير انهم لا يقبلون مسئولية حالة لم يصر تبليغهم قرب وصولهم اليها . وبناء على ذلك نطلب اليك ان تبلغ ذلك الى المرشال جاعلين ختام كلامنا : فلتعش فرنسا .

وكان القوم راغبين في ان يدافعوا عن متس الى النهاية وان يتمنعوا عن التسليم مادامو قادرين ان يتمنعوا عنه . على ان ذلك كان ميلاً فقط فان المحرك الاول لذلك هو الافتخار الباطل لان جنود بازين وأهالي متس كانوا قد باتوا في حالة لا يقدرين وهم فيها ان يدفعوا جنود الالمان المنظمة والحاصلة على جميع أسباب الراحة وعلى زاد

كاف وفي ١٤ تشرين الأول (اكتوبر) قرأ الجنرال كوفنير جوابه وقال فيه انه يثني على الاهالي الذين قالوا انهم مستعدون ان ينضووا الى الجنود ليدافعوا عن القلعة وان ذلك الانضمام لا يكون ذا نتائج حسنة ما لم يمتنعوا عن كل التحزبات والقلقل والتظاهر بما يضر بالراحة العمومية . وانه من واجباتهم مهما كانت اغراضهم السياسية ان يتبعوا الحكومة الفرنسية الموقفة ويجعلوا نصب أعينهم غاية واحدة موضوعها « فلتعيش فرنسا » وليس غير ذلك . اما عدم تبليغ الاهالي قرب نفوذ الزاد فلا يعتذر عنه غير انه يقول انهم يعلمون ان وجود ما يقوم باود الجيش كان من أصعب الامور وان الذين كانوا قائدين الجيش افرغوا جهدهم في ذلك وانه لا يسوغ لهم ان يوبخوهم على شيء لم يكونوا قادرين ان يمنعوا حدوثه وعلى الخصوص بعد ان يكون قد حدث ما قد حدث بحيث لا يفيد التوبيخ وكان الجنرال بوير الفرنسية اوي قد ذهب ليخبر البرنس بسمارك من قبل المرشال بازين فرجع الى المدينة حاملاً اخباراً مخيفة عن البلاد الفرنسية واخبر القوم بان بسمارك قال له انني قد دخلت فرنسا بمليون وثلاثمائة ألف جندي ولذلك لا اعتقد صلحا الامم وكيل قانوني فاذا شئتم ان تجعلوا بازين وكيلاً فاجعلوه لانني لا اعتقد صلحاً ما لم يتم ذلك بيني وبين وكيل . انتهى .

فلما سمع القوم في ميتس ذلك صرخ بعضهم فليعيش بازين . وقال البعض انهم لا يصدقون ذلك الخبر لانه لا يمكن ان تبيت فرنسا في تلك الحالة المهلكة فطلبوا برهاناً على صدق ذلك الخبر فمعجز الخبر عن تقديمه . أما المرشال بازين فكان يخاف ان يقيم الجنود الذين باتوا في تلك الحال ثورة ولذلك جعلهم يؤملون بقرب اقامة مهاجمة عظيمة عمومية على المحاصرين . ولم ينفك الجنود عن الاعتقاد بانهم سيهاجمونهم الا في ٢٥ من الشهر المذكور فانه في ٢٤ منه كان قد تقرر في مجلس حربي وجوب التسليم ولذلك قطع الذين في يدهم زمام الامور الامل من المدافعة خلا الجنرال كوفنير فانه كان يرغب في أن يحاول خرق الصفوف الالمانية وان ينجو بالجيش بعد أن يكون قد

ترك في ميتس حرساً يقدر أن يمنعوا الألمان عن فتحها عنوة . وفي ٢٥ منه أخبر المارشال بازين المجلس الحربي أن الامبراطورة كانت قد أخبرته بواسطة الجنرال بويه أنها لا تقبل الوكالة وأن البرنس بسمارك لم يرتض بأن يعامل الجيش معاملة تختلف عن معاملة المدينة ولذلك لا سبيل للنجاة إلا بالتسليم . وبناء على ذلك صار إرسال الجنرال سسي ليجمع قواد الجيشين فيتخابروا بأمر واحد وهو هل تخرج الجنود الفرنسية خروجاً لا يضر بناموسها أولاً . فاجتمعوا في فرسكاتي وهو قصر يبعد عن ميتس ثلاثة أميال في الجهة الجنوبية فالذين اجتمعوا بالقواد الفرنسيين من القواد الألمان هم الجنرال اشيككل والكولونل فون هرسنرك فاوول رئيس أركان حرب البرنس فردريك والثاني جنرال المعسكر . ودامت المخاطرة إلى اليوم الثاني وكانت المفاوضات حادة فان القواد الفرنسيين أصروا على أن يصير السماح للضباط الفرنسيين بأن يبقوا متقلدين أسلحة الوسط أي السيف وغيره مما يتقلده الجندي عند وسطه فخابروا بهذا الشأن ملك بروسيا برسالة برقية فاجاب بالاجاب برسالة جوابية وردت في ٢٧ من الشهر المذكور بعد الظهر ثلاث ساعات . ودامت المباحثة ذلك اليوم بطوله وفي نهايته تقررت عهود وأمضيت عن تسليم ميتس وحصونها ومهماتهما وزادها وكل الجيش المقيم فيها مع حراسها وثلاثة من المارشالية وهم المارشال بازين والمارشال كانروبرو والمارشال لوبوف و٦٦ جنرالاً . وأكثر من ستة آلاف من الضباط و١٧٣ ألف رجل وأربعمائة مدفع ومائة من المدافع الرشاشة و٣٥ راية . وتقرر في الشروط أن يصير خروج الجنود الفرنسية من ميتس فرقاً مرتبة بدون سلاح وأن تسير إلى المكان الذي يعينه الألمان . وأنه عند الوصول إلى ذلك المكان يسوغ للضباط أن يرجعوا إلى ميتس أو إلى حواجزها إذا تعهدوا بأنهم لا يخرجون منها إلا بأذن من القائد الألماني خطأ . وأنه يبقى للجنود آنية الطبخ والملابس . وأن القواد الذين يتعهدون كتابة بأنهم لا يحاربون ألمانيا في هذه الحرب ولا يهيجون القوم عليها يصير السماح لهم بأن يذهبوا حيثما أرادوا بأسلحتهم وذلك لأنهم قاتلوا بشجاعة وبسالة وأن الأطباء الفرنسيين

سيتقون في ميتس ليطبوا الجرحى وأن تصير معاملتهم كأنهم من الأطباء الألمان . وانه سيصير تحديد ما يتعلق بحقوق ميتس التجارية وصوالح الذين لم يشتركوا بالحرب بعد . التعليم . وانه اذا وقع خلاف في تفسير شيء من تلك الشروط المعقودة يصير تفسيرها تفسيراً مناسباً للفرنساويين . و بعد ذلك نشر المارشال بازين اعلاناً مآله انه بات هو وجيشه فريسة للجوع ولذلك لا بد من التسليم بدون اجراء ما يلحق به وبجيشه عاراً فانهم فعلوا كما يقدر البشر أن يفعلوه وان المأمول ان بعض الجنود يعامل بعضها الآخر بلطف محترمة الشروط المقررة وانه قد بات مدهشاً مما شاهده من بسالتهم وشجاعتهم وان انفصاله عنهم انما يكون بقلب حزين .

فاستلم الألمان ميتس في ٢٩ من الشهر المذكور قبل الظهر بساعتين ودخل القلاع جنود المدافع الذين هم من الجيش السابع البروسياني . و بعد الظهر بساعة خرج جيش الحرس الامبراطوري الفرنسي فقابلته المتصرون بصمت يدل على اعتبارهم له . هذا ومن المعلوم ان فتح ميتس هو أمام تقهقر فرنسا في تلك الحرب فانه كان معلوماً انه لا بد ان تسلم باريز اذا حصرت مدة بسبب الاحتياج الى الزاد . وكان الألمان وأوربا يعرفون ذلك ويقطعون النظر عن كلام الفرنسيين الذين كانوا يقولون بافتخار انهم مصممون على أن يقاتلوا الى أن يهلكوا عن آخرهم . لانه مامن أحد ينتظر ان تثبت عاصمة فيها اكثر من مليون من الاهالي في الدفاع الى أن يموت أهلها جوعاً . ولذلك نقول ان كبر المدينة وكثرة أهاليها مما يجعلها غير قادرة على الثبات في الحصار . أما ميتس فكانت قلعة فرنسا العظيمة . فان أهاليها قليلون جداً بالنسبة الى الجنود الذين كانوا فيها ليدبوا عنها ولا يخفى ان الفرنسيين الذين كانوا يقدرون أن يحكموا بحقيقة الحال كانوا يقولون انه اذا لم تتمكن ميتس من الثبات مع انها أقوى قلعة في فرنسا وفيها أحسن الجنود الفرنسيين وأعرفهم بفنون الحرب ومن كسر المحاصرين ورفع الحصار عن أنفسهم تبئت فرنسا مغلوبه غلبة تامة . ومن المعلوم ان الخسارة التي وقعت على

فرنسا بتسليمها كانت أعظم من خسارة سيدان فان فرنسا و بين خسروا في سيدان خدمة ٩٥ ألف جندي وهم الذين أسرههم الالمان وأرسلوهم الى بلادهم . أما في ميتس فكانت الخسارة ١٨٠ ألف جندي منهم الحرس الامبراطوري والجيش الثاني والثالث والرابع والسادس التي كانت تحت قيادة الجنرال فرواسار والجنرال ديكينف والجنرال لادميرول والمرشال كاتوبر . وقد قال كاتب الماني انه بفتح ميتس رجعت أملاك ألمانيا القديمة التي كانت بيد فرنسا الى أصحابها فان الملك غليوم كان قد صمم على ارجاعها فان ميتس التي كانت تحمي الالزاس واللورين أقوى قلعة في جهة الموزل . والصحيح ان البلاد التي تستلم ميتس تحصل على الاسبقية في القوة عند الحدود فانها تصير أقوى من الاخرى . وفي الساعة الرابعة بعد الظهر من النهار المذكور تبدل الحراس الفرنسيون الذين كانوا واقفين عند الابواب والمحازن وغيرها بحراس المانيين . والجنرال فون زاسترو قائد الجيش السابع الالمانى حل في المدينة والقلعة وأقام فيها كما كما العسكري وكان البرنس فردريك شارل الساكسوني قد تكرم بان يسمح للفرنساويين بان يخرجوا من القلعة حاملين أسلحتهم وان يلقوها على مرأى من الالمان عوضاً عن ان يخرجوا من القلعة بلا سلاح . على ان المرشان بارين لم يقبل بذلك وقال انه لا يكون مسؤولاً بتصرف جنوده اذا خرجوا بسلاحهم ورأوا أنفسهم مقابل أعدائهم فانه كان قد وقع خلل عظيم في نظام كل الجيش خلا الحرس الامبراطوري ولذلك لم يخرج غير صفوفه الباسلة والحسنة جداً منقلدة الاسلحة وتركوها في بسكاتي وهم مارون امام البرنس فردريك شارل .

هذا وقد قيل ان كل الجنود الفرنسية خلا الحرس الامبراطوري كانت قد أمست بلا ترتيب وبلا نظام حتى ان كثيرين منهم خرجوا من القلعة وهم سكارى حتى أنهم باتوا كالوحوش وثيابهم بلا ترتيب غير مباين بظهور ما يخل بالادب ظهوره من أجسادهم ولا بالمصائب التي قد حلت ببلادهم وكان يظهر للناظرين أنهم كانوا

يبالون بامر واحد وهو الحصول على الاكل والمسكرات . وكثيراً ما كانوا يشربون في أن يغنوا أغنيات سكر ويصرخون صراخ السرور عند ما كان قوادهم يأمرونهم بالمحافظة على ترتيب صفوفهم . فاحتقرهم الالمان بقدر ما اعتبروا جنود الحرس الامبراطوري . وقد تقرر انه في مساء يوم التسليم أى قبله ليلة كانت المدينة في اضطراب دائم . فان الاهالي كانوا يتكلمون عن قوانين الحرب التي كانت تحكم بالقتل بعد التنزيل عن الرتبة على كل قائد قلعة لا يلزم العدو أن يقوم بجميع أصول الحصر التي لا تتم الا في زمان طويل بدون أن يدفع العدو عن مكان هاجمه فيه . وكان الاهالي يكتبون هذا البند من القوانين وفي صباح يوم التسليم علقوها على الحيطان وكتبوا تحتها الموت للخائن الموت لباريز . وكتب البعض لكوفير . ولولم يكن حول باريز حراس كثيرون لقتله الاهالي . ونشرت بعض الجرائد في ذلك اليوم وحولها خط عريض أسود علامة للحزن وفي صدرها جمل ما آله ان التسليم تم بالخيانة وتحزبت بعض الفرق للاهالي وعزمت على أن تهاجم الاعداء مهاجمة يأس في الدقيقة الاخيرة غير ان باريز عرف ذلك وأخذ سلاح الفرق التي كان يخافها . ومن المعلوم انه قد أصاب بذلك ان كان خائناً أو غير خائن لان نتيجة هجوم كذلك الهجوم رديئة علي الفرنسيين لان الالمان كانوا أقوىاء جيداً وترتيبهم متقن . ومع ان التسليم تقرر تمكن نحو ألف ضابط من الفرار ونجوا من الاسر وحاربوا في أماكن أخرى . وأطلق الرصاص ثلاث مرات على الجنرال كوفير ولو صادفه الاهالي المهيجون والجنود الذين تحزبوا لهم لحدثت معركة هائلة . وركب رجل حصاناً وأخذ يحول في الاسواق ويحرض الاهالي على القتال وهو يطلق غدارة وكذلك ركبت فتاة وسارت وفي يدها غدارة وكانت تحثهم على الانتقام غير ان أهالي ميتس على جانب من الرزاة فلم يلتفتوا الى ذلك بل نظروا اليه بعين الاحتقار مع انه لو حدث ذلك في باريز لحدث هيجاناً وقال القوم انه دليل حب الوطن والبسالة وظن القوم انه بعد استيلاء الالمان على المدينة سيئون معاملة الاهالي على انه جرت

علاقات حسنة بين الفريقين بعد ان رأى الاهالي ان الجنود الالمانية اعطت الجنود الفرنسيين تعييناتهم من الخبز . وتعزى الاهالي عند ما عرفوا ان في كورسل ألف مركبة فيها زاد لسد احتياجاتهم وان في لوندرا نقوداً مجموعة لمساعدتهم . فانه ولئن كان الاهالي وجنود الحرس الامبراطوري راغبين في مداومة الدفاع كان الزاد يكاد ينفذ اما عدد الذين قتلوا وما توافر من الجيش الفرنسي من ١٨ آب (اغسطس) الى يوم التسليم فكان نحو ١٢ ألف رجل . واما الخراب الذي لحق بالاماكن المجاورة لميتس فكان مخيفاً فان القصور والقرى الكبيرة والصغيرة باتت خربة الى مسافة بضعة اميال حول ميتس وكذلك البساتين والحقول وجميع الاشجار اُمتست مقطوعة فان الفرنسيين والالمان كانوا يستخدمونها لصنع وسائل للدفاع أو الهجوم في الحرب . ومات البعض في نفس المدينة من الاحتياج الى الاكل وعلى الخصوص الاولاد الصغار فان سوء الطعام وقتله اثر فيهم .

اما أكثر الاهالي فكانوا يعتقدون بان بازين خبأ زاداً كثيراً كان لا يزال موجوداً في المدينة عند التسليم . ومع انهم تجاوزوا حدود الاعتدال في بيان الكمية التي كانوا يقولون انها موجودة فيها قد ظهر انه كان فيها كميات كثيرة من الزاد مع ان الاهالي كادوا يموتون جوعاً وانه صار اخفاؤها ليلتزم الجنود والاهالي ان يسلموا . ومن المعلوم ان بازين لم يقدر ان يبين ماذا حمله على التسليم حال كونه كان لا يزال في المدينة زاد ولذلك لا يخطئ من يقول انه لم يقدر ان يبري نفسه من التهمة التي وقعت عليه وهي انه سلم المدينة والجيش بخيانة .

ولما بلغ ذلك الحكومة النازية في طور والامة الفرنسية اغتاظوا جدا وتكبدوا وقال الجميع ان بازين خان بلاده . وصار نشر اعلان لما له انه من واجبات فرنسا ان لا تقع باليأس وقيل فيه عن بازين ما ترجمته : انه قد جعل نفسه وكيل رجل سيدان (أى الامبراطور نابليون) ومسعفاً للعدو المهاجم . وعند وصول خبر تسليم ميتس الى

برلين فرح القوم فيها بقدر ما اغتاض الفرنسيون عند وقوفهم على ذلك الخبر فان تسليمها بشرهم بقرب نهاية الحرب . هذا وكان كثيرون من الفرنسيين يعتقدون بانه لا نفع لهم بمداومة القتال بعد وقوعهم في مصائب عظيمة بعد حلول النوائب التي حلت عليهم في اول الامر . اما بازين فبات مرذولا وقد أقامت له الحكومة الفرنسية مجلس حرب ليحاكمه ولا تزال النتيجة غير مقررة والمظنون اننا سنجعلها ذبيلا لهذا التاريخ فانها لا تتقرر قبل نهاية نشره . فانه سلم الجيش الوحيد المنظم الذي بقي لفرنسا مع تلك القلعة والمهمات والاسلحة وكانت فرنسا غير قادرة ان تقيم جيشا غيره لان الجيوش التي جمعتها كانت جنودها جديدة لا تعرف أصول الحرب ولا أبوابها فانها كانت تتعلم بسرعة وكانت ملابسها رديئة وأسلحتها غير كاملة ولذلك نقول انه كان لا يجوز ارسالهم الى حروب اعدائهم فيها جنود بروسياينة مجربة تعرف فن الحرب وأبوابه حق المعرفة . وكان الشقاء يقترب وصار الفقراء يشعرون بالضيق والشدائد فصار الشروع في الكلام عن عقد الصلح بمجد . وصدرت تقاريرات من بعض الاهالي مآلها انه اذا كانت الحكومة الفرنسية لا تقدر ان تقبل الشروط التي يطلبها الالمان قعليها بمراجعة الامة للوقوف على رأيها وصارت الاشارة الى اعطاء المانيا بعض املاك فرنسا عند الحدود لانه تقرر انه لو فاز الفرنسيون على الالمان كما فاز الالمان عليهم لآخذوا من املاك المانيا . وكان هذا الرأي محصورا في قليلين ولذلك نشرت الحكومة اعلانا طلبت به أن ينتظم كل رجال الامة في العسكرية لتنهض كل فرنسا وتغلب العدو بكثرة العدد فان ذلك يوقعه في الارتباك فتخلص فرنسا . وقد قال البعض ان فرنسا لم تصل الى درجة تجعلها تقطع الامل من طرد الالمان من بلادها لانها لم تكن قد أظهرت كل قوتها . وقالوا ان قوات الجمهورية الخفية لا تزال مستترة وقال قوم ان دفاع فرنسا عن نفسها بعد ان خسرت الجيش المنظم يكون أشد من دفاعها وهي مستندة اليه فهذه هي الاقوال التي كان يقولها الفرنسيون وهم على تلك الحال .

هذا ولم يصدق الفرنسيون بتسليم ميتس عند ما بلغهم خبر تسليمها . ولذلك اجتمع جمهور في ليون وحاولوا ان يخبروا مطبعة جريدة لانها نشرت خبر تسليمها . ونشر الوالى فيها اعلاناً مآله ان الخبر هو غير رسمى وانه مامن شئ منه يدل على صحته وانه لا يصدق كلمة منه ولكنه يحكم بكذبه و بصدوره من اعداء مبغضي الراحة والجمهوريه . وكذلك الباريزيون لم يصدقوا الخبر حتي انهم كادوا يطلقون الرصاص على محرر مشهور ذى اعتبار من محرري جريدة من جرائد الحمر لانه نشر الخبر . وفي ستراسبج صار تكذيب الخبر .

وكان حصر ميتس جارياً في تشرين الاول (اكتوبر) حال كون غيره كان جارياً في أماكن أقل أهمية منها . ففي ٢٨ ايلول (سبتمبر) تهدد الالمان سواسون باطلاق المدافع عليها . وفي ٣ تشرين الاول (اكتوبر) خرج الجنود الذين كانوا فيها تحت قيادة الدوق دو فنز جيمس وقاتلوا المحاصرين قتالاً شديداً على انهم التزموا ان يرتدوا ولم ينتدي الحصر بشدة الا في ١٢ تشرين الاول (اكتوبر) غير انه شدد المحاصرون القتال عليهم تحت قيادة الدوق دو مكلنبج فسامت في ١٦ من الشهر المذكور هي وجنودها وعددهم ٤٧٠٠ رجل و ١٣٢ مدفعاً و ٩٢ ألف فرنك وغيرها من المهمات والملابس والازاد الذي كان يكفي الذين كانوا في القلعة ثلاثة أشهر بعد التسليم . اما تيوفيل فشدوا عليها الحصاراً أكثر من سواسون وفي ٩ تشرين الاول (اكتوبر) أقاموا الحصار على نوو بريساس وشلاستاد الواقعة في جنوبى ستراسبج بالقرب من الرين . وفي ١١ منه نجح الفرنسيون في الدفاع نجاحاً قليلاً وخرج جيشان من مونتيميدي ومن مدينة ستانى القريبة منها فاسر سبعة ضباط وأكثر من مائتي جندي من الالمان . ومع ان هذا النجاح نشط الفرنسيين لم يضر بتقدم الالمان . وعلى الخصوص بعد ان انضمت الجيوش التي كانت تحاصر ميتس وقدرها مائتا ألف جندي الى الجيوش التي كانت في فرنسا . فان الجيش الثاني منها ذهب لينجد الجيش الذى كان يحاصر باريز والجيش

السابع بقي في ميتس ليحافظ عليها والبقية أرسلت الى لونسكوي وتيونفيل .
ولم يكن الفرنسيون يصرفون الوقت في الباطل فان موسيو كامبتا وهو من العلماء
بالقوانين والنظامات وهو الذي كانت له سطوة عظيمة تفوق كل سطوة أدبية في بلاده
قبل الحرب شرع في المحاربة عن بلاده غير انه كان قد بات محصوراً في باريس فركب
مركبة هوائية في ٧ تشرين الثاني (اكتوبر) وسار فيها معرضاً نفسه الى رصاص
الامان الذين كانوا يطلقونه عليه حتى انه مرت رصاصة ومست يده فوصل في ٨
من الشهر المذكور بعد الوقوع في مخاطر كثيرة الى امين ومنها ذهب الى طور ودخلها
في ٩ منه وتولى بنفسه ادارة أكثر اعمال الحكومة هناك .

وفي نفس ذلك اليوم وصل الجنرال غاربيالدي الايطالي الى طور ليتقلد قيادة
المتطوعين الذين صار جمعهم في تلك الاثناء . اما غاربيالدي فظهر في أول الامر ميله
الى بروسيا لان عدوه القديم نابوليون كان قد اشهر الحرب عليها . علي انه بعد سقوط
نابوليون مال الى فرنسا وعرض عليها خدماته فانه من الخاضعين في ادارة الجنود الغير
المنظمة ولذلك أقيم قائداً لفرقة من الجيش الفرنسي وقائداً عمومياً للجنود الفرنسية
الغير المنظمة .

وعند ما وصل كامبتا الى طور نشر اعلاناً مهيجاً على الامة قال فيه ان في باريس
مليون رجل من الذين نسوا كل الاختلافات التي كانت واقعة بينهم واجتمعوا حول
الراية الجمهورية وان ذلك كدر المهاجمين فانهم كانوا مؤمانيين بمحدوث اختلافات داخلية
في البلاد . وان في داخل اسوارها أربع مائة ألف جندي من الحرس الوطني وستين ألف
جندي من الجيش المنظم وانه صار الشروع في جمع مائة ألف جندي من الجنود
الاحتياطية . وان المعامل آخذة في عمل المدافع وان النساء يصنعن مليون رصاصة في
النهار وان الملاحين يحرسون فيها الحصون والقلاع والجنود شارعة في تهيئة المدافع للهجوم
على المحاصرين . وان لكل فرقة من الحرس الوطني مدفعين من المدافع الرشاشة وان

فرنسا ووصف بكلام مؤثر حالة باريز الخيفة عند ما يأخذ الزاد في ان ينفد من باريز وقال في ختام اعلانه ان الحكومة الفرنسية تعرف هذه الامور كما نعرفها نحن ولذلك هم المسؤولون عن سوء المواقف التي لا بد من ان تنتج اذا التزم الالمان أن يقاتلوا الى النهاية في حرب جروا اليها على غير رضاهم .

هذا وكل من طالع ذلك الاعلان يقول ان قصد بروسيا هو أن تجعل الدول المحافظة على الحياد تجتهد في ان تجعل فرنسا وبين يامون حالاً . غير ان شدة رغبة بسمارك في الحصول على ذلك جعلته يبالغ في تقريراته مع انه كان يعرف ان تلك الدول المتحاذة كانت قد اجتهدت في ان تحمل الدولتين على عقد الصالح ولم تصادف منهما غير شكر قليل . وانه أوفق لفرنسا ان تسلم من جهة واحدة على انها لم تكن قد باتت في سقوط تام يحملها على ان تبادر الى التسليم بكما يطلبه الالمان بدون ان تخاف ان يمس ذلك ناموسها .

اما باريز فكانت لا تزال في هيجان حربي فان الزاد كان لا يزال كافياً وكان الهواء معتدلاً ولذلك لم يكن الجنود يتدمرون من أن يسيروا في الشوارع ولذلك كان الباريزيون يعتقدون كل الاعتقاد بان مدينتهم لا تفتح وبانهم مستعدون أن يموتوا جوعاً قبل أن يسلموا وان يقاتلوا الى ان يقتلوا عن آخرهم ذكوراً واناثاً . وكانت اوربا ترى هذه الامور متعجبة والمؤرخون يقررون شجاعة الباريزيين وثباتهم ليجعلوا الاجيال الآتية تدهش من ذلك . ولم يكتفوا بذلك فان اعتبارهم لانفسهم ولاهيتهم ولمدينتهم الجميلة كان متجاوزاً حدود الاعتدال فانهم كانوا يعتقدون بانهم اذا باتوا في اسوأ حال ستنهض شعوب اوربا وتأتي بسرعة الى باريز ليخلصوها من الخراب بواسطة الالمان . وبناء على ذلك اقاموا مائة رأي من الاراء المضحكة وجعلوها موضوعاً لمفاوضة جديدة . وأقاموا افراحاً في ٢١ ايلول (سبتمبر) وهو اليوم الذي اقيمت فيه الجمهورية الاولى في فرنسا سنة ١٧٩٢ وأقاموا تذكاراً حسناً لسلفائهم فانهم كانوا قد حلفوا بان

يخلدوا ذكرهم ويقتفوا أثرهم .

وفي أثناء الحصار كانت الحكومة كثيراً ماتت في ارتباك من جراء ميل كثيرين من الأهالي الكثرين المحصورين الى الاخلال بالراحة والنظام وهذا الميل هو الذي اضرم نار الحرب الاهلية في باريز بعد عقد الصلح وهي الحرب المعروفة بحرب الكمون . وكانت تصير المفاوضة في كل ليلة في جمعيات كثيرة بخصوص تغيير الحالة الحاضرة بالقوة . فاجتمع ثلاثمائة نفس من الادنياء تحت قيادة موسيولدرورولن الذي كان وزير الداخلية في الحكومة الموقرة سنة ١٨٤٨ وطلبوا حالاً انتخاب مجلس بلدي ومجلس محلي وان يجتمعا كل يوم ويدبرا كل مهام الجيش وسياسة البلاد وتصرف الاهالي وبالجملة ان يكون لهما سلطان مطلق . ففضت الحكومة الباريزية هذا الاجتماع فضاً مؤقتاً فانه في ١٢ تشرين الاول (اكتوبر) اجتمعوا مرة ثانية وحاولوا ان يستهوا مركز ولاية باريز وان يقيموا حكومة من انفسهم فغلبوا مرة اخرى ومع ذلك تكدر الاهالي الذين يحبون السلام من عملهم فان مجرد وقوفهم على مايدل على ان بينهم قوماً غير مرتضين اضعف املهم في زمان كانوا مقتدرين فيه كل الافتقار الى الاتحاد والتمسك ليدفعوا العدو الذي كان مجتمعاً عند أبواب مدينتهم . وكثرت في ذلك الزمان الثورات الصغيرة المشابهة لهذه الثورة . وهذا هو الذي يزيد تعجبنا واندهاشنا من ثبات باريز وهي على هذه الحال .

و بعد ذلك بمدة قصيرة أخذ القوم يتبصرون في مايتعلق بامر نفاد الزاد مباحثة جدية . فان اسباب الراحة الاعتيادية امست من الامور العزيزة في ابتداء الحصر فان اللبن انقطع في زمان قصير وارتفعت اسعار البيض والزبد . وانقطع اللحم الاعتيادي بعد ابتداء الحصر بشهر واحد وشعر الاهالي بالاحتياج اليه كل الشعور فاقامت اجتماعات للتبصر في ذلك وقررت أنه من الواجب أن يتمكن جميع الاهالي من الحصول على الزاد أي انه لا يصير السماح لمباعة اللحم وغيرهم الا أن

يبيعوا كمية معينة لكل نفس . وكانت أثمان الزاد ترتفع والاجرة تقل حتى ان كثيرين كانوا لا يجدون شغلا . ومع أنهم باتوا في هذه الحال منقطعين عن العالم كانوا يجتهدون في ان يبلغوا العالم أخباراً عن أحوالهم . أما هم فلم يتمكنوا من أن يقفوا على أخبار العالم وبلادهم بالوسائط التي كانوا يبلغون أخبارهم بها . وفي غاية ايلول (سبتمبر) ركب موسيو تيسندرس مركبة هوائية في باريز ووصل في اليوم الثاني الى طور . وكان قد خرج منها بالطريقة نفسها موسيولوي فنزل في فرنولي الواقعة في الجهة الغربية من درو وهي تبعد عنها مسافة بضعة أميال . وبعد ذلك بايام قليلة خرج بالون ثالث منها وكان يدبره موسيو نادرا وكانت سفرته أشد تلك الاسفار خطراً .

وكانت الحكومة في اليوم الرابع من ايلول (سبتمبر) تجتهد كل الاجتهاد في جمع جيوش جديدة . فاصدرت الاوامر بجمع كل الرجال . فاجتمع كثيرون من الجنود المجرين الذين كانوا قد شاخوا وأتي بكثيرين من الملاحين ومن الذين يطلقون المدافع من البوارج وادخلوا في سلك العسكرية للدفاع عن البلاد . فاجتمع عدد عظيم . ومع انه كان كثيرون منهم من المجرين في الحروب كانت الاكثريّة من فتيان لا يعرفون غير ما تعلموه بالعمل من فنون الحرب وكانت أسلحتهم ومهماتهم غير كاملة وكان قد ضعف عزيمتهم بسبب انكسار الذين سبقوهم . أما الجنود الشيوخ الذين أقيموا بين أولئك الفتيان فاساؤا التصرف وكانوا بئس القدوة للجنود فانهم كانوا يخلون بالنظام ولذلك أضعفوا الجيوش الجديدة وقالوا نشاطها مع ان النشاط والامل هما من ضروريات الجيش الفرنسي لان الظاهر انه لا يقدر أن يحسن القتال مالم يكن معتقداً بأنه سينال الفوز . وأحسن أولئك الرجال هم الذين أتى بهم من البوارج ولكنهم كانوا لا يكفون ليصاحوا كل الجيوش . وكانت الجنود محتاجة الى الحركات الخريسة والى قواد من أهل السلق والدراية والى نظام اساسه الانقياد والى مدافع فان مدافعهم كانت غير كافية لجيش جرار ممتد في بلاد واسعة . ومع كل ذلك أدهشت هذه الاجراءات الالمان مدة

ومنعت تقدمهم . وفي أثناء اشتغال الباريزيين في الافتخار بالبطل وفي التكلم عن جمع جيوش جرارة لقلب العدو كان الالمان يقوون مركزهم سراً وبدون تظاهر وهم امام باريز وكانوا يفتحون طرقاً بينهم وبين المانيا ليتمكنوا من اقامة اتصالات دائمة وأقاموا قوتياً للحصول على الزاد من فرنسا وبين ولو عرض دون ذلك من الصعوبات مهما عرض فانهم قالوا انه لا يجب أن يحتاج الماني الى الزاد ما دام في يد أحد فرنساويين شيء للاكل . ولم ينفلوا عن اقامة الاستعدادات اللازمة للحرب وهم مشغولون باقامة ما يتكفل لهم بالراحة .

وفي أول ايلول (سبتمبر) ورد الى باريز خبر تسليم ستراسبرج فلم يكذبوه كما كذبوا خبر تسليم ميتس ولا طعنوا بالذين دافعوا عنها كما طعنوا في الذين كانوا يدافعون عن ميتس . ولكنهم سمعوا الخبر بافتخار وتهاون . فان الباريزيين لم يكونوا يعتقدون بأنها تقدر ان تثبت في صدام الالمان فافتخروا لما رأوا أنها ثبتت زمناً طويلاً وان أهالي ستراسبرج حاربوا الالمان لنفع فرنسا مع انهم من الجنس الالماني . وقال ان ذلك برهان أمانة الالمان التي كان قد عزم البرنس بسمارك على ان يضمه باهي واللورين الى المانيا المتحدة . ومع ان الباريزيين كانوا محصورين ومدافع الاعداء تدمدم نهاراً وليلاً في آذانهم صمموا على ان يقيموا يوماً تذكراً بسالة أهالي ستراسبرج فاقاموا ذلك اليوم وخطبوا خطباً مؤثرة وبكوا . وهكذا كان الالمان يشتغلون بثبات وجد في تقوية مراكزهم وترقية أسباب راحتهم حتى انهم لم ينفلوا عن أقل شيء مما يسعفهم أقل اسعاف في نوال المرغوب والفرنساويون يصرفون الوقت ويسندون الاموال في سبيل القيام بأمر صبيانية خالية من كل نفع فهذا ما كان يجري في باريز .

وبعد فتح ستراسبرج بعث الالمان نجدة لتعويض الخسارة العظيمة التي كانت قد لحقت بهم وفي ٣ تشرين الاول (اكتوبر) عبر الجنرال شميرلن الالماني الرين ومعه الفرقة الرابعة من جنود اللاندوهر الالمانية لينجد الجنرال وردد في حصار ليون

وبيزانسون . أما الجيش الفرنسي في ليون فكان في حالة رديئة فان الجنود كانوا من الذين لا يركن اليهم وكان قد صار قض الجنود الغير المنظمة (فرانتيرور) ليصير ضياعهم الى الجنود الاحتياطية وصار القاء القبض على قائدهم الجنرال مازور وسجنه بضعة أيام وقد قيل ان ذلك كان ظالماً . وجرى قتال قليل في اماكن مختلفة في أوائل تشرين الاول (اكتوبر) ولم يأت بنتيجة . وحل الالمان في البرنون في ٤ منه وهي بلدة صغيرة تبعد ٣٥ ميلاً عن شرقي باريز وكذلك حلوا في لافرتي السن وهي تبعد ٢٤ ميلاً عن جنوبي باريز . وفي ٥ ايلول (سبتمبر) انضمت فرقة من الجنود الغير المنظمة تحت قيادة الجنرال ريان الى جيش اللوار فخار بافرقة من الفرسان والمشاة الالمان وكسرها وارجعها من أرتيني الى ايتيم . بعد ذلك خرج البروسميانيون من يثيفية . وفي ٦ منه انتشب القتال بين جيش الشرق الفرنسي تحت قيادة الجنرال دوبروي وبين الجنود الالمان تحت قيادة الجنرال شمراين وبين فرقة تحت قيادة الجنرال فون دوجنفلد فانكسر الجيش الفرنسي كسراً شديداً بعد قتال طويل شديد فانه دار من قبل الظهر ثلاث ساعات الى بعده بأربع ساعات وهذه أول هارك جيش الشرق الفرنسي وحدثت في ولاية الفوج بالقرب من سان ريمي . وقد قال الفرنسيون ان عدد الجنود التي تقابلت في هذه المعركة متساو . أما الالمان فقد قالوا ان عدد الفرنسيين فيها كان ضعف عددهم . والمظنون ان تقارير الالمان أقرب للحقيقة من تقارير الفرنسيين فاننا قد عرفنا انه كان قد صار جمع جيش الشرق الفرنسي من القيان الصغيري السن ولذلك كانوا لا يقدر ان يثبتوا سبع ساعات في قتال جيوش محاربة منظمة عددها قدر عددهم . فقتل وجرح من الالمان فيها ٢٠ ضابطاً و ٤١٠ جنود . أما الفرنسيون فقتل منهم اكثر من ذلك وأسروهم ٦٠ ضابطاً و ٦٠٠ جندي . ولا عجب من انكسار هذا الجيش الفرنسي نظرا الى عدم انتظامه وجهل جنوده فنون الحرب . ومع ذلك أثر انكساره في الفرنسيين تأثيراً رديئاً فانه أضعف عزيمتهم ونشط أعداءهم .

وفي ٨ تشرين الاول (١ أكتوبر) نجح الفرنسيون نجاحاً قليلاً في سائر كتبتين فان فرقة من الجنود الاحتياطية قاتلت تسعمائة من البروسيين وأخرجتهم من المدينة غير ان الالمان فتحوا مرة ثانية في ٢١ منه تحت قيادة الفرانكوف دو مكنابرج ومع ان الالمان اجتهدوا كل الاجتهاد في فتح تيونفيل لم يتمكنوا من ذلك قبل أواسط شهر تشرين الاول (١ أكتوبر) المذكور .

ومع ان الباريزيين كانوا لا يزالون يعتقدون بان الالمان لا يقدرّون أن يفتحوا باريز كانوا يخافون إطلاق المدافع عليها ولذلك نقلوا أمتعة وتحفا كثيرة من اللوفر ومحلات العرض الى محلات أخرى كانوا يظنون انها أبعد عن الخطر من امكانها الاولى وفي أثناء ذلك خرج الفرنسيون وهاجموا الالمان الذين كانوا يحاصرون باريز وأقاموا حروبا أخرى قليلة الاهمية في ٨ و ١٠ و ١٢ من الشهر المذكور ولكن لم ينتج عن ذلك شيء مهم . وفي ١٥ منه أطلقت المدافع الفرنسية بشدة من قلعة سان فلريان وخربت القصر الجميل المسمى بقصر سان كاو وهو يبعد خمسة أميال عن غربي باريز وهو قصر ملوكي لا يفوقه قصر فرساليا الا بأمر قليلة وكان نابليون الثالث يحب أن يقيم فيه . وكان في ذلك القصر عند خرابه بعض الضباط الالمان فحاولوا أن يخلصوا من النار بعض موجوداته الثمينة غير انهم لم يتمكنوا الا من تخلص أشياء قليلة من الاثاث والصور الثمينة والآثار التاريخية وكانت النار تشب فيه النهار بطوله وفي الليل كان مرتفعاً فوقه لهب عظيم مظلم وكان الباريزيون يرون ذلك والدخان الكثيف الاسود الذي كان يرتفع منه حيناً بعد حين . وقال الفرنسيون الذين رأوه ان ذلك نافع لانه يبين للالمان اننا لا نتمنع عن هدم كل ما يلزم هدمه للدفاع وانه يتعب القواد الذين كانوا ساكنين فيه وهذا مما لا طائل تحته لانه لم تكن أهمية حربية لذلك القصر عند الالمان ولم تكدرهم خسارة بعض منازل أقاموا غيرها بسرعة . وأما الخسارة الصحيحة فوَقعت على الفرنسيين الذين خسروا قصراً عظيماً وآثراً كثيرة من توار يخهم

هذا وكانت حالة باريز تشغل أوروبا عن النظر الى المعارك الصغيرة الكثيرة التي حدثت في تشرين الاول (اكتوبر) ومكنت الالمان من فتح قلاع ومدن صغيرة ودامت الحال على هذا المنوال الى اليوم العاشر من الشهر الذي كسر فيه الجنرال فون درتان الالمانى جنود الجنرال ريان الفرنساوي وذلك في اثنائي وهي مدينة صغيرة تبعد عن مدينة أورليان نحو عشرة أميال في طريق باريز وبعد ذلك سار الالمان قاصدين أورليان وكانت محصنة تحصيناً غير تام ولذلك التزمت أن تستند الى جيش اللوار الفرنساوي الجديد الذي لم يكن له من الاسلحة والمهمات ما كان يكفيهِ . وقد قيل ان كثيرين من الجنود تمنعوا عن أن يقاتلوا حتى ان منهم من كان يرمي ببندقية ومنهم من كان يكسرها غير ان الجنود الزواف الباباوية وقليلين من الجنود الفرنساويين تصرفوا تصرف الابطال الباسلين . أما الالمان فكانوا يفوقون الفرنساويين في كل شئ خلا عدد الجنود فان عدد الفريقين كان يكاد يكون متساوياً ولذلك تمكن الالمان من أن يكسروا جيش اللوار بسهولة فالتجأ الجنرال موطروج قائدهم الى أورليان . ولما رأى المخاطر التي باتت تهدد المدينة واحتياجه الى الاسلحة والمهمات للدفاع عن المدينة الغير المحصنة بعث برسل الى طور ليطلبوا الى الحكومة أن ترسل اليه مدافع ومهمات على انه لم يحصل على شئ من ذلك لان الظاهر انه لم يكن في طور ما يلزمه منها . وبعد أن انكسر الجنرال ريان في اثنائي التجأ الى حرش وحاول ان يدفع الالمان عنه غير انهم لم يتأخروا عن مهاجمته وهو فيه وبما أنه لم يكن عنده مدافع الزموه أن يتقهقر في ١١ من الشهر المذكور . وفي ١٢ منه سار الالمان قاصدين اورليان وكان الفرنساويون فيها مجبورين ان يحاولوا صد العدو بالمدافع الرديئة التي كانت عندهم ولذلك لم يقدرُوا ان يثبتوا فالتزم الجنرال ريان ان يتقهقر وكان الجنرال اراكو يمنع دخول الالمان اليها بثلاثة آلاف جندي واما الجيش فاخذ في الخروج من المدينة لينجوا من الاسر . وكان الالمان نازلين في تل اسمه تل جوا وهو مشرف على المدينة . ومع ذلك تمكنت فرقة اراكو من الثبات مع انه كان قد اشتد الخطب

عليها وقتل كثيرون منها وثبتت في الدفاع الي المساء وكان الجيش قد تمكن من الخروج اما قتال فرقة ارا كوفيكاد يكون مما لم يسبق له مثيل وكان دفاعهم لمنفعة الجيش أي ليمكن من الهرب ولم يسلم من ١٥٠٠ الزواف الباباوية الا ١٧ جندياً . ومع ان الجيش كان قد خرج من المدينة بعد الظهر بخمس ساعات ثبت رجال ارا كوف في الدفاع الى سبع ساعات بعده لانهم لم يعرفوا بان الجيش كان قد خرج مع ان الالمان كانوا يقطعونهم كما يقطع الحصاد حصاده وعند ذلك تمكن الالمان من الدخول الى المدينة مع انهم كانوا قد ارتدوا عنها مرات كثيرة . اما بقية رجال ارا كوف حاولت الفرار للانضمام الى الجيش الذي كانت قد خلصته غير ان الالمان كانوا يفتكون بهم وهم فارون ولذلك لم ينجح من هذه البقية القليلة التي نجت من الحرب غير قليلين . وكان كثيرون من اهالي المدينة لا يرغبون في الدفاع لانهم كانوا يعرفون ان حصون مدينتهم ضعيفة وكانوا يخافون ان العناد في الدفاع يشدد عليهم ظلم الالمان . و بعد ان دخل الجنرال فون درتان المدينة طلب الى الاهالي ان يدفعوا له نقداً ستمائة ألف فرنك فدفعت البلدية ذلك . و بعد ذلك بايام قليلة طلب اليها ان تدفع له اربعمائة ألف فرنك علاوة على ذلك فلم تدفعها الا بعد صعوبات كثيرة وكان ذلك الجنرال لا يصغي لهم ولكنه مهدد الحاكم والمجلس بالسجن اذا تمنعوا عن دفع المال المطلوب . وبالجملة تقول ان هذه المدينة امست عرضة للسلب التام فان الالمان كانوا يأخذون كلما يتمكنون من اخذه من اهاليها ومن حوانيتهم فان الجنود كانوا يدخلون حوانيت المطور وياخذون منها بدون استئذان من اصحابها وكانوا ينهبون الخمر وكل المواشي ويسلبون كلما كانوا يقدرون ان ينتفعوا منه فان اورليان كانت مدينة ذات ثروة ولذلك كان الالمان يجتهدون ان يحصلوا منها كلما كان يتيسر لهم تحصيله وكانوا يسلبون المواشي من الحقول القرية منها ويرسلونها الى باريز للقيام باود الجنود التي كانت تحاصرها . وفي أثناء حدوث ذلك في الشرق كان الالمان يتقدمون في الجهات الشمالية

فانهم فتحوا جينر ومن ولاية الأورو وبرتول من ولاية الواز في ٩ و ١٣ من الشهر المذكور بدون ان يصادفوا دفاعاً شديداً ودخلوا مدناً أخرى كثيرة وأخذوا منها غرامة ٠ وفي ٢١ تشرين الثاني (نوفمبر) دخلوا سان كيتين والظاهر انهم دخلوها ليأخذوا منها غرامة فانهم طلبوا الى بلديتها ان تدفع مايوني فرنك وسجنوهم وقالوا لهم انهم اذا منعوا عن ذلك يذهبون المدينة غير انهم التزموا ان يكتفوا بتسعمائة وخمسين ألف فرنك لان الحاكم لم يقدر ان يجمع أكثر منها ٠ ولم يكتفوا بذلك ولكنهم جعلوا الجنود يعيشون بمال الاهالي وفي منازل اجرتها منهم وامروهم بان يقدموا لهم طعاماً حسناً وقنينة من الخمر لكل رجل منهم ٠ وفتحوا نوبريشاش في ١٣ من الشهر المذكور وأخذوا منها غرامة ٠ وحصروا قلعة فردون المبنية عند نهر الموز في اليوم نفسه وفي ٢٨ منه سلمت هذه القلعة ٠ وكانوا يحاصرون محلات أخرى كثيرة قليلة الاهمية غير انه في أواخر شهر تشرين الاول (اكتوبر) امسى كل شرقي فرنسا في قبضة الالمان حتى انه لم يكن يلزمهم لآمام اخضاع فرنسا غير فتح باريز ٠

وفي أوائل تشرين الاول (اكتوبر) كان جناح الجيش الألماني الايمن في لودوهذا الجيش كان أمام باريز تحت قيادة ولي عهد ملك بروسيا ٠ وكانت مساحة الدائرة التي تصل اليها كرات المدافع من حصون باريز أكثر من اربعين ميلاً ولذلك كان الالمان ملتزمين ان يبقوا متيقظين كل التيقظ لئلا يهاجمهم الفرنسيون بغتة وهم مستندون الى قلاعهم ٠ وكان جيش ولي عهد ساكسونيا ممتداً من عكفة نهر السن الغربية الى عكفة نهر المارن الشرقية وكان نصف دائرة أولها طريق روون الحديدية وآخرها بضع قرى في الجهة الشمالية الشرقية وكانت متصلة هناك بقلب جيش ولي عهد ملك بروسيا الذي كان ممتداً من بونول الى شاكون بالقرب من شوازي لودوا واسوفرساليا وكان هذان الجيشان بعيدين عن فعل مدافع قلاع باريز ٠ وفي أواسط الشهر المذكور وصلت مدافع كثيرة من المانيا لاقامة الحصر ٠ غير ان الالمان كانوا قد انخدعوا فانهم كانوا

يعتقدون بان الزاد في باريز اقل مما كان فيها ولذلك كانوا ظانين انها لا تثبت زماناً طويلاً فلم يقيموا مدافع الحصار الا بعد مضي زمان طويل . وقل الزاد عند الالمان الذين كانوا يحاصرون باريز قبل ان قل في المدينة المحصورة . فانهم ظنوا انهم يقدرون ان يجدوا زادا كافياً في فرساليا . غير ان الزاد الذي وجدوه هناك نفذ في وقت قصير ولذلك التزموا ان يبعثوا قوماً ليأتوا بالزاد من الاماكن المجاورة وكان أولئك القوم يلتزمون ان ينفصلوا عن الجيش ليصلوا الى الاماكن التي كان فيها زاد وهذا هو الذي مكن الفرنسيين من أن يدافعوهم ويكسروهم كما جرى في سان كاتين ولو قام الالمان بالاحتياطات اللازمة لتخلصوا من تلك التفهقات القليلة الاهمية والنتائج .

ولما رأت باريز انه قد مضت أسابيع كثيرة بدون ان يطلق المحاصرون المدافع عليها اشتد عزمها . والذي حمل الالمان على ذلك اعتقادهم بأن العاصمة لا تقدر أن تثبت زماناً طويلاً في الدفاع بسبب الاحتياج الى الزاد ولذلك فضلوا الانتظار مدة قصيرة على احتمال مشاق اطلاق المدافع ومصاريفها . على ان الباريزيين كانوا يعتقدون بان ذلك نتيجة اقتناع الالمان بان مدينتهم لا تفتح وانه قبل مضي زمان طويل يلتزم المحاصرون أن يرفعوا الحصار . ولم يبت أولئك المحصورون في ياس ولا في كدر شديد لانه كان لا يزال عندهم من الزاد ما يسد احتياجاتهم الضرورية . ومع انهم أمسوا منقطعين عن العالم كانوا يقيمون بعض المخبرات بينهم وبين بلادهم بواسطة حمام البطاق والمركبات الهوائية . وكانوا يطلقون المدافع من قلعهم على الدوام لينفخوا الالمان عن الدنو منهم غير ان المحاصرين لم يطلقوا عليهم المدافع . والمظنون انهم لم يخطئوا كل الخطأ بالاعتقاد بان الالمان كانوا غير قادرين ان يطلقوا عليهم المدافع في ذلك الحين ومن المعلوم انه قل الشغل جداً في باريز فان أعمالهم كادت تكون محصورة في اقامة الحرس على الحصون والجواجز وبما انه لم يحدث من الامور السياسية ما يشغلون أفكارهم

به أخذوا في أن يتجسسوا الاعداء حول المدينة وان يراقبوا جواسيسهم داخلها . لانه لا ريب في انه كان للامان جواسيس في المدينة لانه كان فيها كثيرون من الاوباش ذكورا ونساء الذين كانوا يبلغون الالمان أخبار العاصمة ولذلك ما من أحد يلوم الباريزيين اذا تيقظوا وأكثروا من المراقبة ولا اذا قتلوا الجواسيس الذين كانوا يلغون القبض عليهم ويتحقق أمرهم لديهم على ان شدة مراقبتهم حملت كثيرين من الاجانب الابرياء اثقالا وشدائد كثيرة فانهم كانوا يلغون القبض عليهم ويسجنونهم . ومع أنهم نجوا من القتل كانوا يصادفون معاملة قاسية قبل أن يثبت ذنبهم أو تظهر براءتهم ولما نفذ فيها لحم الغنم والبقر قبل كل شيء التزم أكثر الاهالي أن يأكلوا اللحم الخيل قبل ان طال زمان الحصار . ولا يخفى ان الباريزيين لا يكرهون اكل لحم الخيل كما نكرهه نحن . فانهم كانوا يبيعونه في الاسواق قبل الحصار وكان الفقراء يأكلون منه ولولم يكن ذبحها محصوراً بالافراس العاجزة أو التي تصادف أمراً يجعلها غير قادرة على الخدمة لما تمتنع الاغنياء عن اكلها . ولا يخفى ان لحم الافراس الفتية والسمنة لا يكون أغلى من لحوم بقية الحيوانات . ولم يكن لحم الخيل كثيراً فانه في أوائل تشرين الاول (اكتوبر) كان يعطي لكل نفس أوقيتان ورربع أوقية في اليوم وليس أكثر . وفي أواخر هذا الشهر انقطع لحم الخيل . وكان لحم الطيور يباع في نهاية الحصار باثمان مرتفعة جداً واصبح لحم الحمير عندهم من الماء كل المطلوبة جداً وكان ثمنه أكثر من ثمن لحم الخيل فانهم كانوا يبيعون الليبرا منه وهي أقل قليلا من نصف أقة بفرنك أما الليبرا من لحم الخيل فكانت تباع بستة عشر سوا (٤ غروش) وكانوا يبيعون البيضة بغرش أو بغرش ونصف والليبرا من السمك المملح بفرنك ونصف . وانقطع اللبن والحبن . وكان عندهم كثير من القهوة والارز والخبز ومع ذلك كانت أثمانها مرتفعة . واذا عرفنا ان أجرة الفعلة في باريز هي قليلة بالنسبة الى أجرتهم في بلدان أخرى متمدنة فان دخل العامل في الشهر هو نحو ثلاثة فرنكات في اليوم وان أكثر العمال باتوا بلا شغل يتبين لنا ان

الفقراء لم يقدرُوا أن يحصلوا الا على شئ قليل من اُردأ أنواع المأكُل . ولولم تبادر الحكومة الى أن تقدم شيئاً من الطعام كل يوم للذين باتوا بلا عمل لمات مئات الوف جوعاً وكان فصل الشتاء يقترب وكان الفحم والخطب قليلين ومرتفعي الاثمان فاشتد ضيق الاهالي لان البرد كان يفعل فيهم من جهة والاحتياج الى الطعام من جهة أخرى ولم ينحصر الاحتياج الى الزاد في باريز لان جميع اكثر رجال البلاد للخدمة الحربية قل المحاصيل فباتت البلاد كلها في احتياج الى المأكُل وعلى الخصوص لان الالمان كانوا ياخذون كلها كانوا يتمكنون من الوصول اليه قبل أن يتمكن الفرنسيون من أخذه لانهم كانوا يمنعونهم عن ذلك . وكان هذا الاحتياج مصدرا لتواع كثير فان الالمان والفرنساويين كانوا يعارضون أصحاب الزاد في الطريق ويسلبونه منهم وكانوا ينهبون المراكب التي كانت تأتي بزاد ولو كانت أجنبية بدون اصغاء الى تنبيات الحكومة وحدث ذلك في سان مانو وشاربور وغيرها فان الاهالي كانوا يحصلون على الزاد فيها بالمهاجرة بالحجارة والمصى وغيرها فالتزمت الحكومة أن تقيم حرساً من الجنود في المراكب التي كانت تأتي بالخططة وعند ذلك رجع الاهالي الى أنفسهم وقالوا اننا نحبب الضرر على أنفسنا فانه عندما يعرف العالم اننا نهب الخططة وغيرها من المأكُل تنقطع وارداتها فنبيت في أسوأ حال .

وكان الزمان يمضي وأحوال باريز باقية على ما كانت عليه غير ان صبر الاهالي كان يقارب الفراغ والزاد يقل ويرتفع ثمنه فتضاعف ثمن المقددات من لحم غنم أستراليا وبقرها . وكانت تباع الليبرا من لحم الخنزير المقدد بثلاثة فرنكات وكذلك البطة وديك الحبش بخمسة وعشرين فرنكاً والارنبه بسبعة فرنكات والحمامة بثلاثة فرنكات . والوزة بستة عشر فرنكاً . ومع ذلك كان ذلك محصوراً في أهل اليسر لان الموجود أقل من المطلوب . واحتمل الاجانب فيها ضيقا كثيرة وكان اكثرهم من الذين كانوا قد أقاموا اشغالا منذ مدة طويلة في المدينة . وبات اكثرهم بلا

مداخيل وفي أسوأ حال على أنه أقيمت جمعية احسان في لوندرا وجمعت مبالغ كثيرة وبعثت بها الى باريز لمساعدة أولئك الاجانب وكان كثيرون من أغنياء الانكليز الذين باتوا محصورين يساعدون المحتاجين من أبناء وطنهم وقد قيل ان المستر ولسن الانكليزي أحسن الى المحتاجين بنصف دخله في مدة الحصر . ومع ذلك احتمل كثيرون شداً يصعب علينا وصفها لانه وقع نقص في مداخيل الجميع وكانت وسائل الخبايا مع مراکز الاحسان خارج البلاد الفرنسية قليلة وذات خطر .

وكان الزمان يمضي وباريز محصورة والاهالي يشغلون حيناً بعد حين بخروج الجنود للمهاجمة وعلى الخصوص عندما كانوا يخرجون جميعاً الى تلك المهاجمات التي لم تجدهم نفعاً لانهم كانوا يلتزمون على الغالب أن يرددوا بعد تكبد خسائر كثيرة وكانوا يشغلون في بعض الاحيان بنزاع يجري بين أدنياء القوم الذين كان قد فعل فيهم الجوع وبين الاهالي والحكومة والضباط وجنودهم . وكانت واجبات الجنرال تروشوصبة جداً ومع ذلك قام بهذا قياماً مدهشاً وما من أحد يقدر أن يقوم بما قام به أحسن منه اذا بات في الظروف التي أمسى هو فيها فانه كان ينفذ أمره بنوع عجيب مع ان المدينة كانت قد باتت في تلك الحال . والظاهر ان طول زمان الحصر جعل الباريزيين يتعودونه . وكانوا في ابتداء الامر ينتظرون يوماً فيوماً ابتداء اطلاق المدافع على المدينة ولما طالت المدة ولم يتدي قالوا ان المحاصرين عاجزون عنه ولذلك لا يجري وأخذوا في أن يقولوا مقتخرين ان فرنسا لا تنفتح وعاصمتها لا تدخل . على ان نقص الزاد واشتداد ضيقات الاهالي والحالة الرديئة التي باتت فيها ملكة الدنيا عندما ابتداء الشتاء وشعر القوم بالبرد ورأوا ان كل ما قطعه من أشجار حديقهم وجنائهم الجميلة لم يسد احتياجاتهم برهة قليلة وشدة ضعف أولئك المنكودي الحظ الذين كان قد فعل فيهم الجوع وكانوا يسيرون في الاسواق كأنهم خيالات ولم يمنعهم شيء عن أن يعوضوا في بحر من الدم للانتقام من الذين يتوهون انهم قد اخطأوا اليهم . وكثرة الموت

جوعاً وامتداد عرض الحيات الناتج عن الاحتياج كاتنا تينان لمي ان باريز قاربت السقوط بدون أن يطلق عليها المدافع أو تلك المحاصرون الذين كانوا قد جمعوا في اجراءاتهم بين العناد والثبات والصبر . هذا ولا يخفى أنهم عجلوا فتحها باطلاق المدافع غير أنهم لم يفعلوا ذلك الا ليدينوا للباريزيين أنهم قادرون أن يطلقوا عليها مدافع تدفع كراتها اليها لانهم لو أرادوا لفتحوها بدون اطلاق المدافع . هذا ولا يقدر القلم ان يصف ويلات وضيقات تلك المدينة التي كان العالم يدعوها مدينة الحظ والسرور . ولا ريب عندنا ان كثيرين اذالم نقل الجميع شعروا بارتفاع الويل عنهم عندما رأوا الراية الالمانية فوق حصونها .

وفي اثناء حصر باريز تمم الالمان فتح القلاع التي كانوا لايزالون يحاصرونها ففتحوا فردون وتيونفيل ونوبريساش وسان بارشلي وتول وبتش وشاستا وغيرها وفي شباط (فبراير) سنة ١٨٧١ انتهت الحرب بتسليم بلفور وابتدأ الالمان في اطلاق المدافع على باريز في أوائل كانون الثاني (يناير) على أنه لم تطل مدته لان حالة الباريزيين الرديئة وضيقهم وخيبة أملهم عند ما رأوا ان الالمان قادرون أن يطلقوا مدافعهم عليهم حملتهم على الاقلاع عن التمتع عن التسليم . ومع ذلك مضت مدة طويلة قبل عقد الصلح عقداً نهائياً ولذلك لم يدخل الالمان باريز الا في أول شهر آذار (مارس) سنة ١٨٧١ . ومع انه لم يدخل باريز غير عدد قليل من الجنود ولم يسيروا الا في شوارع صار تعيينها قبل دخولهم خجل الباريزيون خجلاً لا مزيد عليه بدخول الاعداء الى عاصمتهم بهذا الكلام الذي فاهوا به شفاها ونشروه كتابة . ومن المعام ان ملك بروسيا صنع جيلاً باكتفائه بالمرور ببعض جنوده في بعض الشوارع ولكنه كدر جيشه الذي كان قد احتمل كل تلك الضيقات وهو يعمري عنها بامل المسير بجلال وعظمة في شوارع عاصمة أعدائه العظيمة التي امست بتقلبات الزمان في قبضة يده . وكان كثيرون من أهالي أوربا تخافون أن يقع تعد على الالمان وهم في المدينة . ومن المعلوم ان كثيرين من أدنياء

الاهالي كانوا شديدي الميل الى أن يتعمدوا عليهم مع قطع النظر عن سوء العواقب والمظنون ان الذي منع حدوث ذلك انما هو انحصار دخول الالمان الى بعض الشوارع الواسعة وتيقظهم وشدة ضبطهم . وربما كان الخوف من حدوث شيء من ذلك هو الذي جعل الملك غليوم وأعوانه يكتفون بدخول قليل من جنودهم الى عاصمة فرنسا

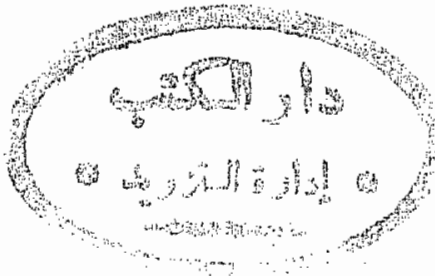
﴿ الخاتمة ﴾

وهكذا انتهت الحرب بسقوط فرنسا سقوطاً تاماً بالولايات التي صادفتها وبالاثقال الكثيرة التي حملها اياها العدو وهكذا تمكن الالمان من أن يقوموا بحق ثارتهم فانهم صادفوا معاملة قاسية عند ما فتح نابوليون الاول بلادهم . ومع ان الغرامة كثيرة وهي خمسة مليارات من الفرنكات وولايتان وهما الالزاس واللورين وفيها قلعة متس وستراسبرج لا يقدر الفرنسيون ان يقولوا انهم لم يعاملوا في الماضي بروسيا والمانيا معاملة كهذه المعاملة فانهم كثيراً ما حاولهم غرامة وأخذوا منهم ولايات كثيرة . ومع ان الظاهر ان فرنسا قد ضعفت لا يخطئ من يقول انها اذا سلكت سبل الاتحاد الداخلي وأقلعت عن الحروب الاهلية ترجع الى أحسن ما كانت عليه في زمان قصير

اتتهى

(فهرس تاريخ حرب فرنسا والمانيا)

صحيفة



- ١ أسباب الحرب
- ٦ الاتحاد الالماني وحرب الدانمرك
- ٩ فرنسا أيام نابوليون الثالث
- ١٠ البرنس ليوبولد وتاج أسبانيا
- ١٥ اعلان الحرب
- ٢٠ الاصلاح الادبي والعسكري في المانيا
- ٢٩ معركة ساربروك
- ٣٤ واقعة وايسميرج وغيرها
- ٤٤ أسباب الفشل ونتائجه
- ٤٧ معركة فور ياش وغيرها
- ٤٩ تطرق الخلل على الجيش الفرنسي
- ٥٨ تنازل الامبرطور عن رئاسة الجيش لبازين
- ٦٠ خروج الامبراطور من ميتس وخيانة بازين
- ٦٣ قبل حصار باريس
- ٧٥ استعدادات باريز
- ٨١ هجوم الالمان على فالسبرج وغيرها
- ٤٧ حصار ستراسبيرج
- ٩٥ حصار سيدان
- ١٢٥ سقوط الامبراطورية واقامة الجمهورية الفرنسية
- ١٦٤ تسليم ميتس وحصار باريز
- ٢١٥ الخاتمة